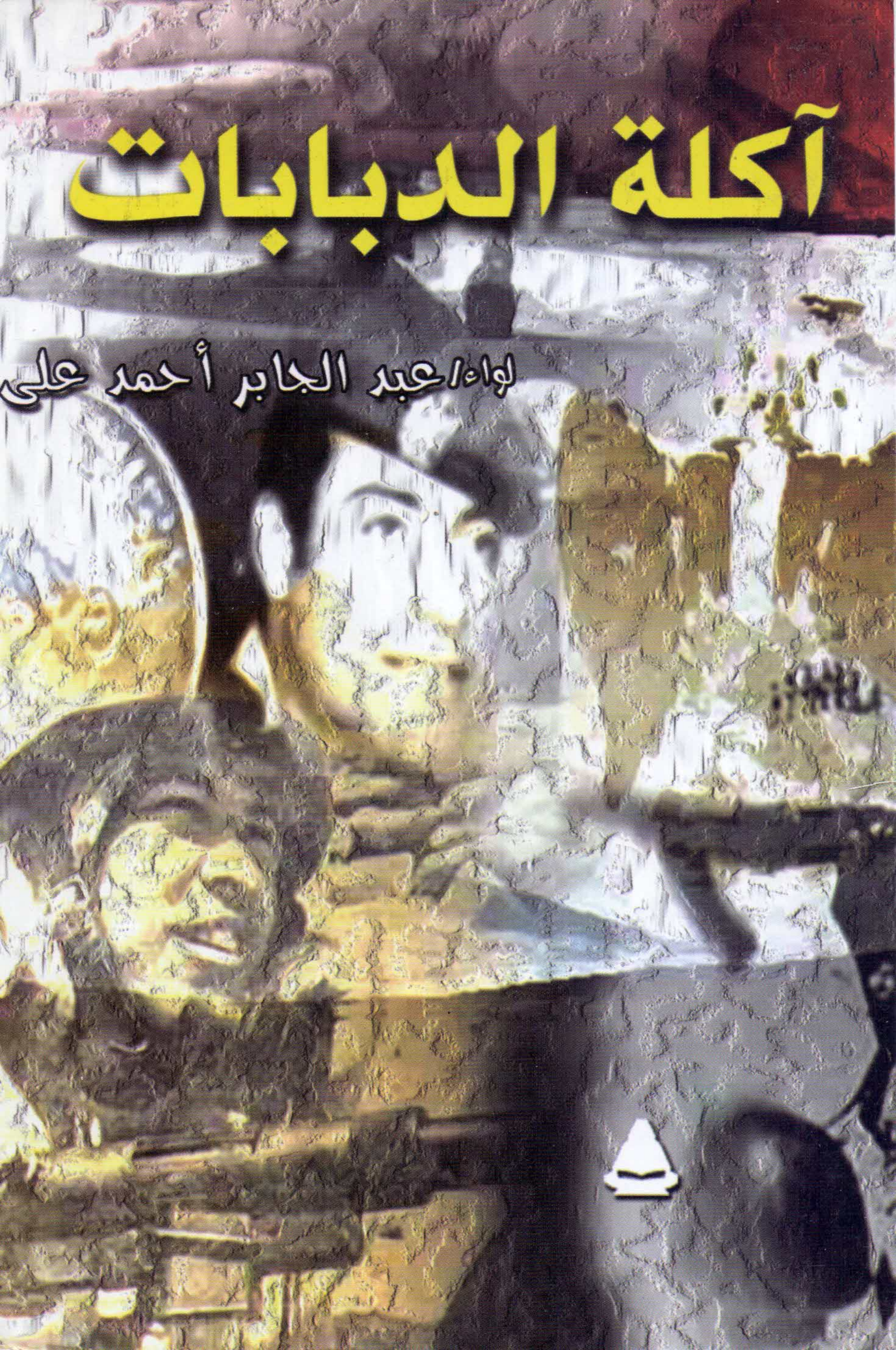
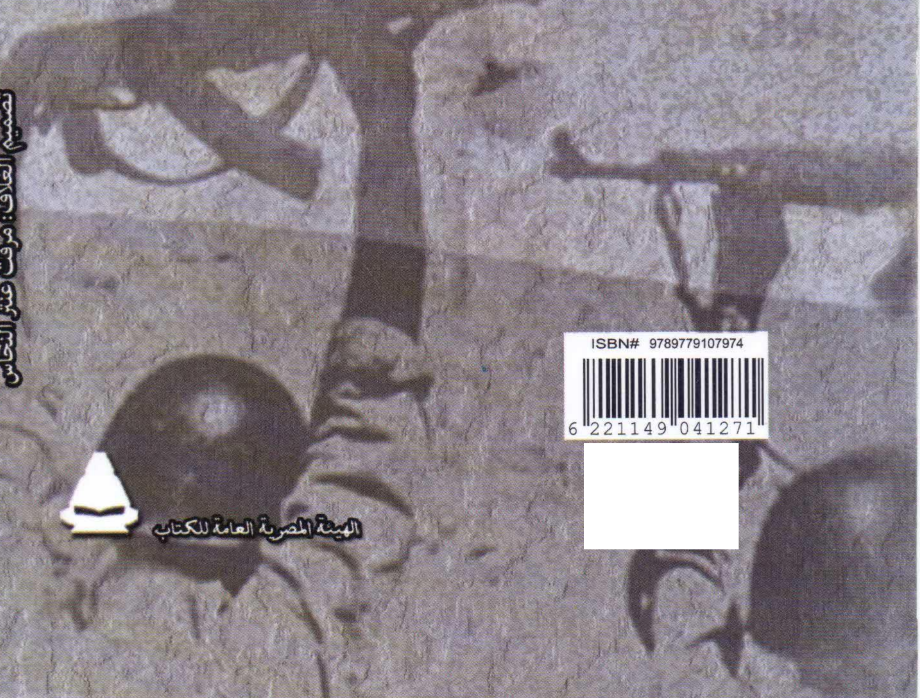


آكلة الدبابات
لواء/ عبد الجابر أحمد على

في هذا الكتاب:

عرضٌ لصور ونماذج لأبطال، خاضوا معارك وبطولات رائعة، وصنعوا ملاحم البطولة، في حرب العاشر من رمضان السادس من أكتوبر ١٩٧٣، سوف تظل وتبقى أمد الدهر وعلى مرّ السنين والأيام.

وهي ليست معارك لوحدات، ولكنها بطولات لأفراد ضمن وحدة واحدة، وهناك غيرها الكثير من وحداتنا التي كانت لها صولات وجولات، ضد العدو؛ هؤلاء الأبطال صنعوا المجد والفخَار لقواتهم المسلحة، فاستحقوا الثناء والتخليد بذكراهم الطيبة.



تصميم الغلاف: مرفت عنتر النحاس

ISBN# 9789779107974
6 221149 041271

الهيئة المصرية العامة للكتاب

آكلة الدبابات

لواء

عبد الجابر أحمد على



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠١٦

على، عبد الجابر أحمد.

آكلة الدبابات/ عبد الجابر أحمد على. ـ
القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٦.

٢٥٦ ص؛ ٢٠ سم.

تدمك ٤ ٠٧٩٧ ٩١ ٩٧٧ ٩٧٨

١ ـ العسكريون المصريون.

٢ ـ قصص البطولات.

أ ـ العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب ٩٣٠٥/ ٢٠١٦

I. S. B. N 978 - 977 - 91 - 0797 - 4

ديوى ٩٢٢,٠٥

وزارة الثقافة

الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة

د. هيثم الحاج على

اسم الكتاب : آكلة الدبابات

تأليف : لواء/ عبدالجابر أحمد على

الإخراج الفنى : مرفت النحاس

الهيئة المصرية العامة للكتاب

ص.ب: ٢٣٥ الرقم البريدى: ١١٧٩٤ رمسيس
www.gebo.gov.eg
e-mail: info@gebo.gov.eg

إهــداء

إلى كل شهيد فى معركة التحرير، معركة أكتوبر الخالدة أهدى ما كتبت إلى كل جندى سالت دماؤه الطاهرة على رمال سيناء الغالية أو الجولان وهو يناضل من أجل الحق والحرية.

إلى شهداء قواتنا المسلحة، وإلى شهداء كل جندى عربى اشترك وأسهم . فى تحرير الأرض الطاهرة.

إلى شهداء الوحدة التى كنت أقودها . جعفر بيومى . صبحى يعقوب الصديقين العزيزين . عبده عمر الذى استشهد وهو ينادى اسم أغلى اسم فى الوجود صائحا «تحيا مصر» فألهب المشاعر. حامد عيد . أنور عياد والذين سطروا لنا أمجاداً خالدة ستظل أبد الدهر بعد أن أذاقوا العدو المر والهوان.

إليكم جميعًا يا شهداء الحرية، أهدي ما كتبت علَّنى أوفيكم جزءاً من حقكم علينا .

طبتم مستقراً فى جنة عرضها السماوات والأرض مع الأنبياء والصديقين.

هنيئا لكم وصبرنا على فراقكم أن ذكراكم لا تفارقنا أبدا وبطولاتكم محفورة فى قلوبنا وتدرس للأجيال القادمة.

فسلام عليكم مع الأولين والآخرين.

المؤلف

تمهيد

فكرت طويلا قبل أن أمسك بالقلم - لأننى لست كاتبًا، ورغم محاولاتى المتكررة فى الكتابة إلا أننى لم أجد لا الوقت ولا الفرصة كى تخرج أفكارى إلى النور - تارة لا يعجبنى ما كتبت وأخرى لم أجد المبرر لذلك، وأحيانا لا أستطيع أن أكمل ما بدأت - وتكدست ذكرياتى على الورق فى وريقات غير منسقة أو مرتبة - كنت أحس أن محاولاتى هذه ينقصها الدقة رغم أنها نابعة من الأعماق إلا أنها غالبا ما كانت تتميز بالحزن العميق والقلق وعدم الاستقرار وهذا ما تركته فى نفس أحداث يونيو الحزين.

وزالت تلك الأحزان عندما عبرت قواتنا المسلحة يوم ٦ أكتوبر إلى سيناء، وكنت أحد الأفراد الذين كان لهم شرف العبور شرق القناة، وعندما وطئت قدماى شرق القناة وشعرت بهما تغوصان فى رمال سيناء الغالية شعرت على الفور أننى أعيش لحظة العمر مع أبطال حقيقيين، شعرت أننى أعيش قصة أبطالها على أرض الواقع

يتحركون فى سيمفونية رائعة وكأن مخرجًا بارعًا يمسك كل الخيوط ويحرك تلك المجموعات الهائلة، وهم يندفعون فى خفة ورشاقة فى ملحمة رائعة أستوحى أحداثها من أزيز طائرتنا وهى تشق طريقها إلى أهدافها ومن مدفعياتنا وهى تهدر وتكيل للعدو الحمم والنار، والجحيم، وكان ذلك كله ممزوجًا بالحناجر الملتهبة وهى تدوى الله أكبر.. الله أكبر فكانت الكلمة كالزلزال الذى أصاب العدو وقواته، وكانت كالصاعقة التى دمرت كل شىء. ولقد كنت شارد الذهن رغم أننى أحس بكل شىء حولى. وأشعر بكل كلمة تصدر منى.

ما هذا؟ هل هو حلم؟. إن العدو قد ذاق المر والهوان على أيدى هؤلاء الأبطال، والذى كان يسخر منهم فى وسائل إعلامه. وإذا بالمارد الذى أبى كل ذلك ينطلق. وإذا بأبناء النيل يردون على كل إهانة لحقت بهم بأقسى ما يملكون حتى يثبتوا لذلك العدو المتغطرس أنهم إذا أرادو فعلوا. وإذا فعلوا فالويل كل الويل لمن يقابلهم.

استمرت المعارك الضارية، وكنت أعيشها بكل جوارحى وحواسى. وظهر على أرض المعركة أبطال عديدون وقف العدو من بطولاتهم مشدوهًا ومشلول الفكر. لقد أذهلنى ما حدث، وتذكرت فى الحال تلك الأيادى البيضاء التى امتدت إلى قواتنا المسلحة عقب النكسة المريرة وعقب ذلك اليوم الحزين.

وكانت نتيجة امتداد تلك الأيدى المخلصة ذلك الأداء الرائع لقواتنا المسلحة بعد ست سنوات كفاح مرير وعمل مضنٍ شاق. عشنا تلك الأيام مع الرجال الذين عبروا الهزيمة، عشتها مع رجالى التى لم تكن عزائمهم والذين عبروا الهزيمة إلى غير رجعة ببطولاتهم الرائعة نتيجة لذلك المجهود أما عن الرجال الذين بصدد الحديث عنهم فقد كانوا أبطالاً بكل ما تحمل هذه الكلمة من معانٍ. لقد كانوا أبطالاً فى استعدادهم للمعركة فى التدريب الشاق المضنى والذى بذلوا فيه من الجهد والعرق مؤمنين بالله ويقينهم هو استرداد الأرض داعين الله بأن ينصرهم ويعوضهم عن كل ذرة عرق سالت على وجوههم. لقد كان هؤلاء الأبطال نموذجًا رائعًا أثناء عبورهم قناة السويس، ذلك المانع المائى والذى شكل منه العدو أصعب مانع مائى فى التاريخ، لقد ضرب هؤلاء الأبطال للأجيال القادمة المثل فى الذود عن أرضهم وعرضهم أثناء لقائهم بالعدو متسلحا بأحسن ما وصلت إليه الترسانة الغربية من سلاح متطور، ولكن عزم الرجال لم يلن وثقتهم فى قيادانهم وأنفسهم لم يتزعزعوا قط، وحبهم لوطنهم فاق الحد ولا يدانيه أى حب آخر، ورغم التفاؤل الذى ساد بين الجميع من أن هؤلاء الأبطال سيسطرون المحبر والخلود للأجيال القادمة - إلا أن ما حدث فاق كل حد وكل تصور، وما قام به الأبطال سوف يذكره التاريخ وكأنه ضرب من الخيال.

بعد الأحداث أردت أن أسطر وأسجل جزءًا من كل فى صفحات تعبيرًا عن كل فرد بالوحدة ومعه بعض الرفاق كى لا تتوه الحقيقة

لمجموعة بسيطة تشرفت بقيادتها وبدأت هذه الصفحات بنموذج فريد تعبيرًا عن كل فرد بالوحدة ومعه بعض الرفاق؛ كى لا تتوه الحقيقة، والذى أراد العدو طمسها بغطرسته وكبريائه، وما فعله أبناء هذا الجيل صاحب الحضارة هو بعض من كل كما قلت من قبل بشهادة العدو نفسه.

عشت هذه البطولات وتابعت من البداية تحقيق هذه المعجزة لذا كان لزاما أن أسجلها كى تخرج إلى النور، ولأننى عشت مع الأبطال وكنت مصاحبا لهم دوما وحرصت مع زملائى على تدريبهم بأمانة وصدق، ولأننى عشت مع عبدالعاطى صائد الدبابات الشهير ورفاقه الذين عشت معهم لفترة طويلة. تابعت ما قاموا به من قبل وبعد المعركة وأثناءها من بطولات فائقة؛ لذا قمت بتسجيل هذه الخواطر.

سوف تشمل هذه الخواطر ثلاثة أقسام:

الأول: عن عبدالعاطى الذى ذاع صيته وأصبح مشهورًا لأنه أعطى لوطنه الكثير وضحى بكل جهد فأعطاه وطنه الشهرة والمجد والفخار.

والقسم الثانى: يشمل بطولات رفاق عبدالعاطى والذين زاملوه.

والقسم الثالث: فهو عن شهدائنا والخالدين.. رجال آمنوا بربهم ووطنهم فتقدموا له أغلى شىء وهى أرواحهم، لقد سطروا بدمائهم الذكية المجد والعزة والكرامة.

عشت معهم حياتهم ومعاركهم واستشهادهم، تشرفت بصحبتهم وهم أحياء يستعدون لمعركة التحرير والعبور، وشاهدت عطاءهم واستشهادهم وطهروا بدمائهم الغالية أرض سيناء الحبيبة بعد أن دنست بأقدام العدو.

لقد رد الأبطال إلى العدو صوابه ورشده وأيقظوه من نشوة الغرور والصلف، أيقظوه من نشوة نصر زائف من قبل لم يكن للأبطال يد فيه، وقد كتب عليهم الشهادة، وهى أعلى درجة من الدرجات.

وفى الختام أتمنى من الله العلى القدير أن تنال هذه الصفحات رضا من يطلع عليها، وعذرا فهى ليست من قلم كاتب ولكنها نابعة من ذكريات مقاتل ممزوجة بكل قطرة عرق سالت خلال التدريب وممزوجة بكل قطرة دم سالت على أرض سيناء الحبيبة.

والله ولى التوفيق..

تقديم

منذ الأيام الأولى للمعركة سمع أبناء شعب مصر أن إسرائيل قد منيت بخسارة فادحة فى مدرعاتها والتى تعدها باستمرار وتعتبرها أداة للردع فى أى معركة مع قواتنا المسلحة أو أية دولة أخرى. تحدثت جميع وسائل الإعلام ووكالات الأنباء الأجنبية والمحلية عن ذلك السلاح الذى كان المصريون يحملونه على الكتف والذى دمر أعدادا هائلة من دبابات العدو بشهادة الجميع.

ولم يقتصر الحديث عند ذلك الحد بل أن العدو بنفسه اعترف بذلك، وأقر بتلك الخسائر التى منيت بها مدرعاته على أيدى المصريين المترجلين، والذين يحملون ذلك السلاح الرهيب، وهو الصاروخ الموجه ضد الدبابات، لقد أطلقت عليه بعض الصحف ووكالات الأنباء فى ذلك الوقت أسماء عديدة. حيث أطلق عليه اسم (ساجر) وهو الاسم فى المعسكر الغربى، أما المعسكر الشرقى فكان يطلق عليه اسم (مالوتكا). ولقد اتهمت إسرائيل فى ذلك الوقت

المصانع الأمريكية التى أنتجت الدبابات والتى كان الجيش الإسرائيلى يستخدمها والذى مدت بها إسرائيل حيث كانت تحترق كلية من أى صاروخ يطلق عليها. بل إن مصانع الولايات المتحدة قد أدخلت تعديلات على بعض أنواع الدبابات التى خاضت المعركة لهذا السبب.

وقد اعتقد الجميع أن السلاح المضاد للدبابات التى يستخدمه المصريون سلاح سرى حيث إنه كان مفاجأة المعركة، ولقد حذر القادة الإسرائيليون جنودهم ووحداتهم من عدم الاقتراب من القناة، ولم يدرك العدو أن السلاح الذى استخدم ضد دباباته لم يكن سرًا أبدا وأن إسرائيل كانت تمتلك أنواعًا كثيرة من هذا النوع من الترسانة الغربية أكثر تطورا ولم يدخل الخدمة بعد مثل الصاروخ «تو» المضاد للدبابات وهو يعتبر جيلاً متقدمًا جدا من هذا النوع وقبلها كان لدى الجيش الإسرائيلى صاروخ مشابه للصاروخ الذى استخدمته القوات المصرية مثل س س ١٠، س س ١١، كوبرا، آنذاك. لقد فات على العدو أن نظرية استخدام الصواريخ والتدريب عليها هى نظرية واحدة وهم يعلمون ذلك جيدا ولكن السر كان يكمن فى كيفية الاستخدام. كان هذا هو السر الرهيب (الاستخدام). هذا السر فى استخدام الصاروخ المالوتكا بعد الاستعداد الجيد عليه هو الذى كان مفاجأة المعركة والتى أذهلت العالم كله. لقد كان السر فى الإعداد،.. وفى التدريب وانتقاء الأفراد الذين يعملون عليه وتجهيزهم. ولقد حدث فى مرات كثيرة أن قامت وحدات الصواريخ المضادة للدبابات التى يمتلكها العدو

بتوجيه صواريخها نحو دباباتنا ولم تنل منها شيئًا وكان ذلك على مرأى ومسمع من الجميع فى نفس الوقت الذى قام فيه أحد أبطالنا بتوجيه صاروخ إلى تلك المركبة التى أطلقت الصواريخ وفى الحال أصبحت حطاما كان هذا أيضا على مرأى ومسمع من الجميع.

إذًا لقد كان السر فى الفرد نفسه ونوعية المقاتل وما طرأ عليه من تغيير، لقد أصبح المقاتل المصرى يستوعب العلم الحديث والتكنولوجيا المتقدم فأثبت أنه من أمهر المقاتلين فى العالم والعدو يعلم ذلك تمامًا).

ولقد تناول كتابنا هؤلاء المقاتلين بالمديح والثناء فى مواضع كثيرة منها:

فى كتاب حرب رمضان «الجولة العربية الإسرائيلية الرابعة للواء حسن البدرى، طه المجدوب، العميد/ ضياء الدين زهدى وهم أجدر بمن يكتب عن الحرب لأنهم عسكريون ومن أساتذة التاريخ العسكرى.

نجد أن المشكلة الخامسة كانت تتلخص فى توفير القدرة للقوات المترجلة عى القتال ضد دبابات العدو وعرياته المدرعة، ويستطردون فى البند الثالث وعلى وجه التحديد فى هذه المشكلة: أن تزاد نسبة تسليح الجنود بالأسلحة الخفيفة المضادة للدبابات مع زيادة نسبة الصواريخ الخفيفة المضادة للدبابات.

وفى ثنايا الكتاب تناولنا بعض جوانب هذا السلاح المضاد للدبابات وما فعله الرجال الذين تسلحوا به على النحو المبين.

ولما كانت الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات إحدى المفاجآت الكبرى التى أعدتها مدفعية قواتنا المسلحة لتحطيم مدرعات العدو ولم تكن هى المفاجأة الوحيدة كما ذكرنا ولكن كانت المفاجأة فى إعداد الرجل الذى خلف هذا الصاروخ وما وصلوا إليه من كفاءة عالية فى التدريب والروح المعنوية.... إلخ..

أضاف كتاب حرب رمضان - يجدر بنا أن نشير إلى السر فى فعالية هذه الصواريخ ويرجع إلى الرجال الذين يعملون خلف هذا السلاح ولم يكن السلاح نوعيته هو السر.

وفى فقرة أخرى من الكتاب فى صفحة ١٥٨ فيسترسل الكتاب ويشيدون بالأعمال المجيدة التى قامت بها الفرقة ١٦ مشاة والذى كان الأبطال الذين نتحدث عنهم يعملون تحت لواء هذا التشكيل الهائل فى القطاع الأوسط، عن ذلك يقول الكتاب:

ومع استمرار قتال العدو فى تصفية رأس كبرى اللواء الأيمن للفرقة ١٦ مش ومع تزايد خسائر العدو خاصة فى دباباته وأفراده عمد إلى دفع قوات مدرعة إضافية حتى بلغ اجمالى ما دفعه منها التوالى أكثر من أربعة ألوية مدرعة جديدة (أى حوالى من ٤٠٠ - ٤٥٠ دبابة(. وتعنى هذه الفقرة الأخيرة بسالة رجالنا وما فعلوه فى قوات العدو والبطولات التى قاموا بها خاصة وأن معارك القطاع الأوسط ضد الدبابات كانت معارك ضارية وقاسية.

وإذا فرغنا من كتاب الجولة العربية الإسرائيلية الرابعة نجد أن فى كتاب «المصريون والحرب» للكاتب القدير الأستاذ جمال

الغيطانى «الذى عاش مع هؤلاء الأبطال فترة طويلة من الزمن على أرض الواقع وتعرف على أسرارهم قبل أن تصل إلى الكثيرين، نجد أنه بداية قد تناولهم فى جريدة الأخبار فى رسالة من رسائله العديدة من جبهة القتال حيث وصف هؤلاء الأبطال بأنهم «آكلة الدبابات» وكان العنوان الرئيسى على النحو التالى:

«آكلة الدبابات فى موقع عبدالعاطى ورجاله» ومن هنا أطلق على عبدالعاطى الشعير «صائد الدبابات» وزملائه آكلة الدبابات.

وتناولت الكتاب على النحو المبين بعد.

قدم الكتاب وصفًا وتحليلاً لأحد الأبطال هو عبدالعاطى كما ذكرنا من قبل وكيف أطلق عليه هو وزملاؤه آكلة الدابات.

ويضيف الكاتب الكبير فى الصفحة التالية ما قابله أثناء زيارته للموقع من علاقة بين القائد وجنوده ويشرح الدور الذى أداه كل منهم ويشرح الكاتب باختصار فى باقى هذا الفصل بعض المعارك لهؤلاء الأبطال فى القطاع الأوسط.

أما العميد عادل يسرى مؤلف كتاب رحلة الساق المعلقة وهو أحد أبطال هذه الحرب فقد تناول هؤلاء الأبطال فى فقرات متفرقة من كتابه على النحو المبين بعد.

وفى الجانب الآخر وهو جانبنا كانت مغارز اقتناص الدبابات بقيادة عادل وعواد مندفعة أمام القوات ومعهم «عفاريت عبدالجابر» (المؤلف) ومنهم عبدالعاطى - بيومى - جعفر - أنور -

كلهم مختفون فى حفر أو ثنيات يحملون حقائب صغيرة . إنها صواريخ الفهد (وهو اسم الصاروخ المالوتكا) وفى هدوء وبرود راحوا يتعاونون مع أسلحة المشاة فى سحق ندرعات العدو التى كان يتمركز أمامى احتياطى قانصو الدبابات والذين اشتهروا بعد ذلك ومنهم عبدالعاطى مفتتح معرض القائم وبيومى وجعفر.

ثم يضيف العميد/ عادل يسرى:

أثناء عودتى أمر على الأبطال وقبل وصولى إلى مركز ملاحظتى أمر على الاحتياطى المضاد للدبابات . احتياطى مترجل يضم أسلحة المشاة القصيرة المدى ويضم بيومى وعبدالعاطى جالسين في استرخاء وأعصاب هادئة كالصياد . الذى ينتظر رزقه فى صبر ولا ييأس من رحمة الله.

وفى موضع آحر من الكتاب تحت عنوان «عبدالعاطى وإخوانه قانصو الدبابات».

ويقوم عبدالعاطى وبيومى مع احتياطى اللواء المضاد للدبابات باصطياد دباباته فى العمل يتنافس كل منهما على الصيد لقد تدربا وخاضا معركة الأيام الأولى ونجحا، ويستمر القتال فى الصحراء وتستمر العمليات الشرسة أربعة أيام على التوالى ١٠ ـ ١١ ـ ١٢ ـ ١٠/١٣ ـ وألقت الطائرات والمادفع الإسرائيلية قنابل فسفورية لتقطيع أسلاك نيران الفهد لشل حركة عبدالعاطى وبيومى وعبدالجابر ويصبح منظر الأبطال مضحكا ـ أن أجسادهم تضىء

بالفسفور شفاهد تضىء ويستمرون فى قسوتهم عل العدو فى اندحاره.

وتضطر الولايات المتحدة للتدخل لإنقاذ إسرائيل.

ويضيف الكاتب: تناثرت القصص عن الملائكة التى قاتلت فى صفوفنا وسمعت من يدعى أن فلانا رآهم ثم ينقل عن آخر فيقسم أنه شاهدها... إلخ ولكن كيف ومن هم... نعم رأيتهم فى صورة عبدالعاطى وبيومى الذين دمروا أرقاما خرافية. رأيت الملائكة فى شياطين عبدالجبار الذين دمروا الكثير من دبابات العدو وجعلوا قادتهم يصرخون لا تقتربوا من القناة.

وبعد تلك هى جوانب مما كتب عن الأبطال، لقد أحسسنا أن كتابنا كانوا قريبين منا وعايشونا لفترة زمنية ليست قصيرة ولقد ظهرت كتب أخرى ومقالات متعددة سواء من جانب كتابنا أو كتاب أجانب وقدموا تحليلا دقيقا للمعركة.

أما فى هذه الصفحات التى سوف نتناولها فإننا سوف نقدم بعض الجوانب الخفية عن الأبطال والتى تعتبر إلى حد ما خافية. وما سوف أسرده هى خواطر غير مرئية ومنسقة ولكنه وصف على أرض الواقع لبعض بطولات فى إحدى القطاعات هو القطاع الأوسط.

أرجو أن أكون قد وفقت..

الفصل الأول

عبدالعاطى والقرية

شيبة قش هى إحدى قرى مركز منيا القمح. قرية هادئة آمنة تتميز بحب الناس بعضهم لبعض كعادة أهل الريف، ومع أنها قرية صغيرة فى تعدادها الذى لم يتعد خمسة آلاف نسمة فى ذلك الوقت، ولكن هذه القرية أفرزت الكثيرين من المشاهير فمنهم الساسة والرياضيون ومنهم من ذاعت شهرته مثل عبدالعاطى فى معارك رمضان/ أكتوبر المجيد والذى كان أحد أبنائها.

أما لماذا سميت هذه القرية بهذا الاسم فلذلك قصة شهيرة، أحد الرجال منذ أمد بعيد وهو عجوز ذو لحية بيضاء ناصعة البياض أطلق عليه الكل اسم «عم شيبة» نسبة للون لحيته وشعره الأبيض، وعندما أراد ذلك الرجل والذى كان دائمًا فى تجوال دائم عندما أراد أن يقيم فى مبنى يأويه بعيدًا عن الناس اختار لنفسه مكانا بعيدا وجمع الحطب والعشب والقش وبنى لنفسه كوخًا صغيرًا وقلده الآخرون فى ذلك وهى أيضًا عادة قديمة عند أهل

الريف، اتسع المكان وأصبح يضج بالكثيرين حتى صار المكان قرية صغيرة، ولقد أطلق على هذه القرية اسم (شيبة قش) نسبة لأول رواد هذا المكان. هذه إحدى الروايات ولكن أقربها إلى الحقيقة.

وإذا أردت زيارة هذه القرية فإنها تقع على الطريق بين منيا القمح والزقازيق وبجوارها احدى قرى محافظة الدقهلية وهى قرية «كفر تسفا»، أما المسافة ما بين شيبة قش والزقازيق فحوالى ٢٠كم - ويمكن الوصول إليها عن طريق منيا القمح - بنها، أو عن طريق منيا القمح الزقازيق.

يعيش فى هذه القرية عدة عائلات. وغالبا ما تنتمى إلى جد واحد وعدد عائلاتها لا يزيد ثلاثًا أو أربع.. وفى قرية شيبة قش عدد من العلائلات الكبيرة ويشتق منها عدد من العائلات الصغيرة. فمثلا عائلة «الشرايفة» نسبة إلى كبيرها وهو (شرف) ثم عائلة (هيكل) وعائلة (الشخاروة) ثم السوالمة أو سالم.

وينتمى إلى عائلة الشخاروة بعض مشاهير الساسة مثل الدكتور محمود عزمى، والذى كان مندوبًا دائمًا لمصر فى الأمم المتحدة فى الخمسينيات والكل يعرف هذا الرجل ووطنيته، وقد استشهد وهو يؤدى واجبه فى الدفاع عن قضايا وطنه فى هيئة المتحدة - أيضًا ينتمى إلى هذه العائلة نجم مصر ونجم نادى الزمالك وهو اللاعب الدولى (هشام عزمى) حارس مرمى مصر لمدة طويلة. أما عائلة السوالمة أو سالم كما يطلقون عليها أحيانا فمنها الأستاذ المرحوم إبراهيم سالم والذى كان عضوا فى مجلس إدارة نادى لزمالك الرياضى.

أما عائلة الشرايفة فهى الذى ينتمى إليها بطل هذه القصة «صائد الدبابات» عبدالعاطى واسمه الحقيقى محمد عبدالعاطى عطية شرف. وتوجد صلة قرابة متينة بين عائلة الشرايفة وعائلة الشخاروة حيث إن هذه العائلات كما ذكرنا تنتمى إلى أصل واحد.

ولد عبدالعاطى من أبوين، الأب من عائلة الشرايفة أما الأم فهى من قرية مجاورة هى قرية (كفر الصعايدة) تنتمى إلى عائلة (النصايرة) فى هذه القرية نسبة إلى الأنصار وهى عائلة معروفة ومرموقة فى تلك القرية.

وُلد عبدالعاطى فى ١٥ يناير ١٩٥٠ لنبتة أصيلة من طينة مصرية، وعندما بلغ سن التاسعة توفى والده وأصبح يعوله ويرعاه أخوه الأكبر (عبدالحميد) حاصل على دبلوم من معهد البترول وموظف - كما أن عبدالحميد كان يرعى باقى إخوته كما هى الروابط بين أهل الريف حيث يرعى الأخ الأكبر باقى أشقائه الأصاغر، وأيضا لم يكتف بذلك بل امتدت رعايته إلى إخوته غير الأشقاء من والده.

نشأ عبدالعاطى فى هذه القرية البسيطة المتواضعة، ومثل كل زملائه فقد دخل مدرسة القرية الابتدائية فى سن مبكرة وهى سن السادسة، وبعدها التحق بالمدرسة الإعدادية الزراعية فى منيا القمح، واجتاز هذه المرحلة بتفوق وحصل على مجموع يسمح له بمواصلة الدراسة الثانوية.

وطفولة عبد العاطى كانت كباقى الأطفال اليتامى، حيث يجد العطف الزائد من الجميع، لذا فقد كان مدللا إلى أبعد الحدود فى

الأسرة بل وفى العائلة، لذا فقد زادت شقاوته ـ لم يترك أى مجال من مجالات اللعب خاصة كرة القدم محبوبته الأولى ـ ولكن مع شقاوته وتدليله فإنه دائما يواظب على مواصلة دروسه، فلم يخلط بينها وبين اللعب واللهو حتى لا يكون عبئًا ثقيلاً على أحد خاصة أخيه الذى يتحمل العبء الأكبر حيث خصه برعايته الخاصة، وهكذا كان يشعر دوما بهذه الرعاية من قبل أخيه الذى كان يشفق عليه.

من بين الأحداث المهمة فى طفولته ولا ينساها أبدا أنه كان يقود فريق مدرسة الكرة وكانت المباريات تقام على جسر الترعة مما يعطل المارة فى سيرهم، وفى أحد الأيام تعرض وتحرش بهم أحد خفراء القرية ونهرهم ونهاهم عن اللعب وأخذ فى سبهم ولعنهم فما كان من عبدالعاطى إلا أن أمسك بحجر قذف به الخفير الذى سال الدم منه وأمسك به الخفير واقتاده إلى دار العمدة الذى سمع بعد ذلك عمه عبدالعزيز بالواقعة فحضر إلى ديوان العمدة واستلمه بعد أن أقنع العمدة بالتعهد بعدم لعبه على جسر الترعة وأنه صغير غير مدرك للمسئولية ـ ومع ذلك لم ينقطع عبدالعاطى وفرقته عن اللعب حتى عندما التحق بالمدرسة الإعدادية حيث له ملعب بالمدرسة يزاول فيه هوايته وهو حوش المدرسة، تعلق بالكرة وأصبح يعشقها ويقلد كثيرًا من اللاعبين الدوليين فى الأندية الكبيرة فى ذلك الوقت خاصة لاعبى الناى الأهلى الذى كان يعشقه ويهواه ويتمنى اللعب له. ومع أنه أهلاوى لكنه كان غير متعصب فهو دائمًا يشجع اللعب الحلو الجميل.

ومن الحوادث بالقرية التى حدثت له، أن صديقا كان يزامله فى اللعب بصفة مستمرة كان يشاركه فى جولاته وفى شقاوته لدرجة أن والد صديقه هذا نهر ابنه ونهاه عن اللعب معه - حز فى نفسه وآلمه ذلك فاشتكى إلى أخيه عبدالحميد الذى طيب خاطره وحثه على مواصلة دراسته وواجباته المدرسية إلى جانب اللعب حتى يثبت للجميع أنه ناجح دائمًا فى دراسته كما هو متميز فى لعبة خاصة كرة القدم، كان شقيقه عبدالحميد يحبه ويرعاه ويحرص على مشاعره دائما، وكان هو يقدر ذلك ولذلك أصر على ضرب المثل للآخرين كم هو يهوى اللعب ولكن متميز فى دراسته لا يخلط بين الاثنين، لذلك وفى نهاية العام الدراسى وعندما نجح عبدالعاطى بتفوق ذهب إلى أخيه وتوجها إلى والد زميله الذى نهى ابنه عن اللهب معه وعاتبه على ذلك، وكان شقيقه فخورا به إلى أبعد الحدود مزهوًا به بصفة مستمرة - تلك الواقعة كانت هى بداية التحدى فى حياة عبدالعاطى وأثبت للجميع عكس ما كانوا يظنون - كانت بداية الانطلاقة فى حياة عبدالعاطى بقبوله التحدى دائمًا وتأصلت فيه هذه النزعة التى نمت معه فى دراسته مع كبر سنه؛ ولذا فقد استطاع أن يتحكم فى رغباته وأصبحت إرادته قوية وعزيمته لا تلين ولا تخضع لأية رغبة لديه فى اللعب أو الشقاوة مادام هو يريد شيئًا خاصة إذا كان هذا الشىء هو التفوق.

بعد أن حصل عبدالعاطى على الشهادة الإعدادية من مدرسة منيا القمح بتفوق التحق بمدرسة هانى كامل الثانوية الزراعية وهو أحد شهداء حرب اليمن، وسميت المدرسة باسمه، وظل بها إلى أن

حصل على دبلوم الثانوية الزراعية فى عام ١٩٦٩، وعن ذكرياته فى المدرسة وأيضًا فريق المركز ومع ذلك فإنه لم يتوان فى دروسه الذى كان دائما حريصًا عليها، لم يرسب فى أية سنة من السنوات لأن الإحساس بوفاة والده كان ملازمًا له على طول وبصفة مستمرة؛ مما جعله متفوقا لشعوره بأن أخيه موظف بسيط. وكانت له فى أثناء دراسته بعض الذكريات التى لازمته فقد حدث أن قفز من سور المدرسة فى يوم من الأيام وأثناء مروره بجوار الباب فوجئ بناظر المدرسة يمسك به ومعه بعض الزملاء الآخرين ويضطر الناظر إلى فصل المجموعة خمسة أيام ويذهب إلى رئيس المدينة شاكيًا ومعه باقى زملائه ما حدث من الناظر ولم يستمع إليهم وطبق قرار الفصل فكانت هذه الواقعة نذيرًا له مع باقى زملائه طوال سنوات الدراسة حيث ندم على فعله أشد الندم؛ ولذا انتظم وأصبح من الممتازين بالمدرسة وكانوا يشيدون به.

كما قلنا فإن عبدالعاطى كان عنيدًا ويقبل التحدى لم يكن أبدا يبدأ بالعدوان على أحد. ولكنه عندما يشعر بالظلم فإنه لا يهدأ إلا بعد إحساسه برفع الظلم عنه بأية وسيلة ومهما كلفه ذلك.. أصبحت هذه السمة تلازمه ورغم أنه كان بسيطًا مرحًا دون مكر أو دهاء. ولكن كان ذكاؤه ذكاء فطرة، وكانت علاقاته عبارة عن علاقة الإنسان الوديع الهادئ ولكن لا تلين عزيمته إذا صمم على فعل شىء هو من حقه، فنجده فى المدرسة يشترك فى كل أنواع الأنشطة أو الحفلات العامة - الألعاب والرحلات - أثناء الرحلات مع باقى زملائه كان يتصف بالوقار والاتزان لا يغالى فى الضحك مثل باقى

زملائه رغم أنه كان يشاركهم فى كل تسليتهم ولكن كل ذلك فى حدود المعقول مما أكسبه الاحترام لدى الجميع، مدرسيه قبل زملائه؛ لذا فقد عرف عنه زملاؤه هذه الصفات فكانت مصدراً للاحترام والتقدير بينهم جميعا.

خلال دراسته بالمرحلة الثانوية وفى السنة النهائية ولم يبق سوى شهور قليلة لتأدية الامتحان حيث ينطلق إلى الحرية والحياة العامة بعد حملة للمؤهل الذى يتمناه ويرفع الحمل عن كاهل أخيه وأمه. هكذا كان إحساسه دومًا، وبعد أن ظل حبيس المدرسة والانغماس فى الدروس، هكذا سيصبح حرًا طليقًا.

فى هذه الفترة الزمنية عرف الحب لأول مرة. عرف طعم الحب الذى كان يقرأ عنه ويراه فى السينما - أحب لأول مرة حبًا صادقًا - كانت فى الجامعة وفى السنة النهائية وبادلته الإعجاب والحب الصادق. أحست فيه البساطة كما قالت له عن دماثة الخلق والوفاء النادر، وبعد نظرات الإعجاب كانت الرسائل ثم اللقاءات العابرة ثم اللقاءات التى تدوم لفترة طويلة، أخذ يفكر فيها طوال وقته، ويفكر فيما هو فيه أما هذا الحب الجارف فهو لم يتعود على ذلك من قبل.

زادت أوهامه وزاد تفكيره كيف حدث ذلك؟ هو نفسه لا يدرى، لام نفسه على ذلك واعتبره خيانة لنفسه ولأخيه الذى يرعاه وينفق عليه انتظار ليوم نحو هذه المرحلة. اليوم الذى ينال فيه شهادة الدبلوك، ورغم أن الفتاة التى تعرف بها وأحبها كانت تشجعه دوما

على مواصلة دراسته بجدية وتحثه على بذل الجهد لتحقيق النجاح وتحقيق الهدف الذى يسعى إليه لأنها كانت عقبة فى حياته.

ولكنه فى لحظة صدق مع نفسه رأى هو عكس ذلك تمامًا، ورأى أن ما يقوم به من أعمال لا تليق أبدًا وخصوصًا فى هذه الفترة بالذات وقرر أن يعود إلى صوابه، ورشده وكعادته فإن أى شىء لا يشكل عقبة فى سبيل تحقيق ما يريد، ورغم أن القرار كان صعبًا بالنسبة له إلا أنه أخذ القرار، وكان الابتعاد أفضل وسيلة مهما كلفه ذلك وقرر أن ينتبه لدروسه حتى ينتهى من هذه المرحلة. وأحس بالفارق بينه وبينها فى التعليم فكان ذلك عاملاً مساعدًا للابتعاد وأيضًا حتى لا يصطدم بهذه العوائق فى هذا المجتمع.

عاد إلى رشده وشدد الضغط على نفسه واستعد لامتحان الدبلوم، وأداه وهو واثق من النجاح، وجزاه الله خيرا حيث حصل على دبلوم الزراعة الثانوية، وكان ذلك فى عام ١٩٦٩ كما ذكرنا سابقا.

بعد أن نال الدبلوم استعد لحياة أخرى. إلى حياة أكثر قسوة وضراوة فقد بلغ سن التجنيد وهو واجب مقدس مفروض على كل شخص فى ذلك الوقت، فيجب أن يؤديه كما أداه الكثيرون من قبله ولكم راودته نفسه أن يرتدى ذلك الزى الأصفر الجميل فتحقق أمله المنشود فقد قدم إلى منطقة التجنيد كى يصبح جنديًا فى القوات المسلحة.

عبدالعاطى فى الجيش

ذهب عبدالعاطى إلى منطقة التجنيد، حتى ينهى إجراءات تجنيده، وأقبل على هذه الحياة الجديدة وهو متفائل مشرق الوجه عكس الباقيين من زملائه، واستقبل حياة الجندية يتفهم لما فيه مصلحة البلاد فى ذلك الوقت، ولطالما أنه حب أن يرتدى الزى الكاكى الأصفر حتى يمشى به فى خيلاء كما يرى الكثيرين يفعلون ذلك فى بلدته أثناء إجازتهم، لم ينس توديع والدته التى بكت لفراقه والتى مازالت تنظر إليه نظرة اليتيم الصغير الذى فاته والده بعد أن وافته المنية. ولكن طيب خاطرها وطمأنها بابتسامته الهادئة.

ولم يكن بكاء أمه خوفًا عليه حيث جربت ذلك مرارًا مع أبنائها ولكنه لأول مرة سوف يفارقها فراقا طويلاً، ولا تدرى أين ستلقى به المقادير، ومع ذلك لم تهتز ولم يهتز هو ورضى بقضاء الله كما رضيت هى بإرادته، أخذ الموضوع بكل بساطة رغم البكاء المستمر من والدته، وذهب إلى باقى إخوته لتوديعهم ويطمئنهم بأنه سوف

يداوم الاتصال بهم . أما أخوه عبدالحميد فقد كان وداعه مختلفا عن الآخرين فهو والده بعد وفاة الوالد: لذا فقد شد على يده وعانقه ودعا له بالتوفيق هو وباقي زملائه في هذه الحياة الجديدة الصعبة على كل شاب فى هذه السن.، بدأ أخوه كعادته يقدم له النصائح والتوجيهات قائلاً إنك الآن سوف تصبح جنديا فى القوات المسلحة فى فترة من أحرج الفترات التى يمر بها بلادنا والتى يحتاج فيها الوطن إلى جهود أبنائه وإلى جهد كل فرد من أفراده، وعلى كل فرد فينا أن يهب نفسه لوطنه حيث كانت تلك الفترة من أقسى الفترات وأصعبها حرب الاستنزاف مع العدو كانت على أشدها بين قواتنا وقوات العدو المتغطرسة والتى لقنت فيها قواتنا للعدو دروسًا كثيرة وأثبت فيها قدرتها على الصمود والتحدى. وتصدت قواتنا لكل محاولات العدو وكبدته خسائر فادحة انتقامًا لما حدث فى حرب يونيو الحزين، تمنى له أخوه عبدالحميد فى النهاية أن يكون ضمن القوات التى تمحو عار الهزيمة وتعبر إلى سيناء لاستردادها من دنس الأعداء.

بعد ذلك الوداع الحار من أخيه وذويه توجه إلى منطقة التجنيد وهناك تسلم الملابس وباقى مهماته ومعه باقى زملائه، طبعا هذه الفترة من أقسى الفترات على الشاب الجديد فى سلك العسكرية حيث يتغير فيها الفرد تمامًا من الحياة المدنية، من حياة الرفاهية إلي الحياة الجافة التي تتناسب مع طبيعته العسكرية. وحياة العسكرية ليست قاسية كما يصورها البعض ولكنها تتميز بالانضباط وبعض الضوابط التى تحكم التصرفات بين الأفراد،

فإذا آمن بها الفرد شعر بالأمان والاطمئنان، وعبدالعاطى لا ينسى ذلك اليوم وما قابله ولقاه ممن إجهاد وتعب ولكنه تحامل على نفسه رغم كل ذلك وكان الزملاء يهونون على بعضهم البعض من عناء التعب، التحق بسلاح المدفعية ومعه زملاؤه حيث أجريت عليهم بعض الاختبارات التى اجتازها وبعض الذين زاملوه من أول يوم.

كانت الاختبارات قاسية بعضها نفسيًا والآخر ثقافيًا، وعند سماعة لسلامه قيل له إنك فرد مدفعية موجه للصواريخ، كلمة قيلت له لا يعرف معناها هو ومن معه ولكن ظلت عالقة فى ذهنه، انتابته الحيرة والقلق وشرد خياله لأن بعضا من زملائه وأقربائه عرفوا أسلحتهم الذائعة الصيت فى ذلك الوقت وكلها كانت معلومة لديهم منهم من انضم إلى سلاح المدفعية كمدفعجى وآخر مشاة وثالث إشارة إلى آخر ذلك، أما هو وبعض القليلين الذين اجتازوا الاختبارات الصعبة والمتعددة لم يستطيعوا حتى تلك اللحظة تفسير كلمة موجه بالمدفعية ولم يسمعوا عنها قط.

عادت به الذاكرة إلى الوراء، تذكر أبناء بلدته الذين تم تجنيدهم من قبل لقد قابلهم وتعرف عليهم فلم يذكر له أحد منهم معنى كلمة موجه، ولكنه فى النهاية رضى بالأمر الواقع وقال فى نفسه سوف أعرف كل شىء بعد أيام قليلة، واستمر فى حياته العادية مع الزملاء يتحدث ويتسامر معهم، ثم صدرت لهم الأوامر بالتوجه إلى مراكز التدريب حيث التدريب الأساسى على الأسلحة الشخصية إلى مصانع الرجال كما يطلق عليها، ففيها يتعلم الفرد كيف يكون جنديا فى السير فى التقاليد وقواعد وسلوك الشخص مع الآخرين ثم كيف

يحافظ على سلاحه وكيف يستخدمه وأسلوب الرماية على الأسلحة المختلفة الشخصية كالبندقية والمسدس والرشاش، كان سعيدًا إلى أقصى درجات السعادة وأخذ يقبل على التدريب بكل همة ونشاط وشوق شديد حتى حاز على إعجاب معلميه وحتى ذلك الوقت لم يفسر له أحد الكلمة العالقة فى ذهنه وهى (موجه)، سأل الكثيرين ولكنه لم يتلق الإجابة الشافية. وسكت ولم يسأل أحدًا. وفى أحد الأيام نودى عليه حيث تقابل مع بعض المعلمين وباقى زملائه توجه بهم أحد المعلمين إلى عربة سارت بهم مشوارًا طويلاً حتى أصابهم القلق وفى النهاية وصلوا إلى مكان عرفوا بعد ذلك أنها وحدتهم الجديدة بعد قضاء التدريب الأساسى. وهناك اصطفوا وتقدم منهم أحد الضباط الشبان ورحب بهم وحياهم وفى وحدتهم الجديدة وتمنى لهم حياة سعيدة، وأخذ يتحدث معهم ببساطة واستمر يشرح لهم واجباتهم الجديدة والسلاح الذى سوف يتدربون عليه، هنا أدرك عبدالعاطى السر الذى كان خافيا عليه ومعنى كلمة موجه وهى تعنى إطلاق الصواريخ، اطمأن وارتاح باله وسر فؤاده خاصة بعد أن قام أحد زملائه القدامى فى الوحدة بشرح المهمة.. ولكن شعر بالقلق من نظرات الأفراد القدامى، نظرات كانت تعبر عن الشىء الكثير منها اللامبالاة بهم لحداثتهم وعدم الاهتمام، خاف عبدالعاطى من ذلك خاصة وهو معروف عنه بالعند ولا يرضى بغير المقدمة سبيلاً، عرف أن التدريب على سلاحه الجديد سوف يبدأ فورًا وليس هناك وقت للضياع، وفى الصباح الباكر وبعد أن تعرفوا على مكان إقامتهم وبعد ليلة طويلة لم يذق فيها طعمًا للنوم وهى عادة تصحب الجنود الجدد فى أى مكان ورغم شدة حبه فى الاستطلاع ولكنه قرر فى نفسه أنه

لابد من الإقبال على هذا الشىء الجديد فى التدريب حتى يصبح له شأن كالآخرين القدامى ولابد من التفوق على الجميع وفى الطابور الصباحى ومعه زملاؤه أخذ يستمع إلى الشرح بكل حواسه وفى شوق ولهفة سأل عن كل شىء ويقبل على كل ما يطلبه منه المعلمون فى إتقان شديد، وأقبل على التدريب الجديد وهو واثق من نفسه ومن أنه سوف يجتاز هذه المرحلة وكل الاختبارات التى فيها بتفوق بإذن الله.

بعد أن تعرف على القواعد الأساسية للسلاح الجديد الذى يتدرب عليه كموجه للصواريخ المضادة للدبابات وبعد شرح أحد المعلمين لمجموعته التى كان هو أحدها طلب منه المعلم تكرار ما يشرح لهم، فقام على الفور بإعادة ما قيل دون نقص أو زيادة تماما كما ذكره المعلم لم ينس كلمة أو حرفًا أو أى شىء حتى أحسن عليه المعلم وسمع الجميع كلمات الاستحسان التى قيلت فى حقه، حسه المعلم على التفوق دائما والمستمر حتى يمكنه الحصول على إجازة والتى تعطى للمتفوقين وحتى يمكن ضمه على باقى الأفراد القدامى الذى سبقوه ويصبح واحدًا منهم، وكم تمنى هو ذلك خاصة عندما كان يلتقى بهم لحسن المعاملة التى يقابلونا من الجميع، واجتاز بعد ذلك الاختبار الذى أجرى للجنود الجدد والذى يجرى دائما بعد كل مرحلة تدريب قصيرة مركزه، ثم جاء اختبار آخر أكثر صعوبة فأداه بإتقان شديد تعلو وجهه الجدية والصرامة فاجتازه فأحسن ما يكون وتفوق على أقرانه وعلى من سبقوه؛ ولذا فقد منح إجازة وهى تعد أول إجازة له يحصل عليها بعد انضمامه للحياة الجديدة.

كانت لغته طيبة من قادته كان لها أكبر الأثر بعد ذلك فى تكوين شخصيته، توجه مباشرة للقاء والدته فكانت الأحضان الدافئة التى افتقدها لفترة وهى طريقة والدته عندما كان يغيب عنها ولو ليوم واحد. ثم تقابل مع باقى أسرته وأولاد إخوته وانهالت عليه الأسئلة من كل صوب الكل يسأل ويريد الإجابة، تذكر وقتها ما تم تلقينه لهن حيث هناك بعض المعلومات التى لا يجب الافصاح عنها؛ لذا فقد كانت إجاباته قصيرة ومقتضبة.

قضى أول إجازة منحت له بقريته وهو يتباهى ويتفاخر بزيه الأصفر الكاكى كما كان يرى الجنود فى قريته من قبل، وكما تمنى وما عكس الآخرين وأول شىء فعله توجه إلى معلمه حيث شعر نحوه بحب وأنه مدين له بالفضل حيث خصه برعايته وحبه حتى أصبح من المرموقين بعد فترة وجيزة، تذكر شخصية معلمه الفذ وهو (منير زاهر) شخصية جديرة بالاحترام فى عالم التدريب على هذا النوع من السلاح وهو الصواريخ المضادة للدبابات، هكذا كانت مهمة تلك المجموعة المسلحة بهذا السلاح، لم يكن منير يخصه هو بالرعاية فقط ولكن الرعاية كانت موزعة على الجميع، مع كل من يتدربون معه أسلوب بسيط ورائع مما يبعث الثقة فى النفس والثقة لدى من يتدربون على يديه، ارتبط بهم المعلم ارتباطًا وثيقًا، ولم يكن منير زاهر هو فقط الذى يسأل عن تلك المجموعة فقد كان هناك (أحمد عثمان) فهو لا يقل كفاءة فى تدريب الأفراد عن منير زاهر يتميز بأنه غيور على وحدته وعلى أفراده يحبهم ويتسامر معهم ويتجاذب معهم أطراف الحديث، ويعمل دائمًا على حل مشاكلهم سواء داخل الوحدة أو خارجها.

خرج عبدالعاطى بانطباع عام عن هذه الوحدة وهو أن التدريب فيها يختلف كلية عن التدريب السابق فى مراكز التدريب، فهناك التدريب يصهر الفرد للتعود على الحياة العسكرية، الحياة الجديدة أما فى وحدته فهو تدريب الفرد إلى التخصص الذى يحب أن يتدرب عليه ويتقنه، حيث هنا بالوحدة من يعمل موجه وهناك يساعد الموجه إلى آخر تلك الواجبات، أيقن أنه فى يد أمينة، مجموعة من الشباب تحب عملها وبلدها وتريد أن تقدم شيئًا فالكل يؤدى واجبه بأمانة وإتقان، هذا الأسلوب فى العمل ارتضى به عبدالعاطى حيث يحب هذا النوع من الأساليب.

واصل التدريب مع زملائه القدامى حيث أصبح فردًا منهم لتفوقه ولخوفه من الفشل زاد من جرعة تدريبه فزادت ثقته فى نفسه، ولذا فقد أصبح بعد فترة وجيزة من المرموقين بالوحدة وبين زملائه وبعد فترة أخرى كان فى المقدمة تمامًا كما كان يتمنى ويهدف.. أخذ الجميع يتحدثون عنه وعن أسلوبه خلال التدريب وبدأت الأنظار ترمقه وتتركز حوله فأصبح مميزًا بين أفراد الوحدة، حتى جاءت لحظة من لحظات العمر بالنسبة له فقد تقرر قيام لجنة بالمرور على وحدته لاختبارها حيث كانت تجرى هذه الاختبارات عقب كل فترة للوقوف على مستوى هذه الوحدات وتقييمها. وبعد الاختبارات يتقرر عما إذا كانت هذه الوحدة تقوم بالتدريب على الذخيرة الحية أم أنها تعطى فرصة أخرى حيث كان يتم التدريب خلال هذه الفترة على عربات التدريب المجهزة، قامت اللجنة بالاختبار، كان قاسيًا، وحصلت وحدته إلى تقدير عالٍ فى

التقييم الذى أجرى، حصلت على المركز الأول بين الوحدات فرح الجميع بذلك أخذوا يتعانقون ويهنئ بعضهم بعضًا، وأقيمت الاحتفالات وابتهج الجميع، وكان أسعدهم عبدالعاطى، ثم جاءت اللحظة المرتقبة وهى التى سو ف تقوم فيها الوحدة بالرمى بالصواريخ الحية، ذهبوا إلى ميدان الرمى كانت المفاجأة أن عبدالعاطى كان اسمه من بين الذين سيرمون بالصواريخ الحية. هناك نودى عليه وتقدم إلى مكان الإطلاق والكل مشفق عليه حيث إن معنى ذلك أنه أخذ مكانه فى المقدمة بين الجميع قدامى وجدد، وتقدم فى ثبات وفى هدوء شديد دون أى انفعالات التى تصيب البعض فى هذه اللحظات. وبعد الدعوات منه ومن الجميع بالتوفيق وبعد أن صدرت إليه الأوامر بالإطلاق قام على الفور دون تأخير بالإطلاق، انطلق الصاروخ تتبعه كل الأعين ويدعو الجميع بالتوفيق فهى أول تجربة حية، تعلقت به الأنظار تتبعه بعد لحظات بسيطة مرت على الجميع كالدهر توجه الصاروخ إلى الهدف ودمره هلل الجميع وكبر ابتهاجا وفرحة بذلك الحدث العظيم، اتجه عبدالعاطى إلى قادته ومعلميه عانقوه عناقًا حارًا واستقبل التهانى من كل زملائه وتقبل التهانى من كبار الزوار الموجودين ثم تلاه فى الرمى صديق عمره وزميله (جعفر بيومى) وكان لا يقل كفاءة عنه وأصاب فتقدم إليه عبدالعاطى معانقًا.. وتبعهم آحرون وكان نصيبهم نفس نصيب الآخرين.

تحددت رماية أخرى ثم أخرى وكان عبدالعاطى فى كل مرة فى المقدمة، واصل الجميع التدريب الشاق بكل همة ونشاط يقودهم

قادتهم تلك الفئة الثانية التى عملت وأكدت فتحقق لها النجاح وقدمت لوطنها نماذج كثيرة أشير إليهم بالبنان، لقد جزاهم الله خيرا على كل ذرة عرق سالت على وجوههم وكل ذرة رمل علقت بأرجلهم.. هؤلاء الرجال أبت على نفسها الذل والعار والهوان فاستعدت للعدو ليوم الخلاص،استعدت إلى اليوم الذى سوف يلقنونه درسًا لن ينساه ويحطمون صلفه وكبرياءه، لقد كان التنافس بين وحداتهم سمة من السمات التى غرست فيهم كى يحافظوا على مستواهم الرفيع وكان الكل تواقًا إلى حصول وحدته إلى المرتبة الأولى بين الوحدات وزادت جرعة التدريب وأقبل الأفراد عليه بكل همة ونشاط، فى كل مرة يكون عبدالعاطى فى المقدمة وإذا أجريت رماية يكون هو البادئ بها لتفاؤل الوحدة به.

واستمر العمل المضنى الشاق حتى ذاع صيت الوحدة بين أقرانها وذاع صيت عبدالعاطى بين الموجهين، ولقد زينت الشهادات وشهادات التقدير التى تدل على هذا التفوق زينت مكتب القائد وباقى القادة فى الوحدة. ومنح الأفراد الهدايا والمنح المادية والمعنوية. نال عبد العاطى إجازة أيضًا قضاها فى قريته التى أحبها. بعد أن قضى فترة من الإجازة بين والدته وأخوته لم ينس باقى أفراد العائلة حيث توجه أول ما توجه إلى منزل عمه سلم على كل الموجودين وهو معتز بنفسه وأخذ يقص القصص والحواديت عن زملائه وقادته فى حب وفخار وهو مزهو بهم خلال حديثه أقبلت عليه بنت عمه الذى فكر فى الزواج منها بد نهاية دراسته وشعر أنها تبادله نفس الشعور والاهتمام ولكن لم يلحظ ذلك من قبل،

وفى الفترة الأخيرة شعر بذلك خصوصا بعد أن التحق بالعسكرية وجد ترحابا من الجميع. كان لهذه الزيارة مغزى عميق فى نفوس الجميع ودار الهمس والغمز واللمز بين العائلة خاصة بعد استقبال بنت عمه له بهذه البشاشة وهو شعور ينتاب الحاضرين فى مثل هذه اللقاءات ويبنون عليه القصص والأحاديث، ثم عاد إلى وحدته بعد نهاية الإجازة سعيدًا، الفرحة تملأ وجهه السرور والغبطة بادية عليه، ثم تكررت الزيارة لمنزل عمه فى كل إجازة حتى لو كانت قصيرة، فى هذه الفترة أحس بالحب للمرة الثانية، نعم شعر به وأحسه وبدأ الحب يطرق بابه الذى كان قد أغلقه فى المرة الأولى، هده المرة كان مرحبا به لأنه يختلف هذه المرة عن المرة السابقة لأنه كان صافيًا وراقيًا وخاليًا من أى معانى غير منطقية كما أحس فى المرة الأولى، فها هو قد فرغ من دراسته فلن يلومه أحد وسوف ينهى حياته العسكرية؛ لذا لابد من التفكير فى إكمال نصف دينه، وقد اعتبر التجربة السابقة عارض من العوارض التى تقابل كل شاب فى بداية شبابه ومعرفته للحياة.

وفى وحدته واصل التدريب ورقى إلى رتبة العريف ثم بعدها إلى رتبة الرقيب وذلك خلال فترة وجيزة من الزمن لم تتجاوز السنة من خدمته، لقد فاق كل أقرانه القدامى والجدد، ومع ذلك لم يحس فى يوم من الأيام أنه أحسن من زملائه لم يشعروا هم بذلك ولكنهم أحبوه كما أحبهم واحترموه كما احترمهم هو فى الأول. لم يحقد عليه أحد لحب قادته له وتقربه منهم ومع ذلك أحب قادته وكان يحترمهم لأبعد الحدود بما تحمل هذه الكلمة من معانٍ حتى أصبح

بينهم كالأخ بل والزميل لما يتيمز به حيث كان شخصية نادرة فى العطاء والعمل المتفانى، ومع ذلك فإن عزيمته تلين وروح التحدى لم تهن حتى فى حديثه مع زملائه، ولقد بادلوه هم هذا التحدى ولكنه كان من نوع خاص، كان فقط للمصلحة العامة ومن يكسب يقدم له الآخر التهانى.

هكذا كانت روح شباب أكتوبر وعلاقاتهم بعضهم بالبعض وكان ذلك سر النصر وسر الملاحم والبطولات التى دارت خلال المعارك الضارية فى سيناء، وكان قائد الوحدة يعمد إلى إذكاء روح التنافس بين الوحدات وبين الأفراد للحفاظ على الكفاءة القتالية وعلى مستوى الفرد والوحدة، نال عبدالعاطى الهدايا الكثيرة ومنح الإجازات تلو الاجازة لمستواه العالى، ولقد كانت الإجازة فى ذلك الوقت هى أغلى هدية يمكن أن تقدم للفرد لها فعل السحر بين الأفراد الكل يحاول أن ينالها.

بعد الاطمئنان على هذه الوحدة انضمت إلى إحدى التشكيلات فى الجبهة مثل باقى بعض الوحدات من ذات التسليح بعد أن كان التدريب مجمعًا. وكان الانضمام خلال حرب الاستنزاف، لقى هذا الخبر من الجميع فلقد كان كل فرد يتمنى ذلك ويمنى أن يكون ضمن أبطال الجبهة التى تطل على العدو.. أيقن الجميع أن هذه الوحدات معقود عليها الآمال، فإما أن يخذلوا وحداتهم وإما يرفعوا راياتها عالية خفاقة واختار الأفراد رفع الرايات والهامات حتى تكون راية وطنهم خفاقة بين الأمم خالدة مع الخالدين بل وعلى مر

السنين مهما كلفهم ذلك حتى يثبتوا للعالم أن أمتهم لن تموت ووطنهم الغالى سيظل بعيدا عن دنس الأعداء، كيف لا ووطنهم هو منبع الحضارة والشعاع الذى أضاء العالم كله وحضاراتها تدل على ذلك حيث طغت هذه الحضارة على الشرق والغرب وهاهو نابليون عندما دخل الجيزة وقف أمام الاهرامات مشيرًا بيديه قائلا لقواته أربعون قرنًا من الزمان تطل عليكم. وعندما دخل الجيزة وجد مقاومة لم يلقها من قبل في كل غزواته، مقاومة من فلاحى الجيزة وعمالها وعواجيزها وأطفالها وشبابها، نعم هذه هى الأمة التى لا تقهر، وبدأت الأعين تتجه إلى هذه الأمة زاد الاهتمام بها إلى حد كبير.

كان رفع كفاءة هذه الوحدات هى الشغل الشاغل للجميع.. القادة على جميع المستويات. والقيادات العليا متمثلة فى اللجان المستديمة،فلم تمر فترة إلا وكانت هناك لجنة للتعرف على مستواهم، وازدادت الزيارات من المسئولين للاطمئنان عليهم.. أجريت البيانات العملية سواء بالذخيرة الحية أو بالتدريب التقليدى بالوحدة.

كان عبدالعاطى فى كل ذلك ذا النصيب الأوفر والحظ الأكبر فى كل مرة يجرى فيها بيانًا يكون أول المنفذين، كان الطاقم الذى يعمل معه يرافقه فى كل خطواته فازداد ترابطهم معه فى كل البيانات العملية والتدريبات. كان التنافس - كما قلنا - سائدًا بين الجميع، الكل يتسابق لنيل المرتبة المشرفة فى الوحدة.

. خلال العمل المضنى والقسوة فى التدريب لم يخلُ الأمر من بعض الدعابات بين الزملاء، فقال له أحدهم مداعبًا إحنا مشتتين وراك وعاوزينك تهمد شوية، يقصد بذلك أن يهدأ عبدالعاطى شوية أثناء التدريب والاختبارات، ضحك الجميع لذلك ومن بينهم عبدالعاطى حيث كان يعلم أن زميله ما يقصد إلا الضحك والمرح حيث كان يعرف حقيقة زملائه ونواياهم لأنهم أيضًا كانوا يقاسمونه الهدايا والمنح وذلك لمستواهم الرفيع.

فى يوم من الأيام كلفت الوحدة بعمل بيان أمام الوحدات الأخرى وكلف هو بإجراء هذا البيان وحضرت القيادات المختلفة وذهب مع قائده وجهز نفسه لهذا البيان فى ميدان الرماية المعد لذلك واستعد وصدر له الأمر بالاشتباك وإطلاق الصاروخ إلى أحد الأهداف التى أمامه، نظر عبدالعاطى فى المنظار البصرى والذى يبين المسافة بالتقريب على تدريج داخل المنظار وقاس مسافة الهدف وقدر المسافة فوجدها أكبر من مسافة الصاروخ ومداه. واستأذن قائده فى أن يقول شيئًا، وقال رأيه للقائد، حيث قال له إن الهدف خارج مرمى الصاروخ، ولكن صدر الأمر بالاشتباك من القائد الأكبر بصورة يَشْتَمُّ منها (بلاش حجج)، وأطلق صاروخه الأول فى اتجاه الهدف فسقط قبل الهدف ولم يصبه، حزن لما حدث ولكن كرر كلامه الأول أفندم الهدف خارج مرمى الصاروخ، قالها فى ثقة بالغة.

كان ميدان الرمى قد أعد بواسطة أحد الخبراء الروس والذين كانوا موجودين وقتها، شعر قائد وحدته أن هناك ظلمًا وقع على الوحدة وعلى عبدالعاطى وأصر القائد على قياس المسافة، وذهب مع أحد أفراد اللجنة المشرفة على البيان قاس المسافة بإحدى عربات القياس واتضح أن عبدالعاطى كان محقًا وكان صادقًا وأن الهدف كانت مسافته أكبر من مسافة الطلقة المباشرة المؤثرة للصاروخ، تم تعديل مسافة الهدف، صدرت الأوامر مرة ثانية إليه أن يشتبك مع الهدف، وفى هذه المرة كانت الإصابة واضحة أمام الجميع حيث دمر الهدف من المنتصف بين إعجاب الجميع من الموجودين.

فى ذلك اليوم رقى إلى رقيب أول وهى درجة لم يصل إليها إلا النادرون والمتفوقون وغالبا غير موجودة، كانت فرحة بالوحدة، فرح الجميع بذلك قادة وجنودًا واحتفلوا ببطلهم الذى رفع هاماتهم عاليا، وزاد إعجاب قادته به لدقته وثقته فى نفسه ودقته فى قياس المسافة علما بأن ذلك كان بالتقريب.

لفت الأنظار إليه من خارج وحدته وأصبح معروفا لدى جميع القيادات المهمة بهدف الوحدات، كان إذا أخطأ يكون عن غير قصد أو تعمد، كان صريحًا واضحًا ورغم ما وصل إليه من مستوى فإنه يتقبل النصح من الجميع، ولم يكن فى يوم من الأيام له طلبات خاصة، فكل طلباته فى حدود المنطق والمعقول، ولكن باعتباره أقدم زملائه فى سريته كان يلح فى أى طلب يخص زملاءه أو أحدهم.. هذا هو عبدالعاطى.

لم يكن نابغة فى إطلاق الصواريخ فقط ولكن كان مجداً ومجتهدا فى أنشطة أخرى، وله هوايات متعددة منها كرة القدم كما أوضحنا فى بداية حياته كان يحبها بجنون وكثيرا ما تعرض بسببها للعقاب أو المشاكل التى حدثت حتى وصلت فى يوم من الأيام إلى الضرب والسب، كانت لياقته البدنية العالية تساعده حيث كان هؤلاء الأفراد يعدون لذلك لمهتمهم الخاصة خلال حرب أكتوبر، لذا كان التركيز على البنيان الجسمانى فى إطلاق الصواريخ كانت هناك منافسات أخرى وكان هناك برنامج معد لرفع مستوى اللياقة البدنية بين الوحدات والأفراد حيث كل التنافس فى جميع اللعبات كان ذلك مطلوبًا فأجريت مسابقات فى كرة القدم ـ الطائرة ـ السلة ـ اليد ـ تنس الطاولة ـ شد الحبل ـ اختراق الضاحية.. إلخ،، من اللعبات التى تزكى روح المنافسة. وكانت الجوائز القيمة للفائزين.

كانت الوحدة كخلية نحل. وكانت اللعبة الأساسية التى يحبها عبدالعاطى هى كرة القدم بالوحدة ذات مستوى عالٍ جدا ولأبعد الحدود حيث ضم أفرادًا كثيرين يتمتعون بمهارات عالية وكان الكل يتسابق للانضمام لهذا الفريق الذى يشرف عليه قائد الوحدة شخصيا ـ كان عبدالعاطى فى الملعب لا يهدأ ولا يكل تجده فى كل مكان يلعب فى أكثر من مركز يبعث الحماس والنشاط بين زملائه يحزن إذا خسر الفريق ويفرح ويطرب إذا كسب، كان هو رئيس الفريق (كابتن) إذا خلى الفريق من الضباط اشتهر فريق هذه الوحدة بين وحدات الجيش الثانى وذاع صيته على مستوى كل القيادات، وطالما وجهت إليه الدعوات من كل الوحدات لزيارته

أويقوم وهو يلعب تجد هناك شخص يصول ويجول يلهب حماس زملائه بأدائه الرجولى حتى يحتذى به باقى أفراد الفريق وحتى يفوز، إذا سألت عن هذا الشخص تكون الإجابة أن اسمه عبدالعاطى وذاع صيته أيضًا فى هذه اللعبة وتحدى الفريق كثيرا من الفرق الأخرى، لا يرضى بأية هزيمة وطالما حول بحماسه الزائد الهزيمة إلى نصر وطالما أحرز الأهداف أو أهدى زملاءه كى يحرزوا الأهداف.

لذا تتحول الهزائم إلى انتصارات هكذا ظل فلم يعرف للتخاذل طريقًا وولائه لوجدته زائد عن الحد، فى إحدى المباريات بين فريقه وفريق آخر، وكان هو من بين الذين يؤدون المباراة، والمباراة على أرض الوحدة الأخرى وكانت مباراة تحد مقصودة بها هزيمة هذا الفريق وتدخلت إحدى القيادات لهزيمة هذا الفريق الذى هزم كل الوحدات، وذهب الفريق رغم أنها مباراة من المباريات المحببة، وكان قائد الوحدة يصاحب الفريق ويشرف عليهم كما قدمنا . وكان قسمهم هذا سببا فى إشعال حماسهم جميعا يومها نال إعجاب الجميع حتى القيادة التى تمنت هزيمته ونال عبدالعاطى إعجاب كل الحاضرين. وكان سعيدا هو بذلك حيث قدموا الفوز هدية لقائده الذى كان يرعى الفريق بصفة مستمرة من ملابس وتدريب وكرات حديثة إلى آخر متطلبات لعبة الكرة.

ورغم أنه كان مجندًا فقد كان حكمدار سريته مثله مثل المتطوعين فى القوات المسلحة الذين يصلون إلى هذه الرتبة، فلم

يكن بينهم متخاذلا أبدا ولم يكن متسيبا فى عمله، كان يعرف واجباته جيدًا ويفرق بين اللهو والعمل. وكان يأمل أن تكون سريته الأولى دوما فى كل شىء رغم المنافسة الشديدة بين السرايا وما تضمه السرايا الأخرى أيضا من كفاءات عالية، طالما ألح فى منح سريته الهدايا لتفوقها وطالما عقد العزم لحث سريته على الفوز مرة أخرى إذا لم يخالفهم عن مشاكلهم ويقوم بحلها مع القادة ومع المسئولين دون تمييز أحد على آخر، وبحكم حبه لزملائه وحبهم له وحب قادته له أصبح دائمًا يطالب بما يحقق المصلحة العامة للوحدة ككل لا لسريته فقط. لقد فكر فى يوم من الأيام فى إنشاء مكان يقضون فيه وقت فراغهم أثناء راحتهم، وفعلا تم إنشاء المكان وهو عبارة عن نادى الوحدة وأطلق عليه (كافيتريا) الوحدة . قاموا هم بالعمل فى هذه الكافيتريا وتطويرها وشكل لها مجموعة مسئولة عنها وعن إدارتها وكان يرتادها الجميع قادة وضباط وصف وجنود، دائم فى تطويرها وتحديثها، اشترك الجميع من ذوى المواهب فى تطويرها وزيادة المتعة، بها، ضمت جميع أنواع التسلية أصبحت قبلة للجميع من الوحدة ومن الوحدت المجاورة الأخرى.

لم يكن اللعب واللهو والتسلية تطغى أبدا على وقت العمل إذا جد الجد. وكان الاستعداد للمعركة هو هم الجميع على كافة المستويات.

وخلال الاستعداد للمعركة أرادت القيادة العامة أن تضيف روح المنافسة بين التشكيلات والوحدات وذلك لإكسابها رفع مستوى

أفضل فقامت بإصدار تعليمات للجيوش بإجراء مسابقات فى الألعاب الفردية والجماعية ومنها لعبة كرة القدم، كان فريق التشكيل الذى به الوحدة وكان يدرب الفريق قائد وحدتهم، وأيضا أصبح مسئولاً عن فريق الجيش الثانى بأكمله يساعده اللاعب الدولى القديم (أمين رشدى) ومعهم خيرى عطية لاعب الزمالك وابن عم عطية عضو الزمالك القديم رحمه الله.

وكان يشرف على المركز الرياضى بالجيش الثانى وقائده الرائد احتياط (الحصرى) وهو اسكندرانى، كان فريق الكرة بالجيش الثانى يلقى عناية كبيرة من القادة على جميع المستويات.

أجريت المنافسات على ملعب الجلاء بالإسماعيلية وكان القصد من ذلك هو اختيار فريق الجيش الثانى من لجنة مشكلة من (قائد الوحدة - وابن بورسعيد الكابتين أمين رشدى وخيرى عطية شهيد معركة أكتوبر) خلال المباريات لفت نظر المدربان أمين رشدى وخيرى عطية لفت نظرهم لاعب مميز هو عبدالعاطى لفت إليه الأنظار حيث فازت وحدته بكل المباريات التى شاهدوها، سألوا عن اسمه بالكامل ووحدته لأن فريق التشكيل كان يضم عناصر من وحدات مختلفة. ولكن قائد الوحدة شغلهم بأمر آخر وقال لهم إننى أعرفه، أما لماذا كانت الإجابة من قائد وحدته بذلك فلأن لذلك سببا وهو أن الموجه إذا غاب عن التدريب فترة طويلة يفقد الحساسية فى التوجيه؛ ولذا فاضل قائد الوحدة بين الاستعداد للمعركة وبين المنافسات فى كرة القدم رغم أنه مسئول عن فريق

الجيش ولكنه فضل أن يظل عبدالعاطى موجهًا متألقًا لأن لاعبى الكرة كثيرون أما الموجهين فنادرين فيكون ذلك لعدة شهور، ورغم رغبة عبدالعاطى وحبه الشديد للكرة ومحاولته إقناع قائده بالانضمام وأنه سيحاول التوفيق بين التدريب واللعب ولكن قائد وحدته استطاع إقناعه برأيه للمصلحة العامة التى كان عبدالعاطى أول المتحمسين لها، وفى كل مرة بعد اختيار الفريق يسأل عنه المرحوم أمين رشدى ويسأل عنه خيرى عطية ويرد القائد أنه لا يعرف وحدته، تكرر ذلك مرات وفى بعضها كان عبالعاطى بين المتفرجين على تدريب أو مباراة لفريق الجيش ويعود فى آخر اليوم لوحدته مع قائده.

انتهى الدورى وعاد الأفراد إلى التدريب فى وحداتهم لقرب يوم المعركة وصدرت الأوامر بالعبور إلى سيناء وذاع صيت عبدالعاطى كصائد للدبابات ونشرت الصحف والمجلات صوره التى عندما رآها أمين شدى رحمه الله أدرك السر فى اختفائه، ضحك كثيرًا وقال لقد شربت المقلب من فلان.

بعد المعركة والانتصار العظيم وعادت المباريات وعادت المنافسة من جديد وتقابل المرحوم أمين رشدى مع قائد وحدة عبدالعاطى وهو ى نفس الوقت كان مسئولا معه عن الفريق وتقابل مع عبدالعاطى وعرف أمين السر وضحك الجميع على ذلك، وعرف الجميع المهم والأهم والأوليات كيف تكون حيث الاستعداد للمعركة ومنهم استعداد قتلة الدبابات وأكلتها أهم من أى شىء آخر.

هكذا كان عبدالعاطى لا هم له سوى الاستعداد للمعركة التدريب الجاد والشاق مع زملائه، واصل التدريب فى جدية وإخلاص حتى ارتفع اسمه قبل المعركة إلى عنان السماء، وكان ذلك بفضل القائمين على تدريبهم حيث كانت الروابط أهم ما يميزهم.

لقد كانت مكافأتهم قبل المعركة أنهم حصلوا على أحسن كتيبة صواريخ مضادة للدبابات بين وحدات الجيش فكان ذلك مبعث الحماس ومبعث الفخر لهم ولقادتهم.

عبدالعاطى والمعركة

بفضل التدريب الشاق والمستمر، وبفضل الرعاية الخاصة التى كان يلقاها هؤلاء الأفراد الموجهون فى الوحدات. ارتفع مستواهم، وكان عبدالعاطى من بينهم. ولم يكن ذلك ناتجًا عن ارتجال أو بالصدفة ولكن كان بعد مشوار طويل وشاق وبعد جهد وعرق منذ بدأ تشكيل تلك الوحدات الجديدة بعد النكسة، نكسة يونيو الحزين والتى آلمت كل فرد. ولقد كانت تلك الهزيمة سحابة قاتمة أمام كل أبناء القوات المسلحة. بل أمام كل الشعوب العربية والإسلامية.

كانت هذه الوحدات مسلحة بسلاح معقد بعض الشىء، وتحتاج إلى جهد حتى يصل الأفراد إلى المهارة فى استخدام هذا السلاح، ويصل الأفراد إلى المستوى اللائق الرفيع حتى يثبتوا للعدو أنه كان مخطئا فى كل تقديراته التى بناها على الغش والكذب وعلى حرب زائفة هشة لم يقابل فيها صلابة القوات المصرية، أما الآن فقد وعت قواتنا المسلحة الدرس، وأصبح لكل خطوة حساب ولكل عمل تقدير سليم.

ولقد دأب العدو على تكرار أن المصريين موتى لا يستطيعون الحركة ولا يستطيعون الحرب وأنهم قد فاتهم قطار الأسلحة الحديثة المعقدة حيث لا يستوعبونها، بنى العدو تقدرياته على هذه الأوهام. ولقد أعدت مجموعة الموجهين كى تعبر مع الموجات الأولى وذلك قبل بناء الكبارى الذى تعبر عليها وحداتنا المدرعة والميكانيكية والأسلحة الثقيلة، وكان الواجب الأساسى أثناء العبور فى أول أيام المعركة لهؤلاء الرجال هو حماية قواتنا المترجلة من الهجمات المضادة والتى سوف تقوم بها قوات العدو بواسطة دباباتها.

ولذا فقد غرست فى هؤلاء الرجال روح الكفاح والنضال والتصدى حتى يتغلبوا على العدو المهاجم، وكانت لجميع القيادات على جميع المستويات جهد رائع فى تدريب هؤلاء الأبطال وكان لهم دور بارز والذى جنى ثماره الجميع خلال المعركة بعد أن ذاع صيت هؤلاء الرجال وهذه شهادة للتاريخ فلقد بذلت لكل القيادات وخاصة قادة هذه الوحدات والذين اشتركوا فى حرب أكتوبر المجيد الجهد والعرق فى تجهيز هؤلاء الرجال ببذل المزيد من الجهد والعرق بعد كفاح ونضال كبير.

ولحسن الحظ أنه كان بين رجال هذه الوحدة أحد الأبطال الذين خلدهم التاريخ وسوف يذكرهم دوما، وهو البطل الذى حطم للعدو هو وطاقمه ٢٣ دبابة بل لا أتجاوز إذا قلت ٢٦ دبابة حيث اشترك مع طاقم آخر فى تدمير ثلاث دبابات وذلك فى قطاع غير

القطاع المخصص له. ولكن احتسبت للطاقم الآخر، لأنهم فى نفس الوقت أصابوا هذه الدبابات الثلاث، هذا الشخص هو عبدالعاطى كما قلنا بذلك. ولقد أذهل هذا الرقم الجميع ولم يصدقه أحد فى البداية، ولكن بعد مراجعة السجلات وتجميعها تأكد الجميع من صحة هذا الرقم.

لقد حطم أبناء قواتنا المسلحة الجيش الأسطورى الذى لا يقهر والقوة الضاربة التى أعدت لتكسير وتحطيم الجيوش العربية أجمع. وتحطمت مدرعات إسرائيل على أيدى الأبطال فى زمن قياس، أثبت الجندى المصرى وهو يقاتل فى العراء دون دروع تحميه ومعه الصاروخ المضاد ولهفة لم ترهبه بتسليحها الضخم، وهناك بطولات بعضها معروف وبعضها غير معروف، وإذا كنا نركز على أحد النماذج فهذا فقط للدلالة على قدرة المقاتل المصرى الفذ حيث إن عبدالعاطى ما هو إلا نتاج لهذه القوات التى جهزت لحماية الأرض والعرض.

توجه عبدالعاطى ضمن وحدته للدفاع عن أرض الأجداد ومع زملائه دافع عن القرية وعن شبابها وشيوخها ونسائها وأطفالها، لم يخرجوا كى يغتصبوا أرضًا هى ملك لأحد ولكنهم يستردون أرضًا سليت منهم فى غفلة من الزمن، ورغم النداءات المتكررة من المجتمع الدولى بإعادة الحق لأصحابه ولكن كل ذلك كان دون جدوى.. وأصبح للقوة فى هذا الزمان معيار كبير ويعمل لها ألف حساب.

ولم يعرف عبدالعاطى ورفاقه هذه القضية وخفاياها إلا بعد أن أصبح أحد الجنود فى القوات المسلحة، لقد فهم المشكلة عن قرب وناقشها كثير من قادته وزملائه وزاد تأثره بالأحداث؛ لذا فقد أرجأ موضوعًا مهمًا كان قد بدأ فيه إلى ما بعد المعركة وهو الاستعداد لعقد قرانه. واعتبر أن المعركة والعبور إلى سيناء هو زفافه الحقيقى. واعتبر أن خوض المعركة عزة والكرامة معركة الشرف هى المهر الذى يقدمه إلى عروسه التى اختارها. لقد أقسم ألا يتزوج إلا بعد المعركة مهما طالت لأنها كانت وشيكة ومرتقبة لأن كل الدلائل تشير إلى ذلك، كيف يتزوج ويفرح وتقام الزينات وقطعة غالية من مصر سليبة؟. كيف يفكر فى ذلك وهو عار لحق بالجميع؟

كيف يدعو المعازيم لإقامة الولائم والعدو مايزال يقبع على الضفة الشرقية لقناة السويس، انه لن يفعل ذلك إلا بعد أن تقام الزينات الكبرى على العروس الكبير وهى سيناء والضفة الشرقية، وقتها فقط يحق له أن يتزوج.

يوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣ خرج مع وحدته لمحو عار الهزيمة، ولقد نظر فى يوم من الأيام وهو واقف على الضفة الغربية استعدادًا للمعركة وجد جنود العدو يمرحون ويضحكون بصوت عالٍ خلف مواقعهم وخلف السد المنيع الذى أقاموه شرق القناة والذى وصل ارتفاعه فى بعض المناطق إلى حوالى ٢٠م. تملكه الغيظ وكتمه وود لو ألقى بنفسه فى مياه القناة ويصل إلى مواقع المتغطرسين ويلقنهم درسا لن ينسوه حتى يتخلص من هذا المنظر

الكريه الذى يؤلمه دوما هو وزملاؤه، ولقد تحدث مع زملائه كثيرا وهم متألمين مثله عن هذه المناظر الكريهة، ولكنهم تمالكوا أنفسهم وقالوا صبرا جميلاً، ودعوا الله من قلوبهم أن يقترب يوم الخلاص، وكانت استجابة سبحانه وتعالى نهاهم يستعدون استعدادات مكثفة لليوم المرتقب.

وفى صباح يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ / ١٠ رمضان الكريم صدرت الأوامر بلقاء القائد كى تلقى إليهم أوامر مهمة، فى لحظة البرق استجاب الأبطال للأمر الصادر، شعر الجميع بأن الساعة المرتقبة قد حانت وأن يوم الخلاص أوشك على الضياء، توجه الجميع إلى الله سبحانه وتعالى ودعوه العون والتوفيق طالبين منه سبحانه أن يوقفهم ويرشدهم إلى طريق النصر على الأعداء، أراد عبدالعاطى وهو بين زملائه أن يتعرف على بعض التعلميات كى يكون له شرف السبق إلى معركة هذه الحظات التاريخية، ولكن قائده قال له إنه لا يوجد وقت للتكرار ويجب أن يصغى الجميع حتى تلقى التعليمات مرة واحدة. فى لمح البصر سادت فترة من الصمت حيث الكل تواق إليها، والتفتوا نحو قائدهم، حول قائد سريتهم فهم فى مكان سوف يعبرون منه إلى سيناء، ظل عبدالعاطى صامتًا متطلعًا إلى قائد سريته الشاب يترقب التعليمات بكل حواسه وجوارحه وفى شوق ولهفة، إلى هذه اللحظة التاريخية فى حياته وحياة زملائه.

ابتسم قائده حيث الابتسامة لا تفارقه دوما، كان بشوشًا مرحا فى كل لحظة وفى كل وقت، قال الضابط (سيد) وهذا هو اسمه فى

حماس وانفعال شديد. لقد تحددت الساعة وجاءت لحظة الخلاص، لقد جاء اليوم الذى كثيرا ما انتظرتموه لمحو عار الهزيمة التى كتبت علينا دون أن يكو ن لنا يد فيها، ستعبرون مع الموجات، الأولى وسيكون ذلك فى تمام الساعة الثانية وعشرين دقيقة.

خصص سيد لكل منهم المهام القتالية المحددة بكل دقة، وركز على واجبات كل منهم.. المجموعة الأولى ستعبر أولا.. ومعها المجموعة الثانية، أما المجموعة الثالثة والأخيرة بقيادة عبدالعاطى ومعه بيومى وعوض.. سادت لحظة صمت عميقة.. بعد أن انتهى قائد السرية من إصدار تعليماته وتوجيهاته وبعد تخصيص المهام القتالية بكل دقة مع تكرارها لكل فرد، ثم تلقى الأسئلة والاستفسارات ورد عليها بكل وضوح وصراحة، وبدأ الأفراد يتساءلون بعد ذلك هل هذه لحظة، حقيقة نعيشها غير مصدقين بكل ذلك؟ أم أن ذلك حلم؟ الكل يسأل ويهمس فيأذن زميله الذى بجواره، وقطع عبدالعاطى هذ اللحظة من الهمس حيث طلب من قائده أن يلقى عليهم الواجبات والمهام مرة أخرى، كان عبدالعاطى يقصد من أن يتقن زملاؤه واجباتهم، ابتسم قائده وقال له سوف أكرر ما قلت مرة أخرى وأظنك الآن أسعد ما تكون أنت وزملاؤك حيث إن ذلك شغلكم الشاغل ولا حديث لكم إلا عن موعد هذه اللحظة، ومتى يحين موعد الخلاص.

كرر الأوامر مرة أخرى وقال أرجو أن ينفذ كل منا ذلك بكل دقة. ولكن عبدالعاطى استأذن من قائده أن يقود إحدى المجموعات

الأولى أو الثانية ليكون له شرف العبور مع الموجات الأولى، رد عليه سيد قائلا فى حزم وإصرار هذه هى التعليمات التى عرضت على قائد الكتيبة فصدق عليها وأقرها بعد مناقشة مستضيفة. لذا أرجو الالتزام وأن تنفذها بكل دقة فلا وقت للكلام أو التعديل حيث إن هناك أمورًا أخرى ومتطلبات يجب أن تؤدى، واستمر فى كلامه إلى عبدالعاطى قائلاً ليكن فى معلومك أن الفرق يبن عبور المجموعتين الأولى والثانية وبين المجموعة الثالثة دقائق معدودة كما هو واضح فى التعليمات التى صدرت، وكعاده تقبل الأمر الصادر بسعة صدر، واستأذن بعد أن اعتذر كى يتم استعداده وفهم أن هذه الأوامر لا رجعة فيها وأنه تم التصديق عليها من قائد الكتيبة.

عادت به الذكريات إلى الماضى القريب، أيام المشروعات حيث كان - فعلا - حكمدار المجموعة الثالثة، وكان دائما يعبر خلال التدريب خلف المجموعتين الأولى والثانية، إذًا لا داعى فعلا للتغيير وأنب نفسه مع ذلك ولكنه فى النهاية رضى بالأمر الواقع.

عمت الفرحة الجميع. وانفرجت الأسارير المكتئبة، وبعد ساعة من صدور الأوامر تقريبا اهتزت الأرض من تحتهم وهدرت المدفعية وصبت وابلا من النيرات عيل مواقع الاعداء، وألقت بحممها وجام غضبها على كل شبر طالته شرق القناة، استيقظ عبدالعاطى وزملاؤه من حملهم. إذًا هى الحقيقة؟

تماما كان حدد القائد الوقت لاشتباك المدفعية وتمهيدها، لقد بدأت المدفعية، وهو السلاح الذى ينتمى إليه الأبطال فى المقصف

ونادى كل فرد فى الموقع الله أكبر.. الله أكبر رددها كل من هو غرب القناة. كانت مدوية عالية.. يالها لحظة من لحظات العمر لا يمكن لأى أحد أن يسجلها مهما وصفها ومهما كان إحساسه. انجه عبدالعاطى ببصره إلى الضفة الشرقية ووجد أفراد العدو مذعورين من هول الصدمة لا يستطيعون التحرك فى مخابئهم والدشمة التى أقيمت لهم، ذلك الخط الذى كلف الملايين طالما قالوا عنه إنه أقوى مانع مائى على مر السنين، فى لمح البصر تحطم عليهم.. لقد أذهلتهم المفاجأة وسيطر الخوف والذعر عليهم.

استقبل الجميع ما حدث فرحين مستمتعين. منظر قوات العدو وهى تختبأ فى الدشمة الخرسانية تحت الأرض، لقد عمت الفرحة الجميع من مفاجأة المدفعية حيث اشترك فى القصف حوالى ٢٠٠٠ ألفى مدفع بطول الجبهة، وفى لحظة تحطم كل شىء على الحركة حيث شلتها المدفعية بتركيزها على الأهداف الحيوية، همس عبدالعاطى إلى جواره ماذا تركت لنا المدافع إنه مازال فى جعبتنا الكثير والكثير، ولم يكن ذلك إلا بداية الانطلاق.

أين ذلك الصلف والغرور الذى كان يصاخب قوات العدو.. لقد كانوا لوقت قريب يتمايلون طربا وفرحا أمامنا شرق القناة وكانت ضحكاتهم تملأ الدنيا ولكنا صبرنا رغم أنهم آثارونا، لقد توعدنا بأن يلقونا فى المياه إذا حاولنا العبور ولو فكرنا فيه، أين الجيش الذى لا يقهر. سبحانك ربى تعز من تشاء وتذل من تشاء.. أخذ عبدالعاطى وزملاؤه يقرءون بعض آيات القرآن.

بعد الزمن المحدد للمدفعية وبعد أن كادت تهدأ سمع الجميع أزيز الطائرات القادمة من الغرب طائراتنا وهى تحلق فى السماء على ارتفاع منخفض ملوِّحة بأجنحتها طائرتنا، وهى تحلق فى السماء على ارتفاع منخفض ملوِّحة بأجنحتها للأطلال على القناة. انطلقت إلى الشرق فى عزة وفى كبرياء تؤدى دورها المحدد فى خفة ورشاقة. مندفعة بأقصى سرعة لها وهى قريبة من الأرض. مرت فوق الموقع الذى به عبدالعاطى وزملاؤه وقام الجميع بتحيتهم برفع أيديهم إلى أعلى ملوحين. ومن حب الاستطلاع أخذ الموقع يعد ويحصى عدد الطائرات التى عبرت فوقه، ثم غابت الطائرات عن أنظارهم وهم مهللين مكبرين داعيين الله بأن يحرسها ويرعاها وحتى تؤدى مهامها. وحتى تؤدى دورها المحدد بنجاح.

فى غمرة الفرحة باقتراب النصرة وفى نشوة الفرح فوجىء الجميع ببطل آخر يقيم هناك على ضفاف القناة لم يترك منزله الذى أقامه، وفجئوا بعم (أحمد) صاحب المنزل والغيظ الذى عسكروا فيه قادمًا وهو يهلل ويكبر ويحتضن الجميع فرحا معرضا نفسه للإصابة نيران العدو وأخذ يبكى ويجهش فى البكاء ويطالب الأبطال أن يشترك معهم فى هذه اللحظة الغالية، اللحظة التى انتظرها الجميع. وعندما تأكد استحالة مطلبه دعا لهم بالنصر، ثم عاد لمنزله وبعد لحظة عاد هو وأبناؤه الصغار يحملون فوق رءوسهم كل ما لديهم من طعام وشراب، كل ما يملكون وأخذ يوزع ذلك على الجميع، وتوسل إليهم أن يطيبوا خاطره ولا يردوه مكسوفًا، كل ذلك والحماس يملؤه، إنه موقف من المواقف النادرة، دمعت الأعين

وتلاقت نظرات الجميع وأحسوا بشىء واحد وهو أن الله سيوفقهم إلى النصر من أجل هذا الشعب الطيب والذى يمثله عم (أحمد) حيث كان لديه الوقت كى يغادر المكان لخطورته ولكنه لم يفعل، رغم أنها كانت مسرح للعمليات ولكنه بقى وأبى فى كبرياء وشمم أن يترك جيرانه من الأبطال فى هذه اللحظات الحاسمة، لحظات كان فيها أبناء هذا الشعب يداً واحدة وعلى قلب رجل واحد. هكذا شعب مصر دائما فى الشدائد فالأخطار توحده وتصهره، هذا هو الشعب المصرى الأصيل الذى كان درعا واقيا لقواته وهى تعبر قناة السويس، إنها سمة من سماته بين شعوب العالم أجمع، عند المحن يظهر هذا المعدن الأصيل، كما ظهرت فى عم (أحمد) وكثيرين غيره، لقد شارك فى المعركة وهو أعزل ولكنه شارك فيها بروحه وعطائه المتواضع إلا أنه كان عطاء الهبه حماس الأبطال، شكره عبدالعاطى وزملاؤه وتعانق معهم لم يترك أى فرد إلا وعانقه.

قال عبدالعاطى متأثراً من هذا الموقف.. هذا هو الشعب المصرى الأصيل، لقد وجد الشعب نفسه وتغلب على أحزانه وآلامه انا لحظة من لحظات العمر.. ودمعت عيناه.. فى هذه اللحظة اختلطت الأحاسيس بعضها ببعض حيث هو وزملاؤه مقبلون على خطوة جديدة لايعلم مداها سوى الله سبحانه وتعالى إلا أن إيمانهم وعزة أنفسهم وثقتهم بنفسهم كل ذلك أعطاهم الإيمان بالله بأن النصر سوف يكون حليفهم بإذن الله.

فى هذه اللحظة صدرت الأوامر بالاستعداد للعبور حيث كان الموعد المحدد وفى لحظة اندفع الأبطال فى خفة ورشاقة كالفراشات اندفعوا نحو الأرض الطيبة، نحو سيناء الغالية لتحريرها من غدر الصهاينة، ألقوا بأنفسهم وأمتعتهم فى القوارب المطاطية المعدة لذلك، إنها قوارب من المطاط صغيرة الحجم، ولطالما تدربوا عليها ويعرفونها عن يقين.. وفى خفة اندفعت هذه القوارب محتضنة مياه القناة. اندفعت نحو الشرق وهى تزغرد. أخذت السواعد الفتية فى استخدام المجاديف وسارت جميعًا فى موكب بهيج نحو الشرق.. كانت حركة القوارب موحدة كأنها سيمفونية تعزف، اندفعت بين الأمواج المتلاطمة من كثرة عدد القوارب. اندفعت كالسهام يسيرها الأبطال حتى لمست الشاطئ الشرقى، وفى سرعة البرق أيضًا وفى رشاقة الغزلان، تسلق الأبطال الساتر الترابى، الذى لم يشكل لهم أى عبء وصعدوا إلى أعلى فى لحظات معدودة، لم ينس عبدالعاطى أن يساعد بعض الأفراد المتعثرين عندما عبر فى تسلقه الساتر الترابى وهو ينادى بأعلى صوته وحوله الزملاء الله أكبر.. الله أكبر. لقد صعد الساتر فى لمح البصر، ساعدته لياقته البدنية العالية، وهو الذى انتظره هذه اللحظة ولقد صعد الساتر الترابى دون أية مساعدة من أحد ولكنه كان هو الذى يبدأ بالمساعدة. تبعه أفراد طاقمه. لم ينس عم أحمد أن يساعد الأبطال فى ركوب القوارب المطاطية بحمل معداتهم وحقائبهم وألقاها فى القوارب ومعه من حوله أطفاله الصغار وهم يهللون جميعًا الله أكبر.. الله أكبر.. وأخذ يدعو لهم

بالنصر على الأعداء.. ودعا الله أن يحفظهم ويحقق على أيديهم النصر، وأن يحرسهم ويحميهم من كل سوء، وازداد حماس الأبطال وأشعل دعاؤه فيهم الحماس وتشوقهم للقاء العدو، نظر إليه عبدالعاطى وهو راكب القارب وأخذ يحييه ويلوح له حتى وصل إلى الحافة الشرقية.

وعندما وطأت قدما عبدالعاطى رمال سيناء بهرته بجمالها وهى تستقبله تكسوها أشعة الشمس الذهبية، فازدادت جمالا على جمالها، وكأنها قد زينت تنتظر قدوم أبنائها حتى يخلصوها فقد مرت فترة طويلة على احتلالها. نادى الجميع مرة أخرى الله أكبر.. الله أكبر.. إنها لحظة من اللحظات التى لا تنسى، لقد انتظر أبناء مصر هده اللحظات الغالية.. وقام الكثيرون منهم بتقبيل أرضها الطيبة. لطالما انتظروا هذا اليوم الموعود. البعض منهم أمسك بحفنة من رمال سيناء كى يسمح بها وجهة وكأنه علاج من الأمراض.

وهنا سمع الجميع صوتًا عاليًا مدويًا يقول للأبطال كل منكم لابد أن يتذكر واجبه الرئيسى. لنترك العواطف الآن وأصدر الأوامر للقادة الأصاغر على جميع المستويات بالسيطرة على أفرادهم وأن يستعدوا للاشتباك مع العدو فى أية لحظة، كان ذلك الصوت هو صوت قائد السرية.

قام عبدالعاطى بإصدار الأوامر إلى مجموعته وإلى طاقمه بالاستعداد، اندفع الجميع إلى الشرق ترعاهم رعاية الله وتحميهم

وتصونهم إرادته، لم يعبأ أى منهم بما يحمل من أمتعة وعتاد..
تسابقت الخطى نحو الشرق فى البداية لم يجدوا أثرًا للعدو حيث
كانت المفاجأة مذهلة من جانب العدو والصدمة أقسى مما يتحملون
تقدم عبدالعاطى خلف قواته، وفى الوقت المحدد والمكان المناسب
استعد للاشتباك فى شوق كى يطلق أول صاروخ له على أى هدف
من أهداف العدو. بعد فترة وجد غبارا كثيفا خلفته بعض دبابات
العدو. دقق نظره بعينه ثم بالمنظار. صدرت له الأوامر بالاشتباك
الفورى عندما تدخل الأهداف مرماه المؤثر، فرح واستعد لهذا اللقاء
أراد حيث قامت بعض وحدات المهندسين واندفعت فى طريق
دبابات العدو وزرعت أمامها الألغام، وكانت مهمة شاقة وخطيرة
أداها أبطال المهندسين، ولكن هذا هو الجندى المصرى نسى فى
لحظة أى خطر يهدده وهانت روحه من أجل وطنه الغالى، فمصر
هى كل شىء بالنسبة لهم أولهم وآخرهم وكل شىء فى الوجود..
أوشك عبدالعاطى فى إطلاق أول صاروخ له حتى يوقف هذه
الأهداف المعادية والمندفعة نحو قواتنا فاقدة وعيها وذلك واضح من
أسلوب سيرها، وعندما اقترب الهدف وكان عبارة عن دبابتين
وعربة مدرعة وعليها فأرادها الذين يزيدون على العشرة وبعد أن
أيقن عبدالعاطى أنهم صيد ثمين وقبل أن يطلق الصاروخ وإذا بهم
يدخلون فى منطقة الألغام المزروعة، وفى لمح البصر دوت
الانفجارات واشتعلت فيهم النيران وتناثرت جثث الأفراد وهلل
الجميع وكبر، لقد قتل كل أفراد العدو سواء فى الدبابات أو بالعربة
المدرعة، ومن فر منهم تم أسره بواسطة قواتنا القريبة منهم. لقد

كان المنظر رائعا مما زاد حماس الأبطال وألهب مشاعرهم وتمنى كل منهم أن يلقى العدو حتى يكون له الشرف فى سبق الجميع بتدمير دباباته.

أيقن عبدالعاطى أن ما حدث أمامه لا يقلل من قيمة العدو وأنه عدو غادر لا أمان له فهم يبدون داخل الدبابات وفى استخدامها أنهم مدربون جيداً، ولذا لا يجب أن يقلل من قيمتهم ولكن العناد والإصرار يدمرهم يجعلهم عاجزين عن الحركة، هكذا يبدو العدو من أول وهلة. ولكنه لم يكن سعيداً بتدمير دبابات العدو بواسطة الألغام وان فرح بذلك وقال فى نفسه: المهم أنهم دمروا ولم ينج منهم أحد ومن هرب من أفرادها فقد أسرته قواتنا طيب بعض زملائه بجواره خاطره وقالوا له إن المعركة طويلة ولا داعى للعجلة. وفعلا اقتنع عبد العاطى أن المعركة مازالت طويلة والمهم هو تدمير الدبابات المعادية، وهذا شرف فى حد ذاته يناله من يدمرها.

وحسب التعليمات التى صدرت إليه من قبل فهو احتياطى فى يد قائده واجبه الأساسى حماية قواتنا فى الأمام ضد أى اختراقات أو كثرة عددية قد تقابلهم وقتها وسيقوم هو بمعاونة من يحتاج إلى المعاونة، ولكن زملاءه فى الأمام لم يتركوا دبابات العدو تقترب منهم وقد انقضى اليوم الأول فى سيناء لم يشتبك مع أى هدف وسبب له ذلك قلقاً شديداً. وحتى الآن لم يدمر أى هدف مثل بعض زملائه حيث استمع إلى أخبارهم من خلال قائده وجهاز اللاسلكى الذى معه عندما يعلنون عن تدمير الأهداف الواحدة بعد الأخرى، ورغم

أنه كان سعيدًا لأن بعض زملائه دمر أهداف العدو من الدبابات والعربات المدرعة وهم يتسابقون إلى ذلك ولكنه كتم غيظه وهو يحدث نفسه بصوت عالٍ لماذا هو ضمن الاحتياطى ولماذا لم يعط الفرصة مثلهم وهو الذى استعد تماما لهذا اليوم. وقال أيضًا ألم يكن من الأفضل أن يكون معهم الآن وأن يكون مكانه فى المقدمة مع زملائه.

ونظر إلى قائده، وكان قريبًا منه يطمئن عليه وفهم على الفور ما يدور فى نفسه. عرف القائد الذى كان يحس بكل فرد من أفراده أن عبدالعاطى يريد أن يقول شيئا، ابتسم له القائد وقال له اصبر فمازال أمامنا الكثير والمهام ثقيلة ولا تقلق، وسكت عبدالعاطى ولم يعلق على كلام قائده. وفى اليوم التالى وهو ينتظر فى موقعه لم يحدث شىء ومر كسابقه ولم يكن له نصيب يذكر.

استمع عبدالعاطى إلى التقارير عن زملائه الذين دمروا الدبابات منهم من دمر أربع دبابات، ومنهم من دمر أقل كانت هذه الأخبار تسعده وفى نفس الوقت تؤلمه وتسبب له الكثير من المعاناة، وأيضا سمع من بعض رفاقه الذين استشهدوا فزاد قلقه وزادت حيرته خصوصًا أن من استشهد بعضهم كان صديقًا حميمًا له ورفيق كفاحه أمثال (جعفر بيومى - وصبحى يعقوب - وحامد عيد) بعد أن ضربوا أروع الأمثلة فى التضحية والفداء، ولكنه آثر كتمان ذلك على باقى الموقع حفاظا على معنويات الأفراد وذلك لشدة تعلقهم ببعض والرابطة القوية التى كات تربطهم، وامتثل للأوامر

والتعليمات الصادرة إليه من قائد السرية ومر اليوم الثانى فى المعركة وأقبل اليوم الثالث فلم يطق عبدالعاطى نفسه وعلى الفور ذهب إلى قائد سريته وقال له أنه يستأذن أن ينضم إلى وحدة من الوحدات الأمامية بدلاً من زملائه الذين استشهدوا أو يحل محل أى منهم يكون قد أصيب وألح فى طلبه. ولكن قائده رد عليه فى رفق قائلا: مكانك هناك معى وأنا أدرى أكثر منك بمتطلبات المعركة وكل خطوة تخطو لابد أن تكون بتصديق من قائد الكتيبة الذى لديه الموقف كاملاً وهو الذى يعطى الأوامر بإحلال أحد محل الشهداء والمصابين.

فى هذه المرة سالت الدموع من عينى عبدالعاطى، وكانت هى الوسيلة الوحيدة التى عبر فيها عما يدور فى نفسه، جلس حزينا مكسوفًا من نفسه وأمسك به قائده وربت على كتفيه وطيب خاطره، ولكن كان القائد (قائد سريته) مسرورًا جدًا بذلك في خلال ذلك اليوم مر عليهم قائد الكتيبة يتفقد مواقعهم وذلك كى يطمئن علهيم وأحوالهم رغم أن البلاغات تصله أولاً بأول من خلال الأجهزة اللاسلكية أو الخطوط التلفزيونية فى بعض الأوقات، لقد كانت مهمة القائد ثقيلة لتحركه على طول خط التشكيل حيث ينتشر رجاله على طول الخط بخلاف الاحتياطات التى كان تتمركز خلف قوات المقدمة كموقع عبدالعاطى.

وعندما تقابل عبدالعاطى مع قائد كتيبته شكا له ما يدور فى نفسه فنهره القائد وقال له: نحن فى ميدان قتال وليس فى نزهة

لابد من تنفيذ الأوامر بكل دقة ولا داعى للعجلة وإذا تركنا كل فرد على هواه فسوف يكون الموقف سيئًا جدا، وقد يحدث ما لا يحمد عقباه؛ لذلك أرجو الالتزام بكلام قائدك وتنفيذه بكل دقة.. كان كلام القائد قاطعا وكانت التعليمات الصارمة واضحة.

فى ظهر اليوم الثالث (٨ أكتوبر) صدرت الأوامر إلى موقع عبدالعاطى باحتلال مكان تم تحديده على الخريطة، حيث هناك قوات للعدو ستعبر هذا المكان وتهدده ومطلوب منه عمل كمين لهذه القوات لأنها تهدد قواتنا فى الأمام، استقبل قائد السرية الأمر خلال الإشارة التى صدرت وفى سرعة ودقة حدد المكان على الخريطة واستخدم أسلوبه المعتاد فى قياس الخريطة، وأصدر أمره للرجال بالتحرك الفورى خلفه، نهض عبدالعاطى كالمارد ومعه باقى الموقع وعلت الابتسامة وجهه فاختلطت الدموع بالابتسامة. إنه منظر لا يوصف إن دل فإنما يدل على أصالته ورباطة جأشه. تدل على نبتة هذا البطل ابن الريف الذى شب فى بيئة طيبة.. اندفعت المجموعة خلف القائد لكى يعد عدته، هناك عربة القائد بطاقم قيادته وعربيتان للمجموعة طاقم عبدالعاطى ومعه طاقم آخر في أول عربية، وطاقمان آخران خلفه في العربة الثانية ثم في الخلف عربة الذخيرة انطلقت المجموعة كالمارد كالعملاق تنبش الأرض فى سرعة جنونة صوب الموقع المحدد. ولا ندرى إذا كان ذلك من حسن حظ عبدالعاطى أم لسوء حظ العربة الأخرى حيث غرزت العربة فى كثيب من الرمال السائبة ولم تتحرك رغم المحاولات العديدة ولكن باقى الموقع لم يتوقف لأنه لا مجال للتأخير ومن يصل يؤدى

المهمة، احتل عبدالعاطى المكان حسب التعليمات وبجواره صديق عمره (بيومى الشهير بعزمى والذى كان يقود الطاقم الآخر فى العربة التى بها عبدالعاطى وبيومى الذى أدركا خطورة الموقف، أصدر القائد أوامره بالاستعداد بالاشتباك الفورى عند ظهور دبابات العدو فى المرمى المؤثر. وحذر القائد بتشديد الرقابة على دبابات العدو خوفا من الخداع الذى تقوم به، استعد عبدالعاطى وطاقمه كما استعد بيومى أيضا، أصدر أوامره بتجهيز الصواريخ للإطلاق واستعد الطاقم واستعد الجميع وأخذ الكل يرقب الأرض من كل الاتجاهات، وكذا التبات العالية التى أمامهم وحولهم وبعد فترة زمنية قصيرة تقدمت دبابات العدو سالكة طريقًا مخفيًا. ولم تدر ما يخبئه لها القدر لأن الأبطال كانوا يختفون حول هذا الطريق، ثم تقدمت الدبابات كان عدد (١٢ دبابة)، تخطت الميول التى أمام الموقع أصوات الجنازير عالية تركت خلفها سحبة من الرمال الغزيرة وكذا من الدخان، حذر القائد من الاشتباك إلا بعد ظهور كل الاهداف حتى لا تهرب وتفر من المعركة. رغم خطورة ذلك إلا أنه كان واثقًا من رجاله رغم قلة عددهم، وبعد أن ظهرت الدبابات المعادية وكانت فى المدى التى يسمح بتدميرها أصدر القائد أوامره بالاشتباك.. هدرت الصواريخ وزمجرت صوب دبابات العدو.. وفى نعومة أيدى الأبطال التى أخذت تسيطر على الصواريخ الملتهبة وهى تتجه صوب أهدافها وتدميرها ودبابات العدو لا تجد ملاذا للفرار أو الاشتباك، كان من مقدمة المشتبكين عبدالعاطى وتبعه بيومى، وكان سباقًا رهيبًا بين الأبطال وبينهم

وبين دبابات العدو، وكل منها يريد أن يكون له السبق فى تدمير أكبر عدد من الدبابات خصوصًا عندما رأوا أن الصاروخ يساوى دبابة ولا تحتاج إلى آخر، استمرت الصواريخ تصوب وتعلن عن مولد نجم فى سماء المعركة، مولد عبدالعاطى صائد الدبابات.

حاولت دبابات العدو التخلص من المعركة ولكن هيهات والصواريخ تتابعها وهى تلوذ بالفرار. آخذت دبابات العدو تلف وتدور عليها تهتدى إلى الموقع الذى يشتبك معها دون جدوى..وتبحث مرة أخرى عن ملجأ أو عن مكان تختفى فيه وعندما أكتشفوا الموقع أرادو الالتفاف من حول الموقع لتدميره ولكن إصرار الأبطال كان أسرع وبشجاعة الرجال وإيمانهم وتفوقهم قضوا على كل الدبابات ولم يترك عبدالعاطى ومعه بيومى أية فرصة لهم للإفلات أو الاشتباك معهم. دمر عبدالعاطى (٩ دبابات) ودمر بيومى (٤ دبابات) ودلك فى فترة زمنية لا تتعدى العشرين دقيقة تعالت الصيحات والهتاف بعد تدمير الأهداف منادية الله أكبر، أقبل قائد السرية على رجاله فى هدوء وثقة وعانقهم وأقبل إليه عبدالعاطى فى قفزات سريعة وعانق القائد عناقًا حارًا، ثم حضرت العربة التى تعطلت وكان بينهم عوض الدغيدى حيث قال وهو يمزح كان لازم تسيبوا لنا حاجة، لقد قضى الأبطال على سرية كاملة من دبابات العدو، أظهرت هذه المعركة البسيطة إذا قورنت بمعارك أخرى ضارية معدن المقاتل المصرى الذى أعد إعدادًا جيدًا وعلى قدرة المقاتل المصرى وتخطى المخاطر والأهوال، لقد اعتمد العدو على التفوق فى المعدات ونوعيتها، أما أبطالنا فقد اعتمدوا على إيمانهم بالسلاح أذى معهم وبإيمانهم بربهم وإيمانهم أيضًا

بقضيتهم فهو يدافع عن أرضه السليبة ويدافع عن عرضه، لقد كسب المعركة صاحب الحق وصاحب الأرض.

بعد هذه المعركة المهمة فى حياة عبدالعاطى والذى يفخر بها دوما أخذ يسأل عن زملائه وما دمروه من أهداف معادية، لقد كان هناك صراع كما قلنا بين الأبطال حتى ينال كل منهم شرف لقب أعلى رصيد فى تدمير الأهداف للعدو، كل منهم يسعى لأن يكون صاحب أعلى رصيد، كذا كان هناك صراع بين الوحدات بعضها وبعض تماما مثلما كان يحث فى التدريب والتنافس بينهما، ظلت هذه الروح هى السائدة خلال المعركة ولم يكن ذلك مصحوبا بالغرور.

خلال فترات الهدوء التى سادت أرض المعركة كان الأبطال يلتفون حول قائدهم وهم يتسامرون وروح الدعابة لم تفارقهم أبدا، فنجد من يقول مداعبًا يا أفندم دبابات العدو تبدو أمامنا أكبر فى الحجم من الأهداف التى كنا نتدرب عليها يقصد أن الأهداف كانت صغيرة، ضحك الجميع لذلك، وقد زالت الرهبة من الجميع وعاشوا جميعا جو المعركة أو اكتسبوا تطعيم المعركة كمل يقول العسكريون، ظل الأبطال يدًا واحدة الكل يدافع عن موقعه والكل ينبه بعضه بعضًا عن أى معلومات ولو كانت بسيطة عن العدو.

ذاع صيت عبدالعاطى بعد هذه المعركة الخالدة وتحدث عنه كل أفراد التشكيل وأصبح أسطورة بمعنى الكلمة، فها هو ذا استطاع أن يدمر ١٣ دبابة من دبابات العدو، وقد علم عبدالعاطى بشهادة بعض

زملائه وعلى الفور دار شريط ذكرياته وتذكر الوقت الذى أمضوه فى انتظار اللحظة المرتقبة، لقد طهروا بدمائهم أرض سيناء الغالية لقد دفعوا عن أرضهم فى بسالة وفدائية، وكما كانوا رجالا فى التدريب أيضًا استشهدوا أبطالا يشار اليهم بالبنان، وأدرك على الفور أن شهادة أشقائه الذين كانوا أغلى عنده من أى قريب أن صديق إنما يزيده ذلك حماسا ويشعل نار الرغبة فى الانتقام لهم من العدو فأما أن يلحق بهم أو يثأر لهم حتى يتم تحرير أرضهم الغالية مع زملائه ورفاق كفاحه.

أثناء ذلك وبينما هو يفكر فى زملائه صدرت له الأوامر باحتلال موقع جديد، ذهب إلى موقعه الجديد فوجده عبارة عن تبة عالية تسيطر على الأرض من حولها، والأرض حولها ليست منبسطة فهناك الثنيات الأرضية، كان معه فى ذلك الموقع بيومى، عوض، موسى، كان يقودهم أيضًا قائد سريتهم، قام بنفسه فى اختيار المواقع وتحديد القطاعات لهم كل حسب أهميته وقام بتوزيع المهام عليهم، لم يمض وقت طويل إلا وهاجمت الموقع الجديد ست دبابات أخذت تزمجر وتهدر وتصب عليهم وابلاً من طلقات مدافعها، لم يترك عبد العاطى الفرصة لأحد وهو أصلا مستعد من وقت احتلاله الموقع فدمر منها خمس دبابات مرة واحدة أيضا فى وقت قصير كسابقه كان يساعده فى ذلك الوقت قائده رغم أنه أصيب فى يده إصابة بسيطة خلال قذف الدبابات، ولكنه كان يعد ويجهز له الصواريخ لم يترك عبدالعاطى هذه الدبابات فقد تمكن منها، ولكسبه الوقت كان يساعد الطاقم فى إعداد الصواريخ، وفرت

الدبابة السادسة نحو الشرق، هربت من الجحيم الذى قابلته، ندم عبدالعاطى على فرارها، وكان يود تدميرها أيضا، وتذكر عبدالعاطى أن قائده قد أصيب خلال المعركة فتوجه إليه مسرعا حتى يقدم له الإسعافات الأولية ويشد من أزره فى حب صادق وإخاء.. وكان عبدالعاطى خلال هذه المعركة قد دمر تلك الدبابة التى أصابت قائده. رقدت الخمس دبابات أمام الموقع متفحمة محترقة، وزاد التهليل من كل أفراد الموقع مشيدًا بكفاءة هذا البطل الهمام الذى استخدم كل الفنون فى قتال دبابات العدو فهم أول من يعرف ماذا فعل وكيف أنه بدأ فى تدمير الدبابات البعيدة أولا حتى لا تخرج من المدى وأنه اشتبك مع الدبابات القريبة بعد ذلك التى حاولت الفرار.

ازداد ترديد اسم عبدالعاطى فى التشكيل، وبدأت شهرته تزداد بين الجميع كذا معه زملائه ولم يمض على المعركة بعد سوى أسبوع فقد تألق النجوم وأصبحوا من المشاهير كنجوم السينما والكرة، ولكن عبدالعاطى أصبح فى مقدمة النجوم الأبطال الذين أدوا دورهم فى المعركة على أحسن ما يكون الأداء والعطاء حيث دمر الأبطال دبابات العدو وحطامها مايزال أمامهم.

انقطع الهجوم من على هذا الموقع فترة زادت على أيام، لم تقرب دبابات العدو من موقع عبدالعاطى وزملائه.. أيقن العدو وأحس بالخطورة والمصير الذى ينتظره إذا اقترب منه، قلنا إن الهجوم انقطع لعدة أيام وصلت إلى الأربعة أيام، مرت هذه الأيام على

البطل ثقيلة كئيبة وقاسية وبلغ به القلق أن شعر بالملل فهو يريد الإضافة، وكانت هذه حطة قواتنا وهى استنزاف قدرة العدو إلى أقصى درجة، اقترب من قائده كى ينتقل إلى موقع آخر تعرض للهجوم ولكن الرد كان كما توقع، المواقع الأخرى بها من الأبطال من يدافع عنها فزملاؤك يؤدون الواجب مثلك تماما.

خلال المعارك وفى فترة هدوء مر قائد الكتيبة على رجاله يحثهم على مواصلة العطاء لدحر العدو، وأيضا كى يطمئن عليهم.. جلس القائد مع المجموعة التى فى موقع عبدالعاطى.. افترشوا الرمال وتحدث معهم القائد فى أحوال المعارك والوقف بالكامل وما ينتظر من العدو وأعطاهم التوجيهات اللازمة، كانت جلسة عائلية تضم الأب والأبناء من حوله، تلك هى الروح التى سادت خلال المعارك، لم يترك عبد العاطى الفرصة تمر دون أن يتحدث مع قائد كتيبته الذى أحبه وكان له فضل كبير عليه، فطلب من قائده أن يخصص له أى مكان آخر معرض لهجوم العدو لأن قطاعه أصبح هادئًا، وأضاف يا أفندم هذا القطاع انقطع عنه الرزق وابتسم الجميع وضحك عبدالعاطى عندما قال مفيش هنا (أكل عيش) وأكل عيش الموجهين هو تحطيم الدبابات التى يقابلونها من دبابات العدو، لم يرد القائد ولم يجد لحديثه صدى لدى القائد الذى اكتفى فقط بالنظرات إليه، وفهم عبد العاطى ما تقصده نظرات قائده، رضى عبدالعاطى بنصيبه وقال فى نفسه لابد من أن هناك هجمات أخرى للعدو على هذه الموقع لخطورته خصوصا أن قائدهم حذرهم وأوصاهم بمنع دبابات العدو من المرور من هذا الموقع أو حتى

الاقتراب منه لأنه مكان خطير يسيطر على مساحة شاسعة، كذا أوصاهم قائدهم بالحذر واليقظة من أسلوب العدد فى قتال المدرعات وهو محاولة الالتفاف حول الموقع واحتلاله، كان موجوداً فى هذا اللقاء كل الأفراد ومنهم قائد الموقع وموجهين آخرين مثل بيومى وعوض، لم يطل انتظار عبدالعاطى ففى صباح اليوم التالى وكأن العدو قد درس طبيعة الموقف وعمل الأفراد به خصوصا وقد خسر خمس دبابات فى هجوم واحد. وفى خسة وغدر احتلت دبابة من دباباته موقع مخيفا عن المراقبة ولم يظهر منها شىء، صبت هذه الدبابة نيرانها من الأسلحة الثقيلة على الموقع وكانت النيران مباشرة تماما، واستمر القذف السريع والمتتالى ثم تختفى كى تجهز الذخيرة وتبدأ مرة أخرى فى القصف، اختفى الأبطال ونزل عبدالعاطى إلى موقعه الصغير. لم يظهر منهم أى شىء أيضا.

وأعدوا أنفسهم للرد على هذا الهجوم الغادر. استمروا فى المراقبة ورأوا الدخان وحددوا المكان بدقة، ولكنه مكان غير صالح للاشتباك رغم أنه داخل المدى حيث الدبابة خلف مجموعة تلال يصعب الإصابة المباشرة لها. أبلغ عبدالعاطى عن رؤيته مكان الهدف لقائده وأن الهدف داخل المرمى. لم يصب أحد من الأبطال رغم القصف الثقيل من مدفع الدبابة فى كل مكان وكما مكان عبدالعاطى يحاول اكتشاف الدبابة فعل الجميع ذلك وهو أمر صدر إليهم، أعطى القائد الأمر بالاشتباك إلى عبدالعاطى بعد أن عرف

طبيعة الهدف حيث يعلم القائد أن بعدالعاطى هو الوحيد الذى يمكن له الاشتباك مع هذه الأهداف المختفية.

وبالتالى أصدر عبدالعاطى أوامره لطاقمه بالاستعداد للاشتباك، وعندما هدأ القصف عرف أن الدبابة تحاول تعمير ذخيرتها مرة أخرى، أيقن عبدالعاطى أن الصاروخ الأول لابد من أن يدمر الدبابة وإلا قضى على الموقع، أطلق عبدالعاطى الصاورخ وقام بتوجيهه إلى أعلى حتى لا يصطدم بالتلال، وحسب ما قدر هبط الصاروخ إلى المكان الذى به الدبابة فأصابها فى مقتل واشتعلت فيا النيران، وطارت الجثث منها إلى أعلى وارتطمت بالأرض وعلى الفور أبلغ عن تدمير الهدف تماما، توكل على الله فى إطلاق صاروخه لأن الهدف من الأهداف الصعبة التى يصعب الاشتباك معها ولكنه فعل ووفقه الله وأضاف إلى رصيده دبابة أخرى، هنأه الجميع على ذلك ولكنهم بحرارة أقل لأنهم تعودوا على الموقف وأصبح تدمير الدبابات هوايتهم المفضلة.

ترددت أسماء أخرى بجوار اسم عبدالعاطى فتردد اسم عوض الدغيدى - بيومى - أبو الفتوج - بكر العادلى - ومن مواقع أخرى شحتة الهابط وخلفهم من يشد أزرهم ويعطى لهم الأوامر، جنود مجهولين تعبوا وأخلصوا فى تدريبهم وتعليمهم فكانت هذه النتيجة الهائلة، هؤلاء هم القادة الأصاغر والمعلمون الذين أخلصوا فى تدريبهم والذين تحمسوا لوحدتهم فى التدريب الجيد حتى أصبحوا الدرع الواقى الذى يصد كل عدو متغطرس، ولقد تحطم على أيدى

هؤلاء الأبطال الموجات المتتالية من دبابات العدو التى حاولت التدخل فى عبور قواتنا المتتالى وإنشاء المعابر.

كان الجميع فى المعركة على قلب رجل واحد فى صياحهم وابتهالاتهم إلى الله التى أرهبت العدو وأعطتهم الحماس الذى قوى عزائمهم فلقنوا العدو درسا قاسيا لذلك الأداء المذهل فى فنون القتال الذين غيروا من موازين القوى وقلبوا كل التوقعات رأسا على عقب. ولقد حلل العسكريون هذه المعركة تحليلا دقيقا واعترفوا فى النهاية بقدرة الجندى المصرى وأخذ العالم كله يدرس ويفحص للاستفادة من أسلوب قتال هؤلاء الأبطال وخرجوا بالدروس المستفيدة التى خرجوا بها نتيجة لذلك ونتيجة لما فعله المصريون فى هذه الحرب.

بعد أن دمر عبدالعاطى هذه الدبابة اشتد غيظ العدو وزاد حنقه على من فى هذا الموقع، وأراد أن ينتقم منهم حيث عجز أمامهم فى استخدام كل الأساليب، ولقلة حيلة قواته المدرعة والميكانيكية أمام الأبطال قرر أن يستخدم أسلوب آخر فى القتال فأرسل طيرانه الكثيف لقصف هذا الموقع بجميع أنواع القذائف وبكل ما أوتى من قوة علما بأن الموقع به من الأفراد فقط عدد لا يتجاوز الخمسة عشر.

ألقت الطائرات عليهم كميات هائلة من القذائف، حيث أرادوا أن يفنوهم عن آخرهم ويحتلوا الموقع، لقد أراد العدو لهم الفناء ولكن الله أراد لهم البقاء حتى يظلوا شوكة فى حلقه، لم تترك دفاعاتنا

الجوية طائرات العدو تفعل كما تريد فتصديت لها على الفور واشتبكت معها ولقنته درسًا قاسيًا، فلقد أصابت عددا من الطائرات المغيرة فكانت قذائفها طائشة، وقوى هذا من عزم الرجال فازداد الأبطال رباطة جأش وتمسكوا بموقعهم أكثر وأكثر، ثم تلى غارات الطيران قصف المدفعية المركز من مدافع طويلة المدى وعلى الفور ردت عليها المدفعية وأسكتتها تماما.

بعد ذلك ظن العدو رغم خسائره أن الموقع قد دمر وقد أصبح ميسرا لهم احتلاله، دفعت ثلاث عربات مدرعة عليها أعداد من الأفراد الذين أعدهم لاحتلال الموقع الذى سبب لهم الذعر وأخرجهم عن وعيهم، ولقدرها المحتوم اقتربت هذه المدرعات الثلاث كى تحتل الموقع، ولسوء حظها كانت الثلاث فى قطاع عبدالعاطى وعوض أطلق الأبطال الصواريخ صوبها فى وقت واحد أصاب كل منها الهدف الذى تحدد له، حاولت الثالثة التقهقر والإفلات واستدارت كى تنفذ بجلدها من هذا الجحيم ولكن أنى يكون لها ذلك وهى كنز ثمين، فأطلق كل منهما صاروخه الثانى نحوها حتى تكون من نصيبه على حد قولهما ولم يعبأوا بالأمر الصادر فأصاباها فى لحظة واحدة وأبلغ كل منهما عن إصابة هدفين، أراد كل منهما أن تكون من نصيبه كى يزداد رصيده، تناثرت الجثث من أعلى المدرعات الثلاث.. بجوارهم يرقب قائد السرية وذلك حتى يرى النتيجة. لقد أطلق كل منهما الصاروخ فى لحظة بالاشتباك ماذا يفعل؟ ولمن يحتسب هذه الدبابة. على الفور أدرك القائد أن العربة المدرعة تقع فى قطاع عوض وليس فى قطاعه وأنه فعلا أصدر أمرًا بأن يشتبك معها غيرهم ولكنه لم

يفعل واشتبك معها عوض فهذا حقه، ضحك عبدالعاطى وكل الموقع وتعانق البطلان ونسيا كل شىء إلا العدو.

هدأت المعركة فى هذا القطاع والعدو جرب فيه كل الحيل.. وكانت الراحة أيضا حسب الأوامر الصادرة لهم، استراح عبدالعاطى أول الليل حيث انقطعت هجوم العدو على الموقع وإن كان يجرب فى أماكن أخرى، ورغم الراحة ولكن الكل يقظ وحذر، من بين طاقم عبدالعاطى كان جنديًا يدعى عبدالفضيل) ساعده الأيمن يعتمد عليه فى كل شىء يعامله كشقيقه الأصغر، حل عليه الدور فى الراحة فأيقظ عبدالعاطى حتى يأخذ دوره فى الخدمة، وبطبيعة الحال وهو فى ميدان المعركة أخذت الأحلام تدور فى رأسه وهو نائم، وخلال حلمه رأى أن دبابة مقبلة عليه وتتقدم فى اتجاه الموقع وكأنها تائهة أو تفر من شىء ورأى أن الدبابة مسرعة نحو الموقع فقام عبدالعاطى بتدميرها فى المعرض الذى أقامه الأبطال أمامهم أنه منظر غريب سوف يذكره التاريخ على مر السنين والأيام، هذه الرؤيا رآها عبدالفضيل فى منامه الراحة أخذ ينادى بأعلى صوته الحق يا عبدالعاطى. وقال لهم إنه استيقظ من نومه فلم يجد شيئًا وعندما سألوه عن الساعة أخبرهم بها ضحكوا جكيعا.. سألهم عن السبب قالوا له إن عبدالعاطى فعلا دمر دبابة وهو نائم وأن حلمه صحيح.

توالت الأيام فى سيناء وتوالت المعارك وهم فى موقعهم مثل الأسود الضارية، وفى أحد الأيام فوجئوا بتجمع سرية من دبابات

العدو وأخذت لها مواقع خارج مدى الصواريخ ورصدها الأبطال أمام أعينهم. بعد فترة زمنية أخذت تقصف الموقع بطلقات من مدافعها المختلفة ونزلت الدانات على الموقع دون هوادة. ولكن بحسن تصرف الأبطال فى إخفاء مواقعهم لم تنل منهم هذه القذائف. انتظر الأبطال تقدم هذه الدبابات التى بدأت مدفعيتها الطويلة فى التعامل معها، ولكن الدبابات لم تتقدم بعد هذا القصف المركز على الموقع، لم يحرك القذف للأبطال ساكنا فهم يعرفون متى يشتبكون، دمرت المدفعية وأسلحة المشاه الأخرى أمامهم جزء من هذه الدبابات، ولم يتحقق للأبطال ما أرادوا حيث انتظروا هذا الصيد طويلا.

لم يكن هذا الصيد هو الوحيد الذى أفلت منهم، ولكن هناك بعض الدبابات التى هربت وأفلتت منهم، حيث شكل هذا الموقع للعدو مانعًا قويًا ضد أى تقدم أو محالة الاقتراب منه.. وحدث أن مرت دبابتان للعلدو فى قطاع عبدالعاطى ومن أمامه وفى لحظة اشتبك معهم وأطلق الصاروخ على إحداها وقبل أن يصل إليها الصاروخ وكأنها شعرت بذلك استدارت فى اللحظة التى اقترب منها الصاروخ، وكاد أن يدمرها وأفلتت وعندما أراد أن يدمر الأخرى كانت هى الأخرى قد فرت من أمامه، اختفت الدبابتان. بلغ به الضيق مداه ورغم أن ذلك لم يكن إهمالا أو تقصيرا منه ولكنه أنَّب نفسه على ذلك ونسب إلى نفسه السبب فى هروبها رغم أن المعركة بها الكثير من المفاجآت، ولكنه كان عنيدًا جدًا لا يقبل الخطأ مهما كان. ورغم أنه دمر حتى الآن عددًا من الدبابات لا

بأس به وهو وزملاؤه الا أنه لا ينسى قط احدى الدبابات المعادية التى دمرها، حيث هجمت دبابة، وكأنها تعرف الموقع، وعلى مسافة بعيدة اختفت خلف تبة مستطيلة أمامه حيث لا يستطيع رؤيتها، بجوار هذه التبة تبة أخرى مجاورة بينهم مسافة أخذت الدبابة تطلق النيران على الموقع من خلف إحدى التبات ثم تندفع بسرعة إلى التبة المجاورة ولا يروها إلا ثوانى معدودة، كانت المسافة بين التبتين لا تتعدى الأمتار حتى إذا ما أطلق عليها صاروخا عندما تظهر ما تكاد تختفى قبل أن يصل إليها الصاروخ انهالت على الموقع القذائف، أصيب زميل له إصابة خفيفة، استأثن فى الاشتباك معها، وحدد الأسلوب، ولكن ماذا يفعل وهى لا تعطيه فرصة فى المراقبة وتدميرها، وبعد أن أطلقت القذائف من خلف التبة وفى لحظة وفى ذكاء ابن النيل اللماح قدر انها سوف تمر الآن إلى التبة الثانية حيث هو الأسلوب الذى اتبعته، وقبل أن تظهر أطلق صاروخه ما بين التبتين فى المسافة التى بينها. وفعلا ظهرت الدبابة ووجه الصاروخ إليها ودمرها قبل أن تختفى، إن ذلك يعد معجزة من المعجزات وإنها خبرة حرب وجهد تدريب عال لم يتدرب عليها ولكن كانت هذه هى النتيجة. نتيجة العرق والجهود والتعب طوال سنين.

احتفل الموقع كله بهذا الأداء الرائع فى التعامل مع دبابات العدو، كل الموقع وليس زملاؤه فقط ومنهم قائد المدفعية (مدحت إبراهيم) الذى هنأه على ذلك وأثنى عليه وعلى زملائه، وعطائهم الفائق عن الحد، وأخذ الكل يشجعه وازدادت به الثقة. أكثر من ذى قبل. من ذلك لم يطلب عبدالعاطى الخلد إلى الراحة وظل ينتظر المزيد والمزيد من دبابات العدو حتى تلقى حتفها على يديه.

وفى أحد الأيام اقتربت دبابة من الموقع وكانت على مسافة بسيطة جدا يصعب إصابتها فى هذه الحالة لأنها فى منطقة ميتة كما يقول العسكريون، ولكنه فى ثوان بسيطة اشتبك مع الدبابة أطلق الصاروخ نحوها ودمرها، ويعد ذلك من أصعب الأهداف حيث إن الصاروخ لا يستجيب لأوامر إلا بعد فترة والمسافة كانت حرجة جداً، ويحتاج تدمير مثل هذه الدبابة تدريبًا عاليًا جدا وقد كان.

وخلال إحدى المعارك تعطلت إحدى دبابات العدو أمام الموقع بعد إصابتها، أصاب طاقمها الهلع وفروا مذعورين. هنا تنبه الخولى وهو الفرد الثانى مع عبدالعاطى، توجه مسرعًا إلى الدبابة الذى تركها العدو. اندفع من موقعه بسرعة جنونية صوب الدبابة حتى يتمكن من أسر الطاقم ورغم أن قائده نهاه عن ذلك لأن ذلك ليس من اختصاصه ولكنه لم يمتثل للأوامر، وعندما اقترب من طاقم الدبابة تذكر أنه بدون سلاح، نظر حوله فوجد رشاشا لأحد الشهداء ملقى على الأرض، فأمسك به وأطلق نحوهم نيرانه ولكن طاقم دبابة العدو تمكن من الإفلات نحو مواقعهم وبالصدفة كانت لنا مجموعة أخرى من جنود المشاة تمكنوا منهم وأسروهم، وعاد الخولى إلى موقعه وهو فى غاية السعادة ذلك هو ابن القرية البسيط الفلاح الذى يذود عن أرضه وعن كل شبر فيها والذى أثبت لكل الدنيا أن دبابات العدو وأسلحته لا تخيفهم، وأنهم مقاتلون من طراز فريد من نوع نادر، وكان الخولى هذا من هذا النوع كان بين تلك المجموعة لا يخاف ولا يكل ولا يمل من العمل المتواصل، مارد فى تصرفاته وأفعاله وكان له الفضل الأكبر فى مساندة عبدالعاطى

وكان أيضا ساعده الأيمن مع عبدالفضيل الزميل الآخر فى الطاقم، وكان أيضا له نصيب الأسد من مواقف البطولة ضد العدو حيث كانت سرعته وذكاؤه فى إعداد الصوايخ وتجهيزها سبب من الأسباب التى جعلت عبدالعاطى يدمر عددًا كبيرًا من الدبابات، ومع ذلك لم يدعه قائد الموقع وذلك للمخالفة الصريحة للأوامر مما عرض نفسه للخطر؛ ولذا فقد أنبه على فعلته هذه وعرض الأمر على قائد الكتيبة الذى اكتفى بتأنيب قائده له إلى حد التأسف والاعتذار.

وفى الأيام الأخيرة من حرب رمضان أراد العدو أن يعزز مواقعه وذلك بالاستيلاء على موقع يمكنه السيطرة بعد ذلك على بعض المناطق المهمة. قام العدو بهجوم على هذا الموقع لاحتلاله وفشل العدو أمام ضراوة قواتنا ولم يمكنوه من ذلك، ودمر الأبطال للعدو وأعداد كبيرة من الدبابات وكان عبدالعاطى فى المقدمة وله نصيب الأسد حيث استطاع خلال هذه الفترة من تدمير خمس دبابات فى أيام متفرقة، حيث قام القائد بالمناورة بالأطقم الذى معه وبينهم عبد العاطى وبيومى وعوض وصبوا عليه جام غضبهم حيث دمروا لم يتبق له شىء كى يهرب به حيث إن العدو فقد آخر احتياطيه من الدبابات أمام صمود الأبطال.

يجدر بنا هنا أن نستمع إلى كلام عبدالعاطى وهو يتحدث حيث يقول إنه لم ينس فى أى وقت من الأوقات يتعامل فيه مع العدو أن يذكر الله ويدعوه بالتوفيق؛ ولذلك فقد ألهمنا الله الصواب ونصرنا وكان خير المعين.

لقد كان إيمانه بالله قويا أى أبعد الحدود خاصة وأن كثيرا من الإصابات التى أصاب بها دبابات وعربات العدو بفضل الله وتوفيقه. كنت أرى الصاروخ يتجه إلى الهدف بعد ذكر الله ويدمره فى كل ثبات وإتقان، لأن عناية الله فوق كل عناية ، حيث لابد من الاعتماد على المولى سبحانه وتعالى بعد التدريب الجاد والشاق ولذا فإن الله هدانا إلى الطريق السليم وأهدانا إلى إثبات الكرامة والعزة ودمر العدو.

لقد صدر أمر و قف إطلاق النار والتزمت به قواتنا تماما حسب الأوامر الصادرة ولكن فى غدر وخسة حاول العدو تحسين مواقعه ولكن الأبطال لم يمكنوه حيث كانوا يقظين حتى لا تأخذهم مفاجأة العدو، ولقد حاول العدو محاولاته مرارًا أمام موقع عبدالعاطى وزملائه حيث كبدوه خسائر جسيمة، وكذا قواتنا كبده خسائر جسيمة حيث اقتربت فى إحدى المرات عربتان مدرعتان من موقعنا وذلك كى تجمع مخلفاتها حيث يكره العدو ترك حطامه خلفه وتلك طبيعتهم ولكن قواتنا كانت قد وزعت الألغام فى المنطقة ليلا واستعد عبدالعاطى ورفاقه حتى ينالوا منها ولكنهم لم ينتظروا طويلا حيث هطلتها الألغام وحاولت بعد إصابتها أن تفلت من الألغام إلا أن عبدالعاطى أطلق صاروخه وتلاه بيومى بصاروخ آخر وأشعلت فيهما النيران، ولذلك قضى الأبطال على آخر أمل للعدو كى يحسن مواقعه بعد وقف اطلاق النار ولم يجرب ذلك مرة ثانية.

كان ذلك هو نهاية مطاف العدو؛ ونهاية معركة انتهت ولكنها لن تكون أبدا آخر المعارك بيننا وبينه فالمشوار مازال طويلا.

عبدالعاطي بعد المعركة

انتهت المعركة وسوف تبدأ معارك أخرى أكثر ضراوة وقسوة معركة البناء، بناء ما دمرته الحرب، ومعركة بناء الجيش المصري استعدادًا لخوض أية معركة أخرى طالما كان العدو رابضا فى أراضينا أو على أى شبر منها، فالعدو مغرور زاد غروره كما قلنا نتيجة لنصر زائف فى ١٩٦٧ يونيو. ولقد ردت قواتنا المسلحة على هذه الهزيمة بنصر أكبر ولقى العدو هزيمة نكراء ومع ذلك، فهو كان كالملاكم الذى يترنح فيطيح بيديه شمالاً ويمينًا دون هدف محدد، ووقف إطلاق النار لم يكن إلا بجهد الأبطال وجهد القيادة السياسية الناجحة والتى استغلت هذا النصر، ومع ذلك ظل العدو يهزو ويطنطن ولولا الإمدادات بالأسلحة الحديثة لكان الآن فى كارثة حقيقية يصعب النجاة منها، وإذا عاد العدو إلى النغمة المعهودة والقديمة وهى الحدود الآمنة أو ما شابه ذلك، وظل يتمسك بأرض لا يستحقها فسوف يكون هو الجانب على نفسه وسيحل به الدمار والاندحار على أيدى أبناء مصر البررة والأوفياء

الذين أعطوا فكان عطاؤهم بلا حدود وذادوا عن أرضهم وعزفوا سيمفونية رائعة شهد بها الأعداء قبل الأصدقاء.

سكتت المدافع بعد أن كانت تزمجر وتصب جام غضبها على مواقع الأعداء وهدأت الصواريخ ولكن إلى حين، واستمر الأبطال فى الاستعداد بعد نشوة النصر، وانقطعت طلعات طيراننا الغالى التى كانت تساند قواتنا من المشاة والمدرعات وباقى الأسلحة الأخرى وهدأ أبطال الدفاع الجوى الذين شكلوا حائطًا قويًا تحطم عليه طيران العدو أو الذراع الطويلة كما يحلوا لهم تسميتها، ثم بدأت مرحلة أخرى من المراحل المهمة وهى إعادة كفاءة أسلحتنا وقواتنا لجولات أخرى قادمة إذا ما جرب العدو ذلك، حتى يتم تطهير الأرض الغالية علينا جميعا، كذا تطهير كل الأراضى العربية عندما تحين الساعة. لن تهين عزائم الرجال وستظل قوية وستظل قواتنا جاهزة لأى خطر يهدد ولو شبرًا من أراضينا.

بعد المعركة زارنا الكثيرون من أبناء مصر والذين كانوا مشتاقين إلى رؤية ما حققه الأبطال، زارنا العامل والموظف والفلاح والصحفى والطالب، وفى يوم من الأيام حدث أن زار الوحدة التى بها عبدالعاطى بعض الصحفيين الذين كانوا يعملون مراسلين حربيين فى الجبهة، طلبوا مقابلة قائد الكتيبة رحب بهم وطلبوا أن يروا الأبطال ومنهم عبدالعاطى الذى ذاع صيته حتى يروه على حقيقته فى موقعه الذى كان رابضًا به، تصوره البعض أن يكون خصوصا بعدما أطلقوا عليه ألقابًا كثيرة خلال المعارك هو وزملاؤه مثل أكلة الدبابات أو صائد الدبابات، ردد كل الصحفيين هذه

الألقاب بعدما عرفوا عن بطولته والتى تناولها رجل الشارع قبل الجهات الرسمية وعن بطولة وحدته التى هو فرد فيها، وتم اللقاء هناك فى موقع عبدالعاطى فى أعماق سيناء، فى المواقع الأمامية، كان الموقع عبارة عن تبة عالية حولها حطام الدبابات التى دمرها هو وزملاؤه فى الوحدة ومن الأسلحة الأخرى.

كان المكان وحوله مزحومًا بحطام دبابات العدو وعرباته المدرعة وعرباته الميكانيكية بجميع أنواعها وأشكالها، إنه معرض للغنائم على الواقع دون ترتيب أو تنسيق، عندما تقابلوا مع عبدالعاطى وجدوه إنسانًا وديعًا هادئ الطبع والابتسامة وعزة النفس باديتان على وجهه صحب المجموعة التى طلبت اللقاء قائد كتيبته، وتقابلوا معه ومع باقى زملائه بالموقع من الموجهين، كان العناق واللقاء حارين جدًا، وكانت الدموع التى سالت هى أبلغ تعبير، لم يصدق أحد أننا فى سيناء وعلى بعد أكثر من ١٥ كم من القناة، لم يصدقوا أنهم أمام الأبطال الذين ضربوا أروع الأمثلة فى التضحية والفداء، جلسوا واستمعوا إلى حديث عبدالعاطى البسيط فلم يكن حديثا من أجل النصر قدر ما كان حديثًا للاستماع. الكل مشتاق أن يسمعه من أجل المعرفة والتى كانت خافية عليهم، كانوا يريدون أن يتزودوا فى قصص البطولة الفردية التى تسعد كل مصرى، وسمعوا لأول مرة قصص البطولة على أرض الواقع، على مسرح العمليات الحقيقى، انهالت الأسئلة منهم على عبدالعاطى وزملائه فى المواقع الأخرى، ولكن كان هناك صحفى واحد مبهور ومشدوها ؛كأن المفاجأة أذهلته، علامات التعجب تعلوا وجهه.. منبهر بما حدث غير

مصدق له. كان ذلك الضيف هو الأستاذ جمال الغيطانى (الأديب الكبير حاليا)، والذى كان وقتها مراسل حرب للأخبار.

بعد أن انتهى الجميع من أسئلتهم التى وجهوها إلى البطل وزملائه، ودعوهم ثم انصرفوا مع مرافقتهم، ولكن الأستاذ جمال الغيطانى بقى مع الأبطال حيث طلب مقابلة عبدالعاطى على انفراد، كان ذلك مفاجأة للجميع، وظن الكل أنه يريد أن ينفرد بالحديث البطولى الذى يزود به صحيفته، أو أنه يريد سبقا صحفيا منفردا يسجله عن الأبطال للتاريخ، ولكنه قال إنه لا يريد شيئًا سوى الجلوس مع الأبطال ومع عبد العاطى حتى يكون له شرف لقائهم على انفراد، ويكون له شرف الحديث معهم وجها لوجه لأنه أحس أن يكون واحد منهم. حتى يكون صديقا لهم، حيث رأى فيهم الحلم والأمل الذى كان يراوده دائمًا وأضاف أنه شرف عظيم أن يكون كل فرد فى هذا الموقع صديقه يراسله ويتقابل معه خارج الحياة الصحفية التى يعيشها، يريد أن يجلس فى المكان الذى دارت به المعارك مع هؤلاء الأبطال أكبر مدة ممكنة فى هذا القطاع (الأوسط) الذى دارت عليه أعنف معارك التاريخ شراسة وضراوة مع دبابات العدو والتى ترقد الآن أمام الأبطال، ثم قال.. سوف أكتب عنهم جميعًا، وسوف أكتب عن عبدالعاطى وسوف أقول للناس ما رأيته حقيقة بعينى لأنهم مشتاقون لذلك وطالما تمنيت ذلك، وفرحتى تتركز فى أن يعرف أبناء بلدى الحقيقة كاملة، أريدهم أن يعرفوا عمق المساحات الشاسعة التى استردها الأبطال بعرقهم وجهدهم، أريدهم أن يتعرفوا على صانعى مجدنا ومحققى أملنا،

أمل هذا الشعب، كرر الأستاذ جمال الغيطانى رجاءه، وفى الحال أستجيب لطلبه، أخذه عبدالعاطى إلى مكانه وإلى موقعه الذى أدار منه أغلب المعارك مع دبابات العدو، وعرفه على طاقمه عبدالفضيل - الخولى وطاقم عوض وبيومى القريبين منه، تقدم الجميع للترحيب بالضيف العزيز تعانق معهم مرة أخرى. الأستاذ جمال وقائد الكتيبة - وقائد الموقع - وعبدالعاطى والأفراد وكان العناق طويلاً وحارًا مرة أخرى وطالت الأحضان وكأنهم أهل التقوا بعد غيبة طويلة، بعد شوق، رغم أنه لم تتعد ساعات على اللقاء الأول.

قام قائد الكتيبة بالتعارف بين الأستاذ جمال والمقاتلين، رأى الأستاذ جمال الأبطال رؤية العين، رآهم والهدوء والوداعة يحيطان بهم، رآهم على حقيقتهم فى حبهم للسلام، ولكنهم شرسون فى قتالهم إذا ما جد الجد ضد أى غاصب يعتدى على أرضهم.

سأل الأستاذ جمال، قائد الكتيبة الذى كان يرحب به، هل طال فراقك لهؤلاء الأبطال مدة طويلة، رد القائد لم يمض غيابى عنهم ساعات بل جزء من يوم، عجب القائد من هذا السؤال فقال ولكن لماذا هذا السؤال، رد السائل إن حارة اللقاء معهم جعلتنى أسأل هذا السؤال، حيث إن حرارة اللقاء بينك وبينهم هى التى فرضت على أن أسأل عن ذلك. قال القائد إن العمل المتصل والشاق تجعل المقاتلين ينسون الوقت والزمان.. وقال إن هذه المجموعة تتميز بالحب والصدق بعضهم لبعض حيث كان الاستعداد للمعركة شاقا وعصيبا؛ ولذا فإن المقاتلين أحبوا بعضهم لبعض حتى أصبحوا كالجسد الواحد، لا فرق ين قائد وجندى الكل سواء، الكل يعمل فى صمت،

سكت الضيف، وأخذ يتمتم ثم تبعها قائلا إن الصورة التي أمامي والروح السائدة بين الجميع تجعلني أستطيع أن أصدق كل شيء، لا أشك فيما سمعته عن هؤلاء الأبطال، ما سمعته عن المعجزات التى تحققت فى هذه المعركة والتى صنعها الأبطال، أبطال مصر الأعزاء أبناء مصر الحبيبة إلى قلوبنا، ولقد رأيت بعينى آثار المعارك التى خاضها الأبطال رأيت دبابات العدو المحطمة أمامكم لا تستطيع الحركة، ومن حقنا ومن حق شعبكم أن يفخر بكم ويثق فيكم كل الثقة، ويحق لكم أن تعتمدوا على شعبكم العظيم الذى أولاكم ثقته وصمد خلفكم وشد من أذركم فى أحلك الأيام، كانت وقفته هى الوقود، هى الغذاء الروحى والتى استمديتم منها طاقتكم جلس الضيف وكأنه صديق للجميع من عشرات السنين الكل تحدث معه والكل تسامر معه رغم أنه لم يمض على معرفتهم به إلا القليل، وأقسم أنه لو سمح له بالبقاء ما تركتم أبدا، ضحك الجميع وابتسم هو. تحدث عبدالعاطى والضيف ينصت، ثم تحدث قائد الموقع وقائد الكتيبة فى بساطة بعيدة عن الغرور ولكنه فى عزة وثقة بالنفس، واستمر الحديث حتى حانت ساعة الغروب وهو الوقت المحدد لوداع الضيف حتى يقابل باقى المجموعة التى حضرت معه والمنتشرة بين الوحدات تتعرف على البطولات الأخرى التى حققوها، غادر المكان فى تأثر بالغ وهو نادم وآسف لمرور هذا الوقت بسرعة غريبة حيث كان يريد الكثير والكثير، عانق الجميع فى حرارة والدموع تسيل من الجميع. وكان الوداع حارًا، وسلم عليهم وهو يدعو لهم بالتوفيق والنصر.

بدأت صحافتنا والمجلات تتناول الأبطال ساردة بطولاتهم.. وكيف تحققت كتبت عن صائد الدبابات عن عبدالعاطى ورفاقه،، تحدث الجميع عنهم وأثنى عليهم خاصة ما حققوه فى القطاع الأوسط من بطولات وتحدثت عن المعارك العنيفة ومعارك الدبابات الشرسة بينهم وبين دبابات العدو حيث كانت المعارك أعنف ضراوة من أى معارك سابقة.

أخذ اسم عبدالعاطى يلمع، وفى أحد الأيام طلب من قائد الكتيبة أن يرشح أحد الأبطال الوحدة لحضور إحدى الحفلات التى أقيمت فى القاهرة، ثم اختيار بعض الأبطال ومن بينهم عبدالعاطى ذهبوا إلى الحفل والحديث هنا على لسان عبدالعاطى حيث يقول: ذهبت مجموعة من زملائى فى التشكيل إلى القاهرة، طلبوا منا أن نتوجه فى اليوم التالى إلى المعرض بالجزيرة فى الساعة المحددة ذهبت فى اليوم التالى إلى المعرض بالجزيرة فى الساعة المحددة ذهبت إلى هناك ووجدت الزملاء وبعض المقاتلين من القطاعات الأخرى، هناك سمعت أن السيد وزير الحربية (المشير أحمد إسماعيل) سيشرف الحفل لكى يفتتح معرض الغنائم والمقام على أرض المعارض بالجزيرة، اصطف كل الأبطال، أبطال معارك رمضان - أكتوبر، أبطال العبور العظيم، حضر السيد الوزير وبصحبته بعض الشخصيات والمسئولون الكبار والصحفيون المصريون والأجانب. سلم الوزير على الجميع حتى وصل إلى عبدالعاطى. عرفه بنفسه سلم عليه بحرارة وتحدث معه طويلا وعن بطولاته التى استمع إليها - وكان الحديث وديا للغاية، حديث

القائد لجنوده، حديث الأب لأبنائه، كانت هذه اللحظة كما يقول عبدالعاطى من أمتع اللحظات التى صادفته فى حياته، وماتزال ذكرياتها فى مخيلتى وعالقة بذهنى لأن سيادته أثنى على وعلى زملائى ورعانى وشملنى بعطفه وكرمنى وقدرنى أحسن تقدير حيث طلب منى سيادته أن أنتظر إلى جوار الشريط المقام لافتتاح المعرض، وقتها لم أعرف السبب. ولكنى نفذت ما قاله لى ووقفت بجوار الشريط، بعد أن سلم الوزير على الباقين وحياهم نادى على.. اتجهت كل الأنظار إلى. ثم طلب منى سيادته أن أمسك بالمقص كى أقص الشريط إيذانا بافتتاح المعرض، ترددت فى البداية، رغم أنه شرف عظيم لى وتقديراً من القائد ولفته كريمة من سيادته، أيقنت أن سيادته أراد أن يكرم كل المقاتلين الذين حطموا حاجز الخوف وعبروا القناة أقوى مانع وأضخم حصون أقيمت عليه وهو خط بارليف، سلم القائد على وقدمت له التحية ونفذت الأمر وقصصت الشريط، وقتها شعرت بالفخر والعزة والكرامة، ثم بعد ذلك انصرفت حيث استقبلت التهانى من كل الزملاء الذين يعرفوننى والذين تقابلوا معى لأول مرة وذهبنا إلى وحداتنا فى ميدان القتال.

وفى اليوم التالى فوجئت بصورتى تتصدر صدر كل الصحف والمجلات وأنا أقص شريط معرض الغنائم، وأنا أقف بجوار كبار المسئولين وعلى رأسهم السيد الوزير، تسمرت قدماى وأنا أنظر للصدرة من وهلة. وهالتنى الصدمة، ثم أخذت أسترجع صوابى رويدا رويدا، كيف حدث ذلك؟. هل يقوم فلاح بسيط فى قص

الشريط أما المسئولين جميعا، كيف يقوم ابن قرية شيبة قش يقص الشريط فى وجود حكام مصر وكبريائها، سكت وأصابته الدهشة مرة أخرى غيرمصدق لما حدث وما حدث، ثم تنبه لما حدث حيث إن الحلم أصبح حقيقة ولم يكن أبدا حلم لكن كانت هى الحقيقة بذاتها، وهذه هى قواتنا المسلحة وهذه هى روحها العظيمة، روح أكتوبر تحت ظل القيادات الواعية الأمينة على مصلحة الوطن والتى تقدر قدر أبنائها وما فعلوه وما حققوه، ثم تقابل مع بعض الصحفيين قبل أن يذهب إلى وحدته، أخذوا يسألونه وهو يجيب، لم يدرى ماذا قال لهم وبماذا أجاب، عاد إلى موقعه بتقبل التهانى مع الجميع لهذا الحدث العظيم الذى شرف كتيبته أعظم تشريف، وأضاف لها فخرًا ومجدًا على مر السنين ـ لقد كان هذا الشرف لكل فرد فى الوحدة وسامًا على جبين أبطالها لأنه واحد منهم وزميل كفاحهم وعلما من أعلامهم ورمزا لكل واحد منهم، لقد كرم الجميع فى شخص عبدالعاطى، هنأه الجميع، كل القيادات على مختلف مستوياتها.

وفى محافظته محافظة الشرقية عندما قام بأول إجازة له ثم توجه إلى قريته إلى إخوته وعائلته لقد كان الاستقبال فى هذه المرة حارا واللقاء مهيبا حيث لم ينس بأفضله أبناء قريته حيث أقيمت الزينات وأقواس النصر وانهالت عليه الدعوات من كل المحافظة.. الكل يريد أن يستمع إليه ويلقاه ويتحدث معهم وجها لوجه حتى يعرفوا قصص البطولة والتضحية.. وجهت إليه الدعوات من المحافظات الأخرى ولم يستطع أن يلبيها، وذلك لقصر الوقت.

كانت أمنيته أن يحصل على الصورة فى معرض الغنائم بجوار وزير الحربية ذهب إليه جريدة الجمهورية وذلك أثناء الساعات التى منحت له للراحة، استقبله الجميع استقبالا حارا، استقبال الأبطال دل على الاهتمام الزائد من رجال الإعلام للبطولات التى تحققت. ودل على التلاحم الذى كان بين طوائف الأمة، الصحفى، المقاتل. العامل جميع الطبقات كانت كلها يدا واحدة، استقبله رئيس مجلس الإدارة فى ذلك الوقت الأستاذ مصطفى بهجت بدوى ذلك المقاتل القديم، وأحد أركان الصحافة فى بلدنا فى ذلك الوقت عندما سمع أركان عبدالعاطى موجود فى مبنى الصحيفة أبى إلا أن يقابله شخصيا ويستمع إليه وحياه، استدعى كل من كان بالمبنى كى يحتفلوا به ويتقابلوا مع بطل عظيم كان اللقاء ممتعا وحارا وعندما عرف أنه يريد صورته بجوار السيد الوزير فى المعرض أمر بطبع مجموعة أنه يريد كى تعطى للبطل وهو أقل تقدير له ولبطولته الفذة.

توالت عليه الدعوات من الصحف والمجلات والإذاعة والتليفزيون، بالذات إذاعة صوت العرب وألح أحد المذيعين وقتها (وهو الإذاعى عادل جلال) حيث كان يقدم برنامجه (حديث الذكريات) أصر على تسجيل حلقة معه، مع البطل، وفعلا استجاب عبدالعاطى له. سجل معه ساعة كاملة كان اللقاء وتم التسجيل فى منزل أحد ضباط المدفعية وهو المقدم شريف الحكيم، كان اللقاء مع عبدالعاطى ممتعًا وازدادت حرارته فى إجابية عبدالعاطى التلقائية الخالية من أى زيف أو غرور، طال الحديث بينه وبين مقدم

البرنامج الذى وجد نفسه أمام شخصية ممتعة ذكية لماحة تتمتع بكل مقومات البطولة الحقيقية والوطنية الخالصة والحب لقريته وأهله ووحدته وزملائه وقائد وحدته، تمتع الذين حضروا التسجيل بهذا اللقاء العذب بالحديث الشيق، امتد الحديث ساعات خلال التسجيل.. وأذيع حديث الذكريات يوما مرة صباحا مرة فى المساء. استمع إليه الجميع فى إذاعة صوت العرب. وطلب البعض إذاعة الحديث مرة أخرى ومرات عديدة.

ولقد كان حديث الذكريات مع عبدالعاطى من الموضوعات المهمة التى احتفظ بها عبدالعاطى. ولقد كان الحديث كما قلنا يدل على شخصية عبدالعاطى المحبوبة الشخصية الحقيقية لبطل عظيم تجلت ساطعة فيه. تحدث دون كلفة حيث يقول: الفضل كل الفضل فى طفولته ترجع إلى والدته وأخيه عبدالحميد. لم ينس وحدته فأثنى عليها وعلى زملائه وأنه تعلم فنون القتال والحرب فى وحدته. وأثنى على قائد سريته وقائد كتيبته وعلى زملائه وركز عليهم بصدق وإخلاص دون أى رياء أو نفاق. ولم ينس ما قدم إليهم أثناء المعارك وأثناء الاستعداد للمعركة من خدمات ووسائل ترفيه والتى خلقت منهم المقاتلين الذين تحدث عنهم العالم أجمع.

أكد فى حديثه أن وصوله لهذا المستوى الرائع هو وزملاؤه بالوحدة ووصولهم لهذا المستوى الرفيع مما كان له الأثر العظيم أثناء القتال كل ذلك يرجع فيه الفضل كل الفضل إلى قادته على جميع المستويات حيث خلقوا بينهم التنافس الشريف. ولقد كان

هناك صراع رهيب من الجميع وحدات وأفراد ولكن فى ود وحب دون حقد وكراهية. لم ينس أصدقاءه الذين ضحوا بأرواحهم ورووا بدمائهم الطاهرة الزكية أرض سيناء الغالية والذى استشهد بعضهم فى الأيام الأولى للمعركة. لم ينس صديقه الحميم جعفر والذى كان لا يقل كفاءة عنه والذى استشهد فى اليوم الأول للمعركة بعد أن دمر للعدو أربع دبابات.

عندما تذكره وقفت الكلمات فى فمه. سكت برهة ولم يتكلم حيث أحس فى حلقة بالمرارة عندما تذكر هذه الحالات الأليمة. لم يستطع أن يكمل الحديث حتى غير مقدم البرنامج الموضوع إلى موضوع آخر حتى ينتهى من التسجيل. كان وفاؤه لزملائه نادرًا وأكثر منه وفاؤه لقادته عندما ذكر فى حديثه قادته على جميع المستويات. فهاهو المقاتل (أبو غزالة) والذى كان يشغل قادته مدفعية الجيش حيث يعتبره المثل الأعلى وأنه يحبه ويحترمه ويجله ويعتبره صديقا وليس قائدًا. ويقول عنه إنه شخصية نادرة وفريدة فى عالم القيادة حيث كان يرعانا دوما ولا يتركنا إطلاقا. وهو يتمتع بحب واحترام الجميع لعلمه الغزير الوافر وقيادته الحكيمة. وأنه كان دائم اللقاءات بنا للتعرف على مستوانا ويطمئن إلى ما وصلنا إليه من مستوى. كان يذلل لنا العقبات والصعاب والمشكلات التى كانت تصادفنا وكثيرا ما لعب معنا الكرة بالوحدة حتى تعرف علينا فردا فردا.

وقال عبدالعاطى إنه كان يحب شخصية أخرى فى عالم القيادة ولكن فى هذه المرة ليست مصرية فهو من فيتنام (الجنرال جياب) أخذت الدهشة مقدم البرنامج وسأله أين تعرف عليه فرد وقال من خلال الكتب التى قرأتها عنه. ويقول إنه أعجب بما قدم من تضحية لوطنه حيث عمل بإخلاص من أجل بلده رغم ما أصابه من كوارث خصوصا فقد حرم من أعز الناس لديه وهى أسرته وولده. لذا فقد أحبه عبدالعاطى لأنه دافع عن الهدف الذى سعى إليه تماما مثل عبدالعاطى الذى خرج كى يدافع عن هدف سامى هو استرداد الأرض السليبة من العدو.

أعجب هذا الحديث كل من استمعوا إليه خلال التسجيل ومن بينهم مقدم البرنامج. وهذه دلالة واضحة على ثقافة المقاتل المصرى وما كان يقدم لهؤلاء الأبطال حتى يتعرفوا على العالم من حولهم والشخصيات العظيمة التى فيه.

ويستطرد عبدالعاطى أنه وصلته خطابات كثيرة وكان لها أبلغ الأثر فى نفسه. والخطاب الذى أثر فيه خطاب من ابن قائده (عمرو) والذى وصله خلال المعارك. لقد كان عمرو (٩ سنوات) صديقا له حيث كان يحضر للوحدة خلال العطلة الصيفية للمدارس وكان يعرفهم جميعا. لقد حثه عمرو على القتال والدفاع عن أرض سيناء الغالية وأنه يريده أن يبلغ تحياته إلى جميع الأبطال فى سيناء، لقد أثر هذا الخطاب فيه تأثيرا عميقا. وفى نهاية الخطاب أضاف عمرو أنه واثق من أنهم سوف يحققون النصر على الأعداء واسترداد الأرض الغالية وهى سيناء.

وكانت أمتع أحاديث عبدالعاطى فى حديث الذكريات تلك الرسائل الثلاث التى وجهها إلى الرؤساء الثلاث والملوك وهم الرئيس السادات ـ الملك فيصل ـ الرئيس حافظ الأسد.

قال فى رسالته للرئيس السادات (يا سيادة الرئيس. وراك رجالة. مستعدين يموتوا من أجل مصر وبسعادة).

أما رسالته للملك فيصل فقال (أوعدك يا جلالة الملك أننا سوف نضحى بدمائنا من أجل أمتنا العربية أنا وكل جندى عربى وإن شاء الله نصلى فى القدس سويا).

وفى ختام رسالته للرئيس حافظ الأسد قال (أنا كنت باحس وأنا أقاتل وكأننى أدافع عن الجولان. وأن كل جندى بالجولان كنت أشعر أنه يدافع عن سيناء. وإن شاء الله كل طلقة فى الجولان وسيناء تقول إن وحدتنا أكيدة وحقيقية إن شاء الله).

هذه الرسائل الثلاث عبر فيها عبدالعاطى بتلقائيته المعهودة إلى الزعماء الثلاث وبهذه المعانى البسيطة التى تدل على عمق وأصالة هذا المقاتل والتى كانت صريحة ونابعة من القلب.

ولقد وجه فى حديثه رسائل أخرى إلى العدو فى هذه المرة حيث وجه رسالة إلى أبا ايبان وزير خارجية إسرائيل حيث كانت المفاوضات للسلام قد بدأت حيث قال له (تحاور وتناور زى ما أنت عاوز ولكن جنودك فى سيناء لا يقدروا يحاوروا أو يناوروا. وإن شاء الله كل طلقة وكل صاروخ يطلق سيصيب هدفه).

هذه العبارة لا يعرف معناها سوى عبدالعاطى وزملائه.

أما رسالته للدبابة الاسرائيلية فى أرض المعركة فقال لها (مبروك عليك الصاروخ والبقية تأتى).

وضح عبدالعاطى شخصيته بهذه الكلمات البسيطة. وعرفه الجميع ورغم بساطته ولكنه أصبح أسطورة من الأساطير تحدث عنها الجميع. وما كان هو إلا رمزًا لكل مقاتل فى معارك أكتوبر/ رمضان العظيم حيث يقول رغم الشهرة التى حصل عليها (ليس عبدالعاطى بطلاً خارقًا للعادة ولكنه رمز لكل مصرى أصيل خرج يدافع عن وطنه). ويقول أيضًا إنه أدى ما عليه من واجب هو وزملاؤه ومازال أمامهم الكثير كى يحققوه.

استمر عبدالعاطى هو ورفاقه فى التدريب فى مواقعهم بسيناء ولقد أعطتهم المعارك الثقة فى قياداتهم وسلاحهم لم ينل منه الغرور وكان يتصف بتلقائية كعادته من قبل. فقد نسى كل شىء. ولقد كان لتكريم الدولة له ولزملائه الأثر العظيم وذلك لما حققوه من إنجازات. ولم ينس عبدالعاطى أبد الدهر تلك اللحظة التى كرم فيها فى مجلس الشعب مع باقى الأبطال من جيش مصر حيث حصل على أعلى وسام فى الدولة وهو (نجمة سيناء).

ويقول فى مناسبة هذه الذكرى.. إنه كان يوم مولدى وسوف أظل أحتفل بهذه الذكرى مدى العمر وسوف أحتفل به مع أولادى أحتفل مع أولادى وأسرتى بإذن الله وعائلتى أيضًا على الدوام.

من بين المحافظات التى كرمت عبدالعاطى بعد محافظته الشرقية كانت محافظة أسوان وهى السباقة لهذا التكريم. كان على

رأس المحافظة اللواء مصطفى علوانى (مصطفى الكسار) وهو الرياضى القديم ولاعب الكرة الدولى والذى أصر على التكريم ومعه المقاتل القديم حلمى بيومى سكرتير عام المحافظة والذى كان رئيسًا لنادى أسوان الرياضى أيضا الذى يعتبر قائده عضوا مؤسسا فى النادى ومسئولاً عن فرق كرة القدم به. وجهت المحافظة ونادى أسوان الدعوة للمقاتلين من أبناء المحافظة إلى جانب عبدالعاطى.

كانت زيارة عبدالعاطى لأسوان من الزيارات التى يعتز بها حيث استقبله الجميع فى ترحاب وحب شديدين. ورغم الأيام القليلة فى أسوان بين أهلها إلا أنه أحس أنه يعيش بين أهله وسرته لتلك الرعاية التى كان يلقاها.

قام عبد العاطى خلال زيارته لأسوان بافتتاح معرض الغنائم حيث أصر اللواء مصطفى علوانى على أن يقوم بافتتاح معرض الغنائم الذى كان يتجول فى المحافظات حتى يرى الشعب المحروم ما حققه الأبطال. وفعلا تم افتتاح المعرض وحضر الحفل الذى أقيم للمقاتلين من أبناء المحافظة. ولقد تصادف وجود وفد لبنانى كان يزور المحافظة وكان الوفد برئاسة الشيخ (بيير الجميل) رئيس حزب الكتائب اللبنانية. ولقد كانت لفتة طيبة منه أن ينيب عنه (لويس أبو شرف) عضو المكتب السياسى لحزب الكتائب ولقد ارتجل خطبة بدأها قصيدة رفيعة بهذه المناسبة الطيبة العطرة لأبطال حرب أكتوبر وقال فى قصيدته والتى كانت دون إعداد مسبق:

دمرت دبابة قل لى بأى يد

أمسكت ناصية المجد. الذى كتب بطل ساكب روح

فوق مدفعه يا سعد من عصر العنقود أو شربا

كأس الشهادة قالوا مرة

ضللوا أشارب الكأس ينسى الكرم والعنب

وكرم يعرب آمال مقدسة

لا تبلغ الشأو حتى تركب اللهب

ولقتلى عزة العقساء موردها

فى جبهة الشمس أو تستأهل التريا

لبيك يا قدس ما ملت سواعدنا

عن العلا ودم الأحرار ما نضبا

• • •

لقد كان الحفل بهيجًا والحفاوة بالغة وأضفت عليه فرحة وجود وفد عرب دون إعداد مسبق البهجة والسرور. واستقبل الحاضرون القصيدة بالتصفيق الحار الدوى وأعيدت أجزاء القصيدة عدة مرات.. وتذكر ذلك الحفل الذى أقيم له ومعه قادته فى منيا القمح وذلك بمناسبة العيد القومى لها. احتفلت جميع الطوائف بابن الشرقية عبدالعاطى وكرمته الهيئات والمصالح الحكومية. وقوبل بالحفاوة والحب من الجميع محافظ الشرقية وأعضاء المجالس

الشعبية والتنفيذية وأعضاء مجلس الشعب. وكان ذلك عيدًا قوميًا رائعًا لمنيا القمح.

بعد كل هذا وبعد كل هذه الاحتفالات نجد عبد العاطى بين زملائه فردًا عاديًا جدًا وبسيطًا. لم تتغير معاملاته وهو فى ذلك السن الصغيرة حيث سنه ٢٣ سنة فقط وكان يمكن أن يصاب بالغرور ولكنه أبدا لم يجد الغرور لديه أى مكان فى كل تعاملاته مع زملائه وعلاقاته بقادته والذى ازداد احترامه لهم جميعا. وبادله الجميع الحب والتقدير والاحترام لنبل خلقه وكرم منبته الأصيل. كيف لا وهو من صنع الوحدة وهو نتاج تعب ومجهود شاق متواصل على مر الأيام والسنين. بهذه الروح العظيمة الأبية. وبهذا التدريب العالى والمتفوق والاستعداد المتقد فى الأسلوب والأداء والذى أعدت به قواتنا المسلحة قاتل الأبطال قتالاً مريرًا وصالوا وجالوا فى سيناء ودافعوا عن كل شبر حرره بعرق ودماء. وأيضا سوف يدافعون بنفس الهمة والشجاعة وسوف يكون النصر حليفهم فى كل خطوة وضد أى عدو معتدى. وإنا بإذن الله لمنتصرون. وعلى الله قصد السبيل.

وأخيرا لم يكن عبدالعاطى كما قال هو وقلنا نحن بطلا خارقا للعادة ولقد كانت البطولات التى تحققت على يديه ويدى رفاقه فى وحدته وفى قواته المسلحة لم يكن ذلك إلا نتيجة طبيعية لما قامت به قواتنا المسلحة من حسن إعداد جيد وتخطيط علمى وتنسيق بين كل الأسلحة خلال التدريب وخلال المعارك. ولقد تابع التنفيذ وأعد

التخطيط قيادات ذكية وناجحة فكانت المعارك والأداء كأحسن ما يكون الأداء.

نتيجة لهذا الجهد الرائع الذى قام به الأبطال لم تنس قواتنا المسلحة أبناءها وما حققوه خلال حرب أكتوبر/ رمضان وذلك نتيجة طبيعية. ولم يكن أداء أبناء مصر إلا واجبًا مقدسًا فرضته الظروف والأقدار لحماية أرضنا وللقضاء على كل الآلام والأحزان التى خلفتها حرب يونيو الحزين. ولقد أثبتت للعالم كله أننا شعب ذو حضارة ممزوجة بالرقى والتقدم الذى يواكب العالم. شعب لا يرضى بالذل والعار أو الهوان حتى لو فرض علينا الواقع هزيمة عابرة. حتى لو صبرنا على الآلام والأحزان فطالما ينطلق المارد يدمر كل ما هو معتدى وغاصب.

ولم يكن شخص عبدالعاطى هو الذى أقصده فى تجسيد تلك الشخصية ولكنى قصدت به رمزًا لكل بطولة ولكل فداء كانت وحدثت نتيجة لجهد وعرق وقطرات الدم التى سالت سواء خلال الاستعداد للمعركة أو خلال المعركة نفسها. حتى يعرف الجميع السر فى حضارتنا وسر الأمجاد الذى حققه أجدادنا فالريف المصرى هو الذى أنجب عبدالعاطى وغيره ومن نيله ارتووا ومن هوائه استنشقوا وفى مدارسها تلقى العلم وبين مزارعها وحقولها نشأوا ولعبوا. لقد وجدنا فى هذه الحرب أنفسنا وعبرنا حاجز الخوف إلى غير رجعة والهزيمة بلا رده. لقد ذقنا حلاوة النصر بعد مرارة الهزيمة التى كانت فى حلوقنا. فلنسر على بركة الله ولنتذكر

باستمرار هذه الأمجاد. ولتكتب الأقلام وتفخر وتشيد ببطولات أبنائها عن جدارة ولتذكر بالخير جنود مصر الأوفياء والبواسل ولابد من أن توفيهم حقهم. ولتذكر تلك الأقلام دور شعب مصر العظيم المتفانى والذى لا يقل عن دور الحرب. الشعب الذى حقق المعجزة فلولا تفانيه وصبره ما كانت الحرب ولا كان النصر الذى نتغنى به.. حيث إنه الذى ضحى وصبر وطال انتظاره لذلك اليوم يحدوه الأمل ويقوى من عزيمة أبنائه. وهو الذى كان درعًا قويًا وواقيًا لأبنائه وهم يخوضون حرب التحرير ويعبرون أعقد مانع مائى فى التاريخ.

لقد ضحى ذلك الشعب بكل شىء، كان شجاعًا وكريمًا فى عطائه، وهو الذى كان السبب فى ارتفاعات الرايات والهامات.. فله التحية والتقدير على كل ما فعله وكل ما سيفعله من أجل الوطن.

الفصل الثانى

آكـــلة الدبابـات

عرضنا فى الفصل السابق نموذجًا من النماذج الرائعة فى البطولة والتضحية والفداء ونوعًا فريدًا من العطاء لهذا الوطن والذى شهد له العالم كله. شهد بحضارته العريقة وتحدثت الدنيا عن عبدالعاطى. عن نشأته وعن شهرته وعن المعارك الذى خاضها. وكان المقصود كما وضحنا تقديم نموذج لكل مصرى قاتل أو كان درعًا واقيًا لقواته. نموذج كان عنيدًا فى قتاله جريئا فى إبداء الشجاعة والإقدام عليها.

وفى هذا الفصل والصفحات التالية يعد تكملة لما بدأناه وجزءًا لا يتجزأ مما سردنا فيه شرح لبعض النماذج الأخرى لبعض الزملاء الذين قاتلوا مع عبد العاطى وخاضوا المعارك الضارية فى أماكن عديدة ومتفرقة فى كتيبة عبدالعاطى. حيث إن جميعهم تدربوا بنفس الجدية والإخلاص الذى تدرب به هو. لقد كان الجميع يدًا واحدة. وعزفوا فى معاركهم ضد العدو سيمفونية رائعة.

وهناك بطولات أخرى كثيرة تحتاج إلى مجلدات وإلى صفحات قامت بها وحدات أخرى نرجو أن تتاح الفرصة لمن تابعوها أن يتحدثوا عنها ولا يتركوها طى النسيان.

سوف نستعرض بعض البطولات والأحداث للأبطال حتى نتعرف على الأسلوب فى آدائهم وطريقتهم فى فنون القتال وما قدموه لوطنهم الغالى من تضحيات فمنهم من استشهد ومنهم من أصيب ومنهم من هو على قيد الحياة. ولقد تسابقوا بعد المعركة على التدريب الجاد والشاق يبذلون الجهد والعرق استعداداً لأية تضحية جديدة. ويوم ينادى المنادى سيلبى الأبطال النداء وهم جاهزون ومستعدون له.

وهنا بطولات لم نذكرها لا نكرانا وجحودا، ولكن كما قلنا يحتاج ذلك إلى جهد جهيد حتى يوفى هؤلاء الأبطال حقوقهم. وبالقطع سوف تتاح الفرصة للمتخصصين كى يحكوا سطور فخارهم ومجدهم للأجيال القادمة.

مجموعة النعناعى

عبرت هذه المجموعة فى يوم السادس من أكتوبر وأتمت عبورها فى حوالى الساعة الرابعة مساء. وكلفت بتدمير جميع الأهداف المدرعة من دبابات وعربات مدرعة المعادية، والذى تتمكن من اختراق الموجات الأولى. أو أى أهداف أخرى مدرعة تتمكن من اختراق الموجات الأولى التى تندفع نحو الشرق ومنعها من الاقتراب من قناة السويس لتعطيل عبور قواتنا أو إنشاء الكبارى، وكذا نجدة أى وحدات أخرى تتعرض لهجوم مضاد من العدو.

رافق قائد الكتيبة هذه المجموعة رغم أنه من المفروض أن يكون فى الخلف، ولكنه أصر على ذلك وتصدق له بذلك. كان القائد سعيدًا جدًا لمرافقته رجاله وتزويدها بخبرته. كانوا رجالاً بمعنى الكلمة كفاءتهم عالية جدا. كان قائد المجموعة هو النقيب عبدالهادى النعناعى، وكان هو المسئول المباشر عن كل القرارات بعد التصديق من القائد. ويسمى العسكريون هذه المجموعة بالاحتياطى

المضاد للدبابات كان ضمن المجموعة اثنين من الضباط الأكفاء وهما منير زاهر وأحمد عثمان. وهناك مجموعات أخرى فى بعض المناطق أيضًا مسئولية قائد الكتيبة وعلى اتصال دائم بها. ولكن قائد الكتيبة كان قريبا من هذه المجموعة لخطورتها حيث يتابع أعمالها ويتدخل فى الوقت المناسب إذا احتاج الموقف ذلك. وحسب متطلبات الموقف.

اندفعت هذه المجموعة على الأرجل وسميت بالاحتياطى (المترجل) لعدم عبور العربات والمعدات الثقيلة حيث الكبارى سوف تنشأ فى وقت لاحق. حملت المجموعة كل ما تحتاج من معدات وعتاد وذخيرة حيث إن العبور تم على قوارب مطاط صغيرة. ويحضرنا فى هذا المقام أن وفى كل فرد حقه فى المجموعة التى تحملت عبء حمل الذخيرة والصواريخ. حاول كل فرد أن يشارك هذه المجموعة فى حمل الذخيرة. فمثلا كان هناك المساعد المسئول عن التعينات فى الكتيبة، وهو شخص سنه كبير فوق الأربعين ضخم الجسم حتى حمل معداته الشخصية. ولكنك تجده فى المعركة وعند العبور وهو يقوم بجر عربة ذخيرة يدوية محملا فوقها العديد من الصواريخ والذخيرة. تحرك بالعربة فوق الساتر الترابى كالبهلوان بل ويساعد البعض الذى يحتاج إلى مساعدة أثناء تعثره فى العبور. ذلك مثال من الأمثلة الرائعة ضربه شخص لم تكن مهمته ذلك مما جعل الأفراد تزداد حماسًا خلال العبور والاندفاع نحو الشرق لتأدية مهامهم.

تحركت هذه المجموعة لاحتلال الخط المحدد لها، واستعدت من هذا الخط لتنفيذ مهامها وواجباتها المكلفة بها. ورغم أن قواتنا فى بداية الأمر لم تجد المقاومة العنيدة من هول المفاجأة التى أصابت العدو وذلك سهَّل عمل هذه المجموعة وأعطى لها الفرصة كى تستعد أكثر وأكثر وبعد ساعات وحوالي الساعة التاسعة مساء قابلت هذه المجموعة أول الأهداف المعادية كانت مجموعة من دبابات التدخل فى إنشاء الكبارى لقواتنا وحاولت تدمير الكبارى التى ماتزال تنشأ. وعندما اقتربت هذه الدبابات إلى مسافة مناسبة للاشتباك. صدرت الأوامر للمجموعة بالاستعداد وأحكمت رقابة هذه الدبابات وفى لحظات بسيطة انهالت عليها الصواريخ على دبابات العدو من كل اتجاه، حيث قام الأبطال بعمل كمين محكم عبارة عن مصيدة لها. وفى لحظات بل فى ثوانى كانت أربعة من دبابات العدو التسع المهاجمة محطمة فى معركة شرسة وقوية - فرت باقى الدبابات وهى خمس دبابات فى اتجاه الشرق، وقد أصابها مس من الجنون. جرت مذعورة غير مصدقة أنها نجت وأفلتت من الاحتراق لم تتركها نيران المدفعية المركزة ونيران بعض وحداتنا المجاورة.. دمرت الدبابات على أيدى الأبطال الآخرين من التشكيل.

حيا قائد التشكيل الأبطال جميعًا وشكرهم فى رسالة وجهها نقلت إليهم عبر قياداتهم المختلفة، كذا فعل قائد المدفعية وكانت الأحضان والتهانى والعناق الحار. حيث كانت أول معركة تخوضها هذه المجموعة بقيادة قائدهم الشاب عبدالهادى النعناعى. زادت

ثقة الأبطال بأنفسهم وأذهلت المفاجأة دبابات العدو وقواته حيث ظنت أنها ربما تقوم بنزهة أمام رجال مترجلين دون أى درع واقٍ لهم والدرع هو دباباتنا التى لم تعبر بعد.

وجدير بالذكر أن الإضاءة ليلا كانت هى إحدى المشكلات التى تقابل هذه المجموعة فى الاشتباك الليلى وعانت من ذلك قوات العدو لقدرتها أحيانها وأحيانا أخرى لكثرة الغبار التى يتولد خلال هجمات الدبابات، لذا فان إحدى وحدات المدفعية القريبة من هذه المجموعة بقيادة البطل مجدى شوقى عندما رأى المعركة وشاهدها عن قرب حيث كان يمثل مركز ملاحظة لوحدات المدفعية وعندما طلب منه قائد الكتيبة إضاءة أرض المعركة لم يتوان وأصدر الأمر بالإضاءة فكانت ساحة المعركة كالنهار مما سهل على الأفراد الأشتباك بدقة مع دبابات العدو. هذا للتاريخ.

كانت هذه المجموعة تعمل أيضا فى القطاع الأوسط الملىء بالأحداث والمعارك الشرسة. صدرت الأوامر لها بالتحرك إلى مكان آخر فى الجنوب بالقرب من نقطة تل سلام وقرية الجلاء. تحرك الأبطال سيرا على الأقدام كل فرد يحمل ما يخصه من متاع وذخيرة ومهمات. التحرك تحدد من قائد المدفعية إلى مكان يسمى (البيت المنعزل) حيث تختبئ بعض دبابات فيه وتقوم بقصف معابرنا خلال إنشائها وأثرت على عمل الأفراد هناك من وحدات الكبارى. اندفع الرجال بسرعة البرق بعد أن صدر الأمر. كانت السرعة جنونية. كان التحرك على الطريق وهذه مخاطرة ولكن لضمان

الوصول إلى المنطقة بسرعة ودقة، وكان هذا هو قرار قائد الكتيبة رغم المخاطر ولكنه جازف لنجدة الموقف. وصلت المجموعة إلى المكان المحدد على الخريطة. واستعد الرجال للتعامل مع الأهداف المعادية.. وقبل أن يكملوا استعدادهم فوجئوا بدبابات العدو وهى تفتح النيران عليهم. صدرت الأوامر لهم بالتشبث بالأرض وبالمواقع الصغيرة التى لم تستكمل. أيضا صدرت الأوامر باستخدام الأسلحة الصغيرة والقنابل اليدوية وقذائف ر. ب. ج المخصصة لهذا الغرض فى المسافات القريبة والمعدة لمثل هذه الظروف. صدرت الأوامر الصارمة بعدم الظهور وعدم الحركة حتى يستطيع القائد السيطرة على الموقف فى هذه الحالة وجب على قائد الكتيبة الذى معهم التدخل.

خلال ذلك اندفعت دبابات العدو نحو الأبطال تكيل لهم من مدافعها الرشاشة دفعات متتالية مستمرة وهى تفتش عنهم. اعتبرته صيدًا سهلاً لها. اشتبك معها الأبطال بجميع أنواع الأسلحة الشخصية ولم يستخدموا الصواريخ لعدم جدواها فى المسافات القصيرة، كما قلنا أو المنطقة الميتة كما يسمونها العسكريون. ثم أرادت الدبابات أن تدهس الموقع كله بالجنازير. كرر قائد الكتيبة ضرورة التشبث بالأرض وعدم التعرض من خلال الأوامر الشفوية وخلال اللاسلكى. وأضاف القائد أننا لن نتحرك إلا إذا قضينا على العدو حتى ولو أصبحنا جثثًا لا تتحرك. قام الأبطال عبدالهادى - منير زاهر - أحمد عثمان بجهد رائع فى السيطرة على الموقع وعلى الأفراد حيث كانوا يلقون الأوامر زحفا

على الأرض أو فى خطوات قصيرة، وكانوا همزة الوصل بين قائد الكتيبة والأبطال فى الموقع فى إلقاء الأوامر. هنا طلب قائد الكتيبة المعاونة من قائد المدفعية قصفة مدفعية على الموقع ولم يبالِ بما يحدث. كان الرد سريعًا من قائد المدفعية اطمئن فلم تراكم دبابات العدو وسأل عن الإضاءة فكان الرد أنها لم تجهز بعد ـ كرر قائد المدفعية (الجوهرى) اطمئن لن تراكم دبابات العدو بعد ذلك. ثم عند الخروج من المدى دمروها.

هكذا كان قرار (عبدالعزيز الجوهرى) قائد المدفعية. وقبل أن يتم كلامه سطعت السماء بإضاءة وجعلت الليل نهارًا وقلبت الموقف رأسًا على عقب حيث تم تعمية هذه الدبابات التى لا ترى ليلا من أجهزة الرؤيا الليلية المزودة بها الدبابة. حاولت الدبابات الفرار والتخلص من الموقف السيىء التى وضعت نفسها فيه. وبعد دقائق والإضاءة قلبت الليل إلى نهار تسابق الأبطال فى تدميرها ولكن حددت المهام من قائد المجموعة واشتبك الأبطال وبعد دقائق أيضا رقدت محترقة جثة هامدة غير قادرة على الحركة، وقتل كل من فيها. وفى الحال أبلغ قائد المجموعة عن تدمير الأهداف المعادية إلى قائد كتيبة الذى بدوره قام بإخطار قائد المدفعية بالموقف وتدمير الهدف المعادى والإصابات فقط فرد واحد من طلقة طائشة من دبابات العدو. رفض أن يخلى إلى النقطة الطبية، وقام بربط الجرح بالرباط الطبى الذى معه (الرباط الميدانى). هنأهم قائد المدفعية على بطولتهم والتصرف بحكمة وكذا قائد التشكيل. وتم ترقية الفرد المصاب إلى درجة العريف لإصراره على استكمال المعركة وعدم إخلائه إلى النقطة الطبية وعولج فى الموقع.

ولابد لنا هنا من وقفة حتى نذكر شيئا مهمًا حدث خلال تلك المعركة، حيث توجهت إحدى الدبابات إلى قائد الكتيبة وهو يتعامل بسلاحه الشخصى مع إحدى الدبابات الأخرى ويصدر أوامره للأبطال. وأرادت هذه الدبابة أن تدوس القائد دون أن يدرى أو يراها حيث المعركة محتدمة والأحداث عالية والضجيج يغطى على الموقع. أسرع منير زاهر نحو قائده فدفعه إلى حفرة مجاورة وألقاه أرضا. فإذا بالدبابة تمر بجواره وجنزيرها يكاد يحف به.

كذا مرت إحدى الدبابات على حفرة بها بعض الأبطال فلم تنل منهم وكان ثباتهم عن يقين هو الذى أعطاهم الحماس والهمة.

قامت هذه المجموعة بمعارك أخرى ضارية حيث لم يقف عطاؤها عند هذا الحد حيث هناك بعض المعارك التى لا تنسى قامت بها هذه المجموعة.

كان ذلك يوم التاسع من أكتوبر وبالقرب من تبة الطالية الشهيرة قاد هذه المعركة قائد التشكيل شخصيًا. حيث اندفع لواء مدرع إسرائيلى الذى قام بالضغط على إحدى وحداتنا واخترق القطاعات بغية احتلال تبة الطالية. قائد التشكيل وهو (العميد/عبد رب النبى حافظ) قاد هذه المعركة بنفسه حيث أراد العدو أن يدمر قواتنا بهجوم مضاد بكل ما يملك هجوم مضاد شرس استخدم فيه كل قوته وكل احتياطيه شرق القناة تقابل مع قائد الكتيبة. أصدر إليه الأمر بعد أن خصص له المهمة بالدفاع عن تبة الطالية وهى تبة عالية يستطيع من يحتلها السيطرة على معظم القطاع الأوسط؛

ولذا فإن العدو حاول أن يحتلها مرات ومرات وتصدت له قواتنا فى ضراوة وفى شراسة وكبدته خسائر فادحة، طلب قائد التشكيل التمسك بهذه التبة التى تحتلها قواتنا. وطلب منه تكثيف الدفاع حول هذه التبة ومساعدة القوات التى عليها للتمسك بها.

كان يحتل شمال تبة الطالية المقاتل (الدرينى) ومعه المقاتل (ندا) قامت هذه المجموعة الصغيرة بقيادة عبدالهادى وبناء على طلب قائد التشكيل من قائد الكتيبة قامت باحتلال الميول الشرقية لتبة الطالية وخلف المقاتل (الدرينى) وذلك لحمايتهم. بعد برهة انهالت قذائف المدفعية المركزة على القوات التى تدافع عن هذه التبة. ونزلت أطنان من الذخيرة على الأبطال من كل صوب وبجميع أنواع الأسلحة الثقيلة. بلغ القصف حوالى نصف الساعة. ثم أعقبه الطيران أيضا وبالطبع يعرف الأبطال أسلوب العدو فهو لا يقدم على الهجوم إلا بعد المدفعية والطيران أسلوب كان يستخدمه العدو فى كل معاركه القصف بجميع أنواعه كان مركزًا وغارات الطيران مستمرة، وقامت مدفعيتنا والدفاع الجوى بالواجب فى التصدى لقصف مدفعية وغارات طيرانه. كانت الإصابات وحالات الشهادة كبيرة فى قواتنا حيث استشهد وأصيب عدد من الأبطال ولكن فى هذه المجموعة بقيادة عبدالهادى لم يكن هناك أى خسائر أو إصابات. ظهرت دبابات العدو خلف (الدرينى) وفى المواجهة. وقفت على مسافة بعيدة لا يمكن للصواريخ أن تنال منها وكأنها تعرف مصيرها. أخذت الدبابات التى فى مواجهة الدرينى تشغله بالقصف عليه من مدافعها بالنيران المباشرة وغير المباشرة. والتفت سبع

دبابات خلف قواتنا صوب الطالية مندفعة فى طبور عرضى وهو هدف سهل يمكن الاشتباك معه حيث إن الأبطال كانوا يختبئون لا يراهم أحد. وكما قدر قائد الكتيبة أن العدو مادام يقوم بإشغال قواتنا بالمواجهة فلابد من قيامه بالالتفاف والاختراق سيكون فى اتجاه تبة الطالية التى يحتل الأفراد ميولها الشرقية ولجهة اليسار. أعطى قائد الكتيبة أوامره بالاشتباك عند دخولها المدى وقام قائد المجموعة بتخصيص الأهداف التى أمامهم ولكن كانت سرعتها عالية. وكانت المصيدة التى أوقعتهم فيها المجموعة. أسلوب تكتيكى تدرب عليه الأبطال.

بعد بُرهة انهالت الصواريخ على الدبابات. وكان صيدًا سهلاً. دمر البندارى ومبارك أربع دبابات كل منهما دبابتين. أما الدبابة الخامسة والسادسة فقد دمرها إبراهيم حسين وحامد.. الدبابة السابعة لم تقدر على التحرك وظلت ساكنة وفر الطاقم منها. اندفع أحد أفراد المجموعة دون أن يدرى أحد وهو المقاتل (معوض) أحد الأفراد الذين كانوا مخصصين للذخيرة وتجهيزها أراد أن يقوم بعمل شىء كالأبطال الذين يراهم. صحبه أحد السائقين من وحدة مجاورة وقادوا الدبابة على قدر معرفة السائق وهو سائق عربية. تحركوا وسط اللهيب من قوات العدو وقواتنا غير مبالية للخطر من حولهم. لقد عرضا أنفسهما للموت. لقد كان قرار معوض أن يحضر الدبابة التى تركها العدو وهرب. قاد السائق الدبابة. وصعد (معوض) فوق الدبابة يحمل علم مصر أخذ يلوح به وهو يرقص طربا وفرحا. وهو مسرور إلى أبعد الحدود. رأى الموقع

دبابة معادية تقترب منهم ولكن سرعتها بطيئة ومتقطعة. أصدر قائد المجموعة لأحد الأطقم بالاستعداد ومراقبة هذه الدبابة. نظر الحكمدار خلال المنظار فرأى منظرًا غريبًا أحد الأشخاص يرقص فوقها حاملاً علم مصر. لم يصدق قائد المجموعة. نظر من خلال منظاره فتأكد له ذلك. أعطى الأمر بعدم الاشتباك وانتظر. فاقتربت إلى مسافة تسمح بالرؤية. صاح الأبطال أنه معوض. وأخذوا يبحثون عنه. أين معوض؟ أين معوض؟. لم يكن موجودًا بينهم وعلى الفور أدركوا أنه هو الذى فوق الدبابة. عند وصوله وجدوا أنها دبابة سليمة لم تخدش تسلمتها قواتنا. ولكن لم يترك معوض من التأنيب والتحذير فسكت ولم يرد إلا من نظراته. نظرات البطولة الفذة للرجال. واندحر العدو ووقفت حطام دباباته فى طابور من قمة تبة الطالية حتى آخر دبابة أسفلها واندحر العدو ولقن درسًا قاسيًا من الدروس التى سوف يعيها مدى الدهر.

هذه هى بطولات هذه المجموعة التى أضيفت إلى سجل المجد والفخر والشرف، هو ووحدات أخرى لا تقل بطولة عن هذه البطولات.

محمد السيد وإبراهيم حسين

لم يلتق القائد (قائد الكتيبة) مرة مع جنوده فى اللقاءات التى كانت تتم إلا وكان إبراهيم حسين ابن شبين القناطر (قليوبية) يناقش قائده فى أمور كثيرة دون رهبة أو خوف ولكن فى حب واحترام. كانت شجاعته نادرة. كل مناقشاته كانت تدور حول زملائه نحو معيشتهم أو النواحى الاجتماعية لهم. اشتهر بذلك بين زملائه وقادته. لم يرض ذلك بعض زملائه وقادته الأصاغر وذلك لصراحته الدائمة. كان قائده شغوفًا به. مسرورًا بأفكاره وآرائه البناءة وكثيرا ما كان القائد يبحث عنه فى اللقاءات ويناقشه فى صبر وجلد وذلك ما يتيح الفرصة للباقين أن يتعدوا حاجز الخوف والرهبة يعرض بعض المشكلات الخافية عن القادة التى لا يجرأ أحد على التحدث فيها فكان هو المرآة الحقيقية للقائد للتعرف على المشاكل السائدة فى وحدته سواء ما يخص الوحدة أو المجندين. لقد كان القائد عنده الإيمان الكامل بأن حل مشكلات الجنود

والأفراد هو أحد أسباب ارتفاع المستوى تقبلهم التدريب القاسى والمستمر فى ذلك الوقت فى ثقة وحب وارتياح. وكان له الفضل الكبير فى كسر حاجز الرهبة بين القائد وجنده كما قلنا. حيث تجرأ الجميع مثله فى عرض كل ما يحيط بهم من المشكلات التى تقابلهم. فى وقت قصير حلت الشكاوى المجمعة من جذورها وأصبحت لا تذكر كما حلت مشكلات المجندين قدر المستطاع. وأصبح اللقاء المستمر هو التقدم بمقترحات وآراء لتحسين الأحوال سواء المعيشية أو أى رغبات أخرى يريدون تحقيقها. الحق يقال إنه كان لإبراهيم حسين الفضل فى ذلك حيث جرأته وصراحته. ولم يكن أبدًا خارج عن الحدود واللياقة، ولكن كان فى ود واحترام كامل بين الجميع.

كان إبراهيم حسين من الألفاء فى عملهم والمخلصين فى عطائهم، وكان يسعى دوما لتحسين مستواهم ومستوى سريته حيث كان أحد عمال توجيه الذين يعدون ليوم النصر. يوم الخلاص. كان يعتنى بمظهره جيدا، وكانت ملابسه وهندامه محط تعليق الكثيرين من زملائه وقادته. وكان شغوفا بقيادته متعلق بها دون رياء أو تملق.

وخلال المعركة كان إبراهيم حسين من المعدودين وكان صاحب الرقم التالى لرقم عبدالعاطى حيث دمر خلال المعركة (١٨ دبابة) من دبابات العدو.

أما كيف تم ذلك؟ وكيف حقق تحطيم هذا الرقم؟ فلنترك قائد موقعه. قائده المباشر. قائد سريته والذى أحبه أكثر من أى شىء

آخر. عرف القائد كيف يتعامل معهم خلال المعارك وكيف يوجههم التوجيه السليم حتى تصدوا للعدو فأذاقوه الويل والعذاب والهوان.

ونالوا منه ومن دباباته، ووقف صامدا لا يستطيع مهاجمتهم مرات عديدة. كلما حاول العدو ذلك خسر الجلد والسقط كما يقول محمد السيد ابن العشرين ربيعا.

تشرفت بقيادة هذه المجموعة، التقيت بهم فى البداية شرحت لهم المهمة ككل ثم شرحت لهم المهمة فردًا فردًا خصوصا بعد التعديل فى المجموعات والقطاعات بعد الخسائر والإصابات. وكانت مهمتهم عدم تمكين العدو ودباباته فى التقدم فى اتجاه قواتنا ومنعه بكل الوسائل المتاحة وعلى طريقته المعهودة والتى كانت تتصف بالمزاح والمرح مع جنوده حيث كانت مجموعته تضم ثلاثة أطقم (بقيادة إبراهيم حسن - ويحيى - والشربينى) قال لهم مداعبًا أن تدمير الدبابة يساوى علبة سجاير. كان هذا على سبيل المزاح والمرح حتى يزيل الرهبة منهم ولو أنهم نالوا من العدو خلال الأيام السابقة من مواقع أخرى متعددة. ويقول محمد السيد كنت أخفف عنهم عناء التعب وصعوبة المعارك التى خاضوها. ولم يكن ذلك تقليلاً من قوة العدو وشراسته. ولكنا نعرف أن العدو غادر ومعارك دباباته تشهد على ذلك ولابد أن نعمل له ألف حساب. ثم توجه كل فرد إلى موقعه فى يوم ١٣ من أكتوبر وهو يوم من الأيام المشهورة فى المعركة ومن الأيام المجيدة فى سجل هذه المجموعة خاصة المقاتل الصلب إبراهيم حسين حيث استطاع أن يدمر بمفرده

(خمس دبابات) من الدبابات المعادية بخمس صواريخ متتالية دون أن يخطئ فى صاروخ واحد. عاونه طاقمه الممتاز على ذلك. وكان العدو قد قام بهجوم مضاد على قواتنا للاستيلاء على نقطة قوية فى خط بارليف فى العمق، وكانت قواتنا قد استولت عليها. وكان العدو يريد استرداد هذه النقطة الفدية بأى وسيلة. وكانت هذه النقطة من الأماكن المهمة من مراكز القيادة فى القطاع الأوسط. كان هجوم العدو مركزًا حيث تقدمت خمس دبابات فى قطاع ابراهيم حسين. استطاع بخبرته التى اكتسبها أن يدمرها بطريقة رائعة حيث أرادت الالتفاف حول موقعه ولكنها لم تفلت منه. وانسحبت باقى الدبابات وباقى قوات العدو بفضل وجرأة بكل واحد - مخلفة وراءها القتلى والدبابات المحترقة وباقى المعدات الأخرى. بعد انتهاء الهجوم يقول قائده فوجئت أن إبراهيم حسين أمامى يطالب بحقه من السجائر التى وعدتهم بها. ولم أتردد فقد أعطيت له الخمس علب سجائر وهو فى غاية السعادة وضحك الجميع واحتفلوا بهذا النصر العظيم. ولم ينس إبراهيم أن يوزع على زملائه فى الموقع السجائر.

يقول أحسست أن عناية الله معنا وترعانا بفضل المجهود الشاق الذى قام به الأبطال فالله لا يضيع أجر من أحسن عملا. لقد كانت المعركة ضارية قاسية خاضها الرجال بفضل التخطيط الجيد للمعركة، والذى تدرب عليه ونفذه الأبطال عن قناعة وثقة. نفذ الرجال التعليمات واستطاع طاقته واحد أن نعيد هجومًا للعدو بتدميره خمس دبابات مرة واحدة. كان إبراهيم أفضل من ينفذ

التعليمات والأوامر. ولقد كان لدقة تصويبه للصواريخ عاملاً حاسمًا فى المعركة حيث لم يشترك باقى زملائه معه؛ حيث لم يترك لهم فرصة الاشتراك لبعدها عن مواقعهم ـ وقد اشتركت كل الأسلحة فى مواجهة الهجوم فى هذه المعركة. لم يسكت العدو بل حاول مرة أخرى وكانت استعدادات الأبطال أكثر من هائلة وقامت الأسلحة بتدميره كذا والأسلحة المضادة للدبابات الأخرى ذو المدى القصير.

يوم ١٤ أكتوبر دمر إبراهيم حسين أربع دبابات أضافها إلى سجله فى ثقة تامة ـ كل ذلك لأن إبراهيم حسين يلتزم بالأوامر والتعليمات ويحكى من السيد قائلا إنه لم يكن مستعجلاً ولا ملحًا فى الاشتباك حين كنت أخصص له الهدف والمسافة ويقوم هو بمراجعة ذلك وفى لمح البصر كنت تجد الصاروخ يشق طريقه نحو الهدف المعادى ـ وهو يصفر ويزغرد فى الجو ـ وفى هدوء وثقة واتزان ترقبه كل الأنظار يبحث عن فريسته ويتجه إليها فى حذر تام فيدمر الهدف. وبعد كل هدف يدمر بواسطة الأبطال تتعالى صيحات الله أكبر الله أكبر من كل المقاتلين ـ كانت الروح عالية لكل أفراد الموقع ـ انقطع بعد ذلك هجوم العدو ـ والكلام على لسان القائد الشاب. يوم ١٥ أكتوبر مر دون أن يجرب العدو حظه مرة أخرى على هذا الموقع لما لقيه من خسائر فادحة. كان اليوم الذى يمر على الأبطال دون اشتباك مع العدو يعد من الأيام الطويلة والشاقة عليهم. الكل يريد أن يضيف إلى رصيده وسجله الكثير والكثير. الكل يتسابق من أجل التضحية والفداء حتى لو كانت

الشهادة هى الثمن؛ لهذا عبر الجميع القناة. ولم يكن شغلهم الشاغل سوى الزود عن مواقعهم. وعن كل شبر وحروره بعرقهم وكفاحهم واستماتهم.

فى يوم ١٦ أكتوبر ومع بزوغ الشمس فوجئنا بموجات متتالية من دبابات العدو تقف على بعد من المواقع. تستعد للهجوم على الموقع والذى كبدهم خسائر جسيمة. استعد العدو فى تشكيل لخوض المعركة - وكان باديًا على قواته أنهم سيخوضون هذه المرة المعركة بشراسة - واستعدت كل القوات وبينهم الأبطال ومعهم البطل إبراهيم حسين. هدرت مدفعيتنا وصبت عليهم وابلاً من النيران - لم تتركهم هكذا يتنزهون قبل الهجوم فى محاولة منها لأمدات أكبر خسائر ممكنة. نزلت عليهم القذائف كالحمم وزاد اللهيب من حولهم وكانت المدفعية دقيقة فأصابت منها الكثير وعطلت جزء من الدبابات. كانت بعض الإصابات مباشرة. ورغم الخسائر الذى تكبدها العدو إلا أنه لم يتراجع - هجم علينا كما يقول القائد ولم يكن نصيبه فى هذه المرة بأقل مما سبق - فقد وجه الرجال صواريخهم نحوه فى دقة متناهية وكانت الصواريخ تبحث فى الجو عن أهدافها - عن الدبابات وهو الذى يهمها فى المقام الأول. وكذا فعلت باقى قواتنا المجاورة. وتوقف الهجوم وفشل أمام إصرار وتصميم الرجال - أصبحت هواية إبراهيم تدمير دبابات العدو وكان يحس بلذة فى ذلك - كنت أظنه أنه نسى موضوع السجائر - ولكنه فى هذه المرة أرسل لى أحد أفراده طالبًا نصيبه وهو لم يكن مدخنًا ولكن كان يوزعها على زملائه كما قلنا سابقا.

حقق الأبطال الصمود والعزيمة ـ وكانت عزيمة الرجال لا تلين.
بعد أن حقق الأبطال هذه النجاحات الهائلة نزل ثمن الدبابة إلى سيجارة واحدة ـ ويستطرد القائد (محمد السيد) السجائر أوشكت على النفاد كان ذلك دعابة كما قلنا انقلبت إلى حقيقة وبدأ بها البطل إبراهيم حسين فى ود وحب من الجميع.

ولهؤلاء الرجال مواقف بطولية رائعة وكثيرة. ولكن هناك أيضا موقف لا ينسى لهؤلاء الرجال. كان ذلك يوم ١٧ أكتوبر حيث ركز العدو هجومه المباغت والمفاجيء بعد انقطاع على هذا الموقع. قصف بالمدفعية وغارات الطيران وتعطلت نتيجة لذلك بعض قواعد الإطلاق فى الموقع. بعد ذلك هجم العدو علينا ـ مازال قائد الموقع يحكى ـ ولكن وقف الرجال له بالمرصاد. أين يذهب منهم وهم مصممون صامدون فى أماكنهم ـ فقد استعد إبراهيم حسين هجم العدو واشتبك البطل ودمر خمس دبابات أخرى فى فترة زمنية قصيرة ـ كان صاحب الفضل فى طاقمه للجندى البارع محمد عبدالفتاح والذى اشتهر بشجاعته الفائقة ـ حتى بعد انتهاء الهجوم قام واحتضنه وعانقه وشكره على ذلك الأداء ـ كانت تلك هى روح الأبطال وكانت هذه هى الروح السائدة بينهم ـ بين الرجال ولذا كانت البطولات وضربوا أروع الأمثلة فى القتال بجميع أنواعه وصفوفه. لم يستطع العدو أن يحتل منهم شبرًا واحد استردوه من مركز القيادة المتقدم فى النقطة (٥٧) وكانت مركز القيادة التبادلى للعدو بعد موقع الشجرة المشهور.

وفى أحد الأيام وهو اليوم الذى أصيب فيه البطل بإصابة فى يده منعته عن مزاولة هوايته وهو يبكى لا من تأثير الإصابة ولكنه سوف يحرم من تدمير الدبابات ولأنه سوف يخلى إلى المستشفى ويترك موقعه وزملاءه وهذا لابد منه لأن الإصابة تستدعى ذلك وتحتاج إلى العلاج حيث نزف الدم بغزارة ـ لم تكن إصابته إلا بطولة تضاف إلى سجله الخالد ـ حيث قام العدو فى اليوم الأخير من أيام المعركة وهو يوم ٢٢ أكتوبر بهجوم أكثر تركيزًا بالمدفعية والطيران على ذلك الموقع ـ الموقع الذى تسبب لهم ولقواتهم فى الخسائر الفادحة. وخلال ذلك وإذا بشظية مباشرة تصيب موقع مجاور له وبه أحد للزملاء وهو (يحيى حسنين) اشتعل الموقع وغطته سحب كثيفة من الدخان والأتربة ـ اندفع إبراهيم مسرعًا نحو زميله وصديقى يحيى وطاقمه كى يطمئن عليه ـ فى أثناء ذلك. أصابته فى يده. وقع إبراهيم على الأرض ونزف منه الدم بعزارة. أسرع الكل نحوه كى يطمئن عليه. فى الحال أعطى قائد الموقع أمرًا بإخلائه إلى النقطة الطبية وأمرا آخر بأن يحتل محمد عبدالفتاح الثانى له فى الطاقم فى قيادة الطاقم حتى يستعد لصد هجوم العدو المنتظر.

أخلى إبراهيم بعد إصابته أما زميله يحيى فكان بحالة جيدة ولم يصب فقد حفظه الله ورعاه. حقق الأبطال مجدًا آخر حيث دحروا العدو وردوه على أعقابه.

وقف رصد بطلنا إبراهيم عنتر (١٨ دبابة) حيث كان قبل ذلك فى موقع آخر دمر فيه بعض الدبابات.

صدرت الأوامر بوقف إطلاق النار ولم ينل العدو من هذا الموقع ولم يمكنه الأبطال من شىء. كان ذلك بفضل الأبطال. بفضل الرجال وبينهم إبراهيم حسين ابن القليوبية ابن شبين القناطر ابن الأرض الطيبة الطاهرة؛ لذا وجب علينا تكريمه وقائد موقعه فى هذه السطور القليلة التى لم توفه حقه ولكن كان ذلك جزء من كل ما حققه زملاؤه فى حرب أكتوبر. وشفى البطل وعاد إلى وحدته يستعد لجوله جديدة.

منير زاهر والمشاط يوم ١٩ أكتوبر ١٩٧٣

انفصلت هذه المجموعة من مجموعة عبدالهادى وذلك لمتطلبات المعركة. وبعد يوم ١٩ من أكتوبر من الأيام التاريخية بالنسبة لها وبالنسبة للتشكيل الذى تتبعه حيث كان هذا التشكيل وهو الفرقة ١٦ ش تعمل فى القطاع الأوسط وقد ركز العدو هجومه المستمر على التشكيل ولكنه تصدى للعدو. بكفاءة رجاله وصلابتهم ولقد كان هذا اليوم من الأيام الرائعة التى تضاف إلى سجل النضال والمجد لمجموعة أكله الدبابات ـ لقد اقتربت الأيام الأخيرة للمعركة كما هو واضح من الجهد السياسى فى هيئة الأمم وأراد العدو الضغط بقصد تصفية المواقع وتحسين أوضاعه إذا أوقف إطلاق النار. لقد حفر الأبطال مواقعهم وتمسكوا بها بتصميمات خيالية. بالجهد والعرق والدم ودماء الشهداء حولهم ـ ولقد شن العدو هجماته بضراوة وبكل ما يملك من قوة وخصوصا بعد الإمدادات المستمرة التى وصلته من غالبية الدول الأوربية خصوصا أمريكا والذى فتحت مخازنها لتحقيق رغباته وعندما تأكدت من أنه خسر

المعركة ومطلوب تحقيق أى نجاح ـ تصدى هذا التشكيل والأبطال به لكل هذه المحاولات المستميتة من جانب العدو، ولكن شجاعة الرجال فشلت كل المحاولات ولم يمكنوه من تحقيق أى نجاح.

وقام صائدو الدبابات وأكلتها بالمقاومة العنيفة خصوصا بعد صدور الأمر إليهم باحتلال جزء من موقع يطل مباشرة على مواقع العدو حتى يفسدوا عليه خطته ـ أما أبطال هذه المعركة فكثيرون منهم من سلاح المدرعات ومنهم من رجال المشاه ـ وعملت معهم هذه المجموعة الصغيرة من الموجهين حيث قادهم أحد القادة الأصاغر والمشهود له بالكفاءة. وهو منير زاهر يعاونه عبدالمنعم المشاط وتضم المقاتلين طلعت برغوت وعبدالباقى ـ محمود عبدالعزيز.

قائد المجموعة منير زاهر خريج كلية الزراعة انضم إلى سلاح المدفعية وأصبح ضابط احتياط فى الكتيبة التى كانت تعد لتدمير دبابات العدو. لقد تتلمذ على يدى الكثير من عمال التوجيه من حسن تدريب وحسن قيادة. تدرب على يدين معظم الوقت البطل عبدالعاطى. خاصة جميع تلامذته المعركة وحققوا ما شهد به الجميع من أمجاد وأمجاد.

أما عبد المنعم المشاط خريج كلية الاقتصاد والعلوم السياسية والذى كان من أوائل دفعته ـ وقد عين معيدا بعد ذلك وسلك التدريس فى كليته بعد انتهاء المعركة. كان من المفروض أن يكون المشاط فى الخلف فى مركز القيادة للوحدة لأنه ضابط إشارة

الوحدة ـ ولكنه أصر على التواجد مع زملائه وسط المعارك ولهيب المعركة ـ فقرر أن ينال هذا الشرف العظيم. وأن يكون فى المقدمة وسط المعارك وحتى يقدم المساعدة والعون لزملائه كذا يشد من أزرهم باشتراكه معهم ـ لذا فقد طلب أن يكون فى المجموعة مع زميله منير الزاهر إلى جانب عمله الأساسى كضابط إشارة. ولقد اشترك فى المعركة التى تتحدث عنها الآن وكانت فى اليوم الذى ذكرناه سابقا.

فى هذا اليوم قام العدو بالضغط على التشكيل، وكانت قد حدثت بعض الافتراضات من جانبه يريد تحقيق كما قلنا كسب أرض جديدة ولكن تماسك الوحدات وسرعتها فى الهجمات المعتادة حرمته من ذلك. وحرمته من نوايا نحو الالتفاف خلف بعض المواقع الهامة ـ وقامت القيادة بوضع هذه الجرعة أمام العدو الذى ظن أنه حقق نجاحا ـ قامت القوات بالتصدى للعدو ومعها مجموعة قنص الدبابات بقيادة منير والمشاط. تصدت هذه المجموعة لدبابات العدو وكانت أعدادها كبيرة حيث وصلت إلى حوالى ثلاثين دبابة. حبست كل الوحدات نيرانها حتى تفاجأ العدو المتقدم. كان التخطيط جيدا وكان التنفيذ الدقيق. حتى انهالت عليها النيران من كل صوب فى مفاجأة مذهلة لقوات العدو ـ تم تدمير حوالى (١٢) دبابة من دبابات العدو دمرت مجموعة منير والمشاط ستة دبابات والباقى دمرته الأسلحة الأخرى دمر طلعت برغوت، عبدالباقى، فمدد كل منهم دبابتان. انسحبت الباقى من دبابتين وارتد مذعورا مزحورا مخلفا وراءه حطام دبابتين التى مازالت مشتعلة. ركز العدو

نيرانه على مجموعة الصواريخ بشدة ودام القصف بعض الوقت. واستخدم القذائف الفسفورية وذلك لتقطيع الأسلاك وإبطال مفعول القواعد التى تطلق الصواريخ. وفعلا أصابت هذه الطلقات الفسفورية. الأبطال واشتعلت النيران فى بعض المعدات. خلع المشاط ملابسه المحترقة والمشتعلة وذلك بمساعدة رجاله. ظل عارى الجسم إلا من بعض الثياب الممزقة ستر بها جزء من جسمه. كما نال منير نفس المصير ولكن الشظايا وصلت وجهه وأيضا أذنه والتى عانى كثيرا من هذه الإصابة بعد ذلك ـ كذا بعض الأفراد ومع ذلك لم يتركوا مكانهم وفى الحال أصلحوا الأعطال وتصدوا للعدو ولم يمكنوه من التقدم شبرًا واحدًا. ارتد على عقبيه ـ وهم مرة أخرى ظنًا أن هذه القوات قد أصيبت وتركته مكانها ـ وظن أن الموقع أصبح فى متناول يده. وما إن اقترب من الموقع حتى فوجىء بنيران كثيرة أكثر من سابقتها ـ دافع الأبطال بشراسة وتحدى ـ دافعوا وهم شبه عرايا لأن ملابس بعضهم احترقت نتيجة للقصف الفسفورى. قاموا بتدمير (١٥) دبابة للعدو ـ دمرت مجموعة الصواريخ (٧) دبابات. وهزم العدو بشر هزيمة. وانسحب وقضت كل هجماته. لم يواصل التقدم ولم يفكر فيه ـ لم تكتف قواتنا بذلك فقامت بالهجوم المعتاد عليه لطرده وفعلا تم ذلك بدقة وتخطيط محكم ودمرت له الجزء الباقى من مدرعاته ومعداته ـ واحتلت قواتنا مواقع العدو وبها عدد من المعدات الثقيلة والعربات وتم أسر معنويات الأبطال وتوقف العدو عن التفكير فى الهجوم فى هذا القطاع مرة أخرى والتى تم تطهيره تماما إلى نهاية المعركة ووقف إطلاق النار.

وكان يوما من الأيام المشهودة فى سجل معركة التحرير ـ ولو أن المواقف المضحكة فى مثل هذه المواقف لا تنسى أيضا ـ فالأبطال الذين أصابتهم الشظايا الفسفورية وتسابقوا لإطفائها من أجسادهم ومن على أجزاء الجسم ومن زملائهم عند الليل شاهد الأبطال منظرًا غريبًا ومسليًا ـ فذاك تجد أذنه وخديه أو جزء من فمه أو جزء من جسمه وطبعا هذه صفة من صفات الفسفور. ضحك الجميع لهذا المنظر الغريب وهم شبه عرايا حتى أرسلت لهم الملابس الجديدة دون المقاسات فى مثل هذه الظروف ـ فكنت تجدهم أيضا بالملابس المهرولة والواسعة فذلك يربطها بحبل حتى تثبت على جسمه وهذا بواسطة دبوس أو ما شابه ذلك وكان هذا المنظر أيضا مضحك وأخذوا يتندرون بينهم وبين بعض حتى نهاية المعركة التى أوشكت على النهاية.

أحمد عثمان ـ وبكر العادلى ابن
قرية ميت العامل ـ دقهلية

دخل بكر العادلى المعركة وهو يعد من الصف الثانى الذى يجهز كى يحل محل زملائه الصف الأول. وكان أيضا لاعب كرة احتياطى للمجموعة التى تلعب فى الفريق الأول - ولذا فقد أطلق عليه أنه شبل فى الكرة وشبل فى توجيه الصواريخ وكان ذاك على سبيل المزاح بينهم - وكذا أطلق على الصف الثانى من الموجهين للصواريخ الأشبال. كان بكر حديث الخدمة لين العود - لذا فانه تدرب تدريباً جيداً ولكنه لم يصل إلى الحد الذى يمكنه أن يكون حكمدار لأحد الأطقم.

وقبيل المعركة مباشرة تم اختبار دقيق لكل الموجهين استعدادا للمعركة. وحتى يعرف قائد الكتيبة المستوى الحقيقى لكل فرد من الأفراد. وكانت النتيجة مذهلة حيث ارتفع مستوى بكر فجأة ودون مقدمات وفرض نفسه وكان يعد من الأوائل فى عالم توجيه الصواريخ ويؤهله مستواه أن يدخل المعركة بكل جدارة - ويطمئن

عليه قادته ويمكنهم الاعتماد عليه. وفعلا عين حكمدار طاقم أو قائد طاقم وكما أنه وصل إلى مستوى رفيع فى استخدام الصواريخ أيضا كانت مستوى أخلاقه رفيعة المستوى وتلك ميزه تميز بها بين كل زملائه ـ كان قوى الشخصية يحترم كل زملائه القدامى والجدد.

عبر بكر القناة ضمن المجموعة الأولى وفى الموجات الأولى وهو سعيدًا ومسرورًا بذلك ـ الفرحة بادية على وجهه ورغم الهدوء الذى كان يتميز به وابتسامته الدائمة ولكن قائده أحمد عثمان من بلبيس يقول عنه:

خلال المعركة بدا أن هناك اختلافًا فى شخصية بكر ـ تبدلت الابتسامة بالصرامة والجدية ـ وتبدل فرحه وسروره إلى حماس وصيحات مدوية لزملائه كى يحسهم على العطاء. وكان دومًا يتوعد العدو بالجحيم منه ومن زملائه. كان بكر منفعلاً ومستعد لدفع حياته فداء لوطنه ولاسترداد أرضه وأرض أجداده. فلقد أطلق صواريخه تزمجر وتهدر فى أعقاب دبابات العدو وفلوله المنهزمة وكبده خسائر جسيمة. ولقد حدث أثناء تقدم المجموعة أن قابلتنا إحدى التبات العالية. يحكى القائد أحمد عثمان. أردنا أن نستطلع خلف هذه التبه حتى تتأكد عما إذا كان هناك قوات للعدو أم أن المكان خالى. تقدم بكر ومعه طاقمه حاملاً قواعد الإطلاق ومعهم المعدات والأسلحة الشخصية. فى سرعة شديدة تقدم إلى أعلى التبة. رأى دبابات العدو أمامه. أصدر أمرًا للطاقم بالاستعداد وتجهيز الصواريخ واستعد للاشتباك. ثم اشتبك وأرسل أحد أفراد

الطاقم يخطرنى بالموقف وعلى الفور أسرعت إلى موقع بكر. وما أن وصلت إلى الموقع وهو على القمة ومعى باقى المجموعة وجدت بكر يشتبك دون انتظار لأمر منى. فاجأ العدو بغتة دمر لهم أربع دبابات قبل أن تستعد المجموعة. ومن هول المفاجأة فرت باقى دبابات العدو الذى أصبح هذا الصاروخ مصدر فزع ورعب. اتجهت الدبابات نحو الشرق طالبة النجاة ـ وقام باقى الأفراد بالتعامل مع حلول الدبابات الهاربة والفارة وأيضا الوحدات المجاورة. تم احتلال التبة وكسبت قواتنا بفضل الأبطال أرض جديدة. أبلغ القائد (قائد الكتيبة) بالموقف. هنأ الرجال وحثهم على بذل الجهد فى رسالة صغيرة مقتضبة. أما التوجيهات بالحذر واليقظة تجاه دبابات العدو فكانت لا تنقطع فهى مستمرة مع اتصال. حدث ذلك يوم ٨ أكتوبر.

اشتد غيظ قوات العدو فى هذا القطاع.. الكلام مازال للقائد أحمد عتمان وكان للهجوم المباغت بالصواريخ الذى قام به الموقع أثره فى اشتداد غيظهم من تدمير دباباتهم ـ وكالعادة وأصبح ذلك محفوظًا على ظهر قلب للأبطال بعد كل فشل لأى هجوم له تشتد نيران المدفعين وغارات الطيران على الموقع الذى أصابهم وتسبب فى أى فشل لهم. ولكن استمر ذلك ساعات متتالية والأبطال مختفين عن الأنظار وقد آمن الأبطال بأن الموقع يحميك من أى قذائف أو صواريخ الطيران إلا إذا كانت مباشرة وذلك قدر. فقد آمن الأبطال بذلك تماما. أعدو أنفسهم لذلك واختفوا فى حفرهم لم يظهر منهم جزء إلا فى المراقبة وتدقيق النظر أمام الموقع وحوله. آمن الأبطال بالحكمة التى تقول لن تصاب إلا إذا كان

مكتوب على قذيفة المدفعين أو صاروخ القائد والأبطال على بعضهم الكل يحاول أن يطمئن على زميله وعلى قائده بالإشارة وبالصوت أحيانا أخرى. والجهاز اللاسلكى للمواقع البعيدة بعض الشىء. رأى الأبطال الطيران الغاطس فوقهم مباشرة يلقى بأطنان الذخيرة عليهم. وكنا صادمين. كنا نسمع داناته أحيانا فنطمئن أنه مادام تسمع صفير الدانة فإنها تسقط فى مكان بعيد ـ هكذا تعلمنا ـ وحدث أن سقطت علينا بعض دانات المدفعية دون أن نسمع صفيرها ـ ولكن والحمد لله كان الموقف جيدًا جدًا. فهناك من استشهد وروت دماؤه الطاهرة أرض سيناء الطاهرة كل ذلك لم يزد الأبطال إلا حماسا. وأشعل ذلك فيهم نار الانتقام. تماسك الأبطال فى الموقع ـ وهجم العدو علينا وفشل الهجوم بفضل قوات المدفعية والدفاع الجوى وطيراننا الذى قام بالهجوم عليهم واكتفوا من النار الذى حاولوا أن يصيبونا بها ويحتلوا الموقع. فى نهاية المعركة وبعد أن دمر للعدو غالبية قواته تم دفن الشهداء وإخلاء البعض الذى أصيب. ثم يقول أحمد عتمان.. صدرت لى الأوامر بقيادة مجموعة أخرى وتسلم القيادة ضابط آخر نتركه يكمل بطولة بكر العادلى ـ البطل الصغير ابن القرية.

يقول قائد الموقع.. يوم ٩ من أكتوبر هاجم الموقع حوالى الساعة ١١ صباحا حوالى (١٥) دبابة ولم يبق سوى بكر العادلى على هذا الموقع. فغدت الصواريخ من العادلى وانقطعت الإمدادات بعد تدمير جزء كبير بفعل طيران العدو ومدفعيته أيضا من الهجمات المتتالية لدبابات العدو ـ ولقد قام العادلى بإرباك دبابات العدو وشل قدرتها

الفدائية وحسن احتلاله للمواقع المؤثرة على قواته بالمناورة المستمرة بين المواقع ـ كان من بين طاقم بكر الجندى (رضا). استعد الجميع للتضحية لصد دبابات العدو بأى ثمن. أسرعوا نحو قائد المدفعية فى ذلك الوقت (أحمد نجيب) طلبوا منه تزويدهم بالصواريخ لإيقاف تقدم العدو فى القطاع أمامه. وفى سرعة البرق ولمعرفته بالأبطال أصدر الأوامر وأمدهم بالصواريخ المطلوبة. وفى الحال اشتبك بكر مع العدو والذى هجم هجومًا كثيفًا بدباباته لاحتلال الموقع. صراع مستميت بينهم وبين دبابات العدو وقائد المدفعية (أحمد نجيب) يشاهد ذلك ويعاونهم بقصفات المدفعية المركزة ـ يقول أحمد نجيب أننى رأيت ماردًا يتحرك بطلاً مغواراً كالذى نشاهده فى الروايات. لقد سمع عن الأبطال والآن يراهم رؤية العين ـ تقدم من بكر وقال له أمامك أعداد كبيرة من الدبابات خذ بالك كويس ـ رد بكر قائلاً أنا عارف يا أفندم دى زى النمل ولكن لن أدعها تمر إلا على أجسادنا.. اطمئن يا أفندم. حتى إذا نفذت الذخيرة فسلاحنا الشخصى موجود. سوف ندمرها بأى شىء حتى ولو بأجسامنا ـ حتى الأحذية التى نلبسها سوف نستخدمها ـ عانقه قائد المدفعية، وقال له بارك الله فيكم وفى كل جند مصر. كانت هذه الروح وكان هذا هو الإحساس بالمسئولية الجسيمة وانحدر العدو تحت ضربات بكر المؤثرة وتحت إصراره هو وزملاؤه.

هذا هو ما قصه القادة عن بكر العادلى ـ تحدث أحمد عثمان وباقى القادة الذين تعاملوا معه ـ وقائد المدفعية فى القطاع أحمد نجيب.

أما بكر فيحكى بعد نهاية المعركة - وفى إجازة ميدانية له - أول إجازة لى بعد المعركة وبعد وقف إطلاق النار وأثناء ذهاب إلى قريتى فوجدت أن أهلها يلتفون حولى ويعانقونى ويحتضنونى والكل يسرع لإبلاغ أسرتى وأهلى بقدومى. اندهشت فى بادئ الأمر لذلك ولكن اكتشفت السر بعد ذلك حينما عرفت أننى كنت فى نظرهم شهيدا. ولما سألت عن ذلك قالوا إن أحد الأقرباء من الجنود والذى كان قريبًا من موقعى فى وحدة أخرى حضر إلى القرية فى إجازة وعندما سألوه عنى كان رده الطبيعى أنه لم يرانى. فسر البعض أن هذه الإجابة منه لها معنى وأننى قد استشهدت. هكذا فسر البعض الموقف؛ لذا فإن أسرتى وعائلتى عندما علمت بقدومى أقاموا الزينات والأفراح وكان سرورهم بالغًا. وأقبل أهل القرية للتهانى وزارنى الكثيرون والعديد من المسئولين بالقرية - أجهزة الحكومة وبعض رجال الاتحاد الاشتراكى ولقد ودعونى إلى حفل كبير أقيم للمقاتلين الموجودين فى القرية فى ذلك الوقت - وحضر الحفل كبار المسئولين، وكل مواطنى القرية وقدمت لى الهدايا مع زملائى وأطلقوا على اسمى إحدى الصالات فى قصر الثقافة بعد أن استمعوا من زملائى على ما قمت به نحو وطنى مع زملائى ومع وحدتى.

وكان من زملاء بكر العادلى أبطال عديدون. لم نتحدث عنهم مثل عوض الدغيدى الذى زامل عبدالعاطى وكان ينافسه خلال المعركة. وأيضا يحيى حسنين ابن بلقاس وهناك الآخرون من أبنائك يا مصر كانوا مستعدين للتضحية دائما وباستمرار.

إلا أن هناك ما يستحق ذكره عن بكر خلال إحدى الاشتباكات التى قام بها مع دبابات العدو فقد كان يأكل خيارة فى وجبة من الوجبات الخفيفة، هنا تقدمت إحدى الدبابات مسرعة نحو موقعه فأصدر قائد الموقع أمره إلى بكر العادلى بالاشتباك. أمسك الخيارة بفمه وأطلق الصاروخ خلال ذلك نهره القائد وذهب إليه لتأنيبه ـ وعند وصول قائده إلى الموقع التفت إلى الدبابة فوجده قد أصابها واحترقت تماما حيث اشتعلت منها النيران ودويت الانفجارات. فما كان من القائد إلا أن احتضنه وعانقه عناقًا حارًا وزادت الضحكات والابتسامات فى الموقع.

حسين السوسى وإبراهيم عبدالعال

هل هى مصادفة حقًا أن يكون غالبية الموجهين ذو الكفاءة العالية من أبناء محافظتى الشرقية والدقهلية أم أن ذلك جاء نتيجة لبطولات الشعوب فى هذه المحافظات. فالمنصورة وبطولات ضد الفرنسيين معروفة، وكذا الشرقية وما فعلوا أيام الاحتلال الانجليزى لا أدرى السبب ولكنها الحقيقة. فقد كانت الوحدة مليئة بالأفراد من كل مصر ـ ولكن البطولات كانت من أبناء الشرقية مثل عبدالعاطى ـ شحته الهابط وعدد كبير من أبناء الشرقية ـ كذا الدقهلية فهناك من تحدثنا عنهم مثل بكر العادلى ـ يحيى حسنين ـ عوض الدغيدى محمود عنه وعن بطولاته ومعه قائده البطل حسين السوسى.

إبراهيم عبدالعال ابن قرية (نوب طريف) محافظة الدقهلية ـ وقبل أن نتكلم عن بطولاته خلال معارك أكتوبر فهذه لمحة عنه.

لم يتجاوز الثالثة والعشرين جسمه نحيل - خمرى اللون - هادئ قليل الكلام كثير العمل والإنجازات - يضحى كثيرًا من أجل الجميع محب لوطنه غيورًا على وحدته. كان قائد الكتيبة كثيرا ما يعاتب إراهيم عبدالعال. فهو لم يشترك فى أى من يوم من الأيام فى أى حديث أو مناقشة موضوع أو مشكلة مع قائده أو يعرض عليه أى شىء خلال اللقاءات المستمرة الكثيرة حيث لم يشترك فى المناقشة سواء تخصه - وكان قائد الكتيبة يود أن يتكلم الجميع ففى كلامهم حل كثير من المشكلات - لم يرض القائد أبدا بالسلبية بل كانت الإيجابية هى ما يرجوه من الجميع. لقد كان يستمع إلى المشكلات بصدر رحب دون ملل أو علامة من علامات الانفعال. ورغم أن إبراهيم كان دائم الصمت وسلبى خلال اللقاءات ولكنه كان عمله يؤديه بإتقان وجدية؛ ولذلك كان قائده يحبه وكذا باقى قادته ويعطف عليه.

فى أحد الأيام وخلال الاختبارات التى كان القائد يجريها أراد التعرف على مستوى إبراهيم عبدالعال. قام بمراجعة سجل تدريبه واختبره عدة مرات. فوجده متفوقًا ومستواه ثابتًا بصفة دائمة. لم يهبط مستواه بل كان المنحنى مرتفعًا بصفة مستمرة - وكثيرا ما كان القائد يحب أن يتعرف على مستواه حيث أعجب به وبثبات آصابه خلال التدريبات والاختبارات - وهذا طمأن القائد عليه وعرف أن صحته هذا ما هى إلا طبيعة وسلوك مثل الكثيرين. لقد نشأ ابراهيم على ذلك ولا يستطيع آن يتخلص منه.

ولكن إبراهيم كان فى المعركة عكس ذلك تماما كما تنبأ له قائد الكتيبة، فمثل هذا النوع من الجنود القليلى الكلام غالبا ما تكون أعمالهم أكثر. لم يكن هدؤه إلا الصمت الذى يسبق العاصفة. لقد كان من خيرة شباب قواتنا المسلحة يملؤه الرغبة فى تحقيق نصر أكيد على العدو الغاصب. كان مملوءاً كراهية تجاه العدو المتغطرس.

عبر مثل باقى زملائه وكان يعمل ضمن مجموعة (حسين السوسى). ذلك الشاب الوسيم ذو الأخلاق الرفيعة والعالية المستوى. كان القائد من نفس جيل إبراهيم - فهو متحمس دائما للقاء العدو. كان حسين من عائلة متوسطة بسيطة. انضم إلى أسرة ضباط القوات المسلحة ضمن الأجيال التى أتيحت إليهم الفرصة ليكونوا نواة لقادة قواتنا المسلحة - ولقد أعطى لهم وطنهم الفرصة ورعاهم حتى يثبتوا ذاتهم. وفعلا كان حسين من أبناء الوطن المخلصين فَى عطائهم والمملوئين حقداً وكراهية ضد المغتصبى الذى شوه التاريخ وسخر منهم. كان من القيادات المعدودة فى الكتيبة الذى أحب جنوده حبًا فاق كل شىء - وكثيرا ما كانت وحدته أحسن الوحدات فى الكتيبة - وكثيرًا ما حصد هو ورجاله الجوائز والكئوس فى المسابقات المختلفة - كانت له طبيعة خاصة فى التعامل مع جنوده. لا يفارقهم إطلاقا إلا عند النوم - وحتى خلال الليل كان يقوم بجولاته الكثيرة لهم وهم نائمون، فى أحد الأيام وهم على ضفاف قناة السويس وخلال الشتاء القاسى والبرد والصقيع. وقد قام أثناء الليل بالمرور على خدمات وحدته حتى يطمئن عليهم - وجد أحد جنوده غير مرتدى البالطو المنصرف له. ولقد كان

الجندى يرتعد من شدة البرد. سأله أين البالطو الخاص بك؟ - أجاب الجندى لقد فقد منى - على الفور أسرع بخلع البالطو الخاص به ولبسه الجندى ولكنه نسى نزع الرتب وكان وقتها برتبة ملازم أول. وذهبت إلى النوم سعيدًا جدا بعد أن قدم له الجندى الشكر على ذلك. خلال تلك الليلة ذهبت إحدى القيادات للاطمئنان على الحالة العامة لخدمات الجنود على ضفاف القناة. كان قائد التشكيل يصحبه قائد المدفعية الخاص بالتشكيل. وكان يصحبهم بعض القيادات وكان المرور مفاجأة - عارضهم أحد الجنود أى طلب منهم الوقوف للتعرف عليهم - كانت طريقة الجندى فى المعارضة قد لفتت الأنظار - بطريقة أعجبت الجميع وتدل على اليقظة - وبعد التعارف اقتربوا منه لمعرفة اسمه ومكافأته - فوجده وقد علق على كتفيه رتبة ضابط. اعتقدوا فى البداية أنه ضابط - فقال له القائد هل أنت ضابط؟ رد الجندى لا يا أفندم أنا جندى - ورد القائد ولماذا هذه الرتب التى على كتفك. قال هذا البالطو يخص قائد السرية وذكر اسمه وحكى لهم ما حدث وأنه يعتذر لأنه لم يخلع الرتب حيث نسى قائده ذلك ولم يلحظ هو أيضا. لم ينتظر قائد المدفعية حتى الصباح. طلب قائد الكتيبة ليلاً فور عودته وطلب منه مكافأة هذا الضابط بإجازة خاصة منه وأعطاه بعض الهدايا من قائد التشكيل وقائد المدفعية - وأيضا أعطاه قائد كتيبة هدية خاصة منى - وكذا الجندى الذى لفت إليه الأنظار خلال المرور عليه. هذه كانت روح (حسين السوسى) مع جنوده وظلت هكذا خلال المعركة.

ولقد مرض حسين بمرض يمنعه من الحركة خلال المعركة حيث أصابته حمى شديدة وامتنع عن الطعام لعدة أيام - ورفض أن يخلى ولم يستطع جسمه المقاومة والمعركة شرسة وضارية وقاسية. رقد فى مكانه غير قادر على الحركة - صمم القائد أن يخليه إلى النقطة الطبية رفض تماما وأصر على البقاء حتى لو مات من المرض واعتبر أن ذلك عار حقيقى أن يترك جنده. وألح عليه الجميع يرجونه وكذا زملاؤه وكان رده دائما طالما أن هناك معركة وطالما هناك رمق فى الحياة فسوف أظل بين جنودى وزملائى. لن اتركهم - وظل بالموقع يحاول بقدر الإمكان أداء ما يستطيع أداءه والأدوية والأقراص يبلعها فى جوفه حتى أصبح هزيلا هشا. لم يغادر الموقع للمستشفى إلا بعد وقف إطلاق النار وكان ذلك سيئا فى إصابته بمرض أرقده فترة طويلة وكاد يصبح مزمنا.

أظن أن ذلك لا يحتاج إلى تعليق ولا نستطيع وصفه ويعجز المرء عن الكلام عن مثل هذه المواقف لأبناء مصر البررة.

وعن إبراهيم عبدالعال يقول السوسى. كالعادة فإن المعارك لم تؤثر فيه. كل المعارك التى دارت حوله لم تؤثر فيه. ولكن كنت أحس فيه ثورة. كانت صواريخه صوب دبابات العدو وأهدافه قاتلة - كان أداؤه فى الاشتباك عظيمًا سواء على المسافات الكبيرة أو الصغيرة - كل من يحاول الاقتراب من دبابات العدو ومركباته المدرعة يقوم بتدميرها فورا ويبلغ عن تدمير الهدف فى استحياء شديد. ورغم أن العدو لم يترك موقعه هادئا فقد صب عليه القذائف من كل صوب إلا أنه كان رابط الجأش لا يتزعزع.

فى الأيام الأولى للمعركة ـ كانت أمام الموقع منطقة منخفضة عبارة عن وادى. استطاعت دبابات العدو أن تتجمع فيه وتختفى ولم نرها. كانت هذه المنطقة بعيدة عن الاشتباك أى بعيدة عن متناول الصاروخ عدا دبابتين دخلت مرماه فقام على الفور بتدميرها ـ كانت هناك طريقة عبارة عن خور تسلكه هذه الدبابات حتى يمكنها من الهجوم على الموقع فجأة دون أن يستعد الأبطال. استعد إبراهيم ولاحظت أنه يعرف كل شىء عن أسلوب العدو ـ كنت قد قلت له إن الدبابات سوف تظهر فجأة وتهاجم الموقع ـ أرجو أن يشترك معك أحد الأطقم الأخرى من زملائه ـ رفض وقال هذا من نصيبى وعندما تجد أننى عاجز يمكن أن تخصص المهام لأحد غيرى. ثم ظهرت هذه الدبابات عن طريق ذلك العور المختفية فيه ـ ظهرت مرة واحدة ـ كان عددها حوالى أربع دبابات فى قطاعه. واتخذت تشكيل المعركة لمهاجمة الموقع. لم ينتظر البطل وأطلق ثلاثة صواريخ متتالية فدمر ثلاث دبابات ـ حاولت الرابعة الفرار وهى ترجع إلى الخلف كى تختفى ولكنها كانت قد دخلت المصيدة الذى نصبها إبراهيم. وعقد العزم على تدميرها ـ جهز الصاروخ الرابع والذى أعد طاقمه فدمرها هى الأخرى فقد رقدت بجوار زميلاتها. وكان هو اليوم الثانى فى سيناء. ثم قامت بعض الدبابات بمحاولة أخرى ولكن فى هذه المرة ازداد عددها إلا أنه قام أيضا بتدمير خمس دبابات مرة واحدة ـ ببسالته وبسالة رجاله أفراد طاقمه. وكانت إحدى الدبابات الخمس قريبة من الموقع بشكل خاف البعض عليه من هذه الدبابة، لكن لبراعته دمرها واشتعلت فيها النيران. هذه

الدبابة هاجمته من مكان مخالف لباقى الدبابات ـ مكان لم يكن متوقعاً أبدا. كانت هذه مقدرة وكفاءة إبراهيم عبدالعال.

أيضا زاد رصيده فى المعركة وسجلت له الأعداد التى دمرها وكان فى قطاع آخر فى اليمين وأصبح مثل عبدالعاطى ـ لقد دمر تسع دبابات خلال اليومين الأوائل فى سيناء. لم يكن إبراهيم ملحًا فى معرفة عدد الدبابات التى دمرها زملاؤه كعادتهم رغم اشتداد المنافسة بينهم خلال المعركة. ولكنه كان دائمة السؤال عن أحوال زملائه الآخرين فى المواقع الأخرى ـ كان يترحم على الشهداء ويتمنى الشفاء للمصابين.

ظل على هذا الحال لم يعط العدو الفرصة ولا لدباباته أن تمر من موقعه مهما كلفه ذلك. ورغم طبيعة الأرض القاسية أمامه وحوله والتى اتخذها العدو مخبأ للهجوم منه على الموقع. ولقد شارك إبراهيم زملاءه فى المعركة عندما كانوا يحتاجون ذلك ـ ارتفع رصيده حتى احتل المرتبة الثالثة بعد عبدالعاطى وإبراهيم حسين حيث دمر (١٧) دبابة.

وانتهت جولة وبدأت جولة أخرى من الاستعداد وعاد إبراهيم إلى طبيعته الأولى هادئًا ووديعًا، ولكنه لم يكن أبدا سلبيًا.

الفصل الثالث

مع الخالدين فى معارك
أكتوبر ـ رمضان ١٩٧٣

في الفصل السابق تناولنا بعض البطولات التي لا تعبر عن الوجه الحقيقي لأبطال أكتوبر من أبناء قواتنا المسلحة، ولكن في وحدة واحدة منها لا تمثل إلا جزءًا يسيرًا أصحاب هذه البطولات مازالوا أحياء سواء داخل القوات المسلحة يذودون عن وطنهم ويدافعون عن وطنهم في همة ونشاط ـ أو البعض منهم خارج القوات المسلحة يحييون حياتهم العادية وأعمالهم في القطاع المدني وأيضا يخدمون وطنهم في همة ونشاط. وسواء كان هؤلاء الأبطال داخل أو خارج قواتنا المسلحة فهم على أهبة الاستعداد دوما للنيل من كل من يتربص بهذا الوطن ـ وسوف ينال كل معتد على أرضهم كل الهوان لأن الشعب المصري الأصيل والذي بانت معادنه في معركة أكتوبر الكبرى، ووجدوا ذاتهم وأثبتوا للعالم صدق حضارتهم التي أذهلت ومازالت تذهل العالم كله ويتسابق لرؤيتها سواء بالمجيء

إلى مصر أو بعرض هذه الحضارة عنده فى بلاده. إنها الحضارة المصرية التى علّمت العالم كله وأضاءت له شعاعا يهتدى به.

وقد جاء الدور على أناس وأبطال ضحوا بأرواحهم الطاهرة وسالت دماؤهم فداء لهذا الوطن الغالى - سالت دماؤهم على رمال سيناء - هؤلاء وهم الذين أضاءوا لنا وسوف يضيئون طريق الحق والحرية بشجاعتهم النادرة وبسالتهم التى أذهلت الجميع - ولقد ضربوا أروع الأمثلة فى معاركهم الضارية ضد العدو.

وهؤلاء نخبة ممتازة أفرزتهم العسكرية المصرية نخبة ممتازة أفرزتهم العسكرية المصرية بتقاليدهم الموروثة من عزم الآباء وتصميم الأجداد. واسم الخالدين هو اسم يتناسب مع ما أدوه من بطولة وفدائية وبسالة فى القتال، هم أيضا يستحقون اسم آكلة الدبابات وصائدوها وأجبروا العدو على الاعتراف بذلك فى كثير من تحقيقاتهم التى أجروها بعد المعركة. وفى الكثير من اعترافات كتابهم ووثائقهم الرسمية. علما بأنهم قل مايفعلون ذلك ولكنه الحق كل الحق اعترفوا دون أية مماطلة أو تسويف.

لقد وجب علينا أن نخلدهم والتخليد لا يكون إلا بذكراهم وسرد جزء من بطولاتهم الفذة. فنهيأ لهم مع الأنبياء والصديقين طبعتم مستقرًا وفى نعيم أزلى إلى يوم القيامة يا أغلى الناس. يا أحب الأبطال يا من حققتم لأمتكم الفخر والعزة حتى رفعت هاماتها عالية وراياتها خفاقة.

تحيا مصر:

عندما حمى وطيس المعركة وبلغت القلوب الحناجر وظن كل من فى الموقع أنه هالك دون محالة ارتفع صوت يدوى من بينهم يجلل فى سماء المعركة ينادى (تحيا مصر) تحيا مصر. ردده مرات ومرات. هز الصوت رغم الضجيج كل أركان الموقع ولم يكتف صاحب هذا الصوت بذلك بل اندفع كالصقر إلى دبابات العدو التى اخترقت الموقع وصعد أعلى إحدى الدبابات وفتح البرج وألقى بداخله قنبلة يدوية وهبط منها مسرعا وانفجرت الدبابة وقتل من فيها واشتعلت فيها النيران. ثم صعد إلى دبابة أخرى وفعل نفس الشىء وأيضًا اشتعلت وقتل من فيها عندما رأى أفراد الموقع ذلك قلدوه وخرجوا من مواقعهم وهم يصيحون تحيا مصر ـ تحيا مصر. تصدوا لدبابات العدو بجميع الأسلحة الشخصية والقنابل اليدوية والقذائف المضادة للدبابات الصغيرة. فى وقت قصير استطاع الأبطال دحر قوات العدو وسيطروا على الموقف بعد تدمير جزء كبير من دباباته ومجنزراته والتى تمكنت من اختراق الموقع بعد معركة خاضها العدو بشراسة وبذل أفراد الموقع بعد معركة خاضها العدو بشراسة وبذل أفراد الموقع كل ما يمكن وتفننوا فى فنون الحرب، ولكن كانت الكثرة وكان الاختراق. لقد كان الحماس زائدا وكانت التضحية الجادة هى كل ما قدمه الأبطال وهم ينادون ويهتفون الله أكبر وتحيا مصر ـ بعد أن تسرب اليأس إلى قلوبهم خاصة عندما عجزت الصواريخ فى الانطلاق لقرب المسافة كما قلنا. هنا ارتفع صوت قائد الموقع والذى كان له الفضل فى تدريب هؤلاء الرجال وقسى عليهم فى وقت السلم

فكان العطاء فى الحرب. وكان لجهده وعرقه مع هؤلاء الرجال النتيجة الطبيعية التى رآها أمامه.

بعد المعركة اندفع قائد الموقع يسأل عن صاحب الصوت ومن الذى كان هو صاحب الصوت الذى ألهب الحماس فى الموقع وأشعل النار داخل نفوس زملائه ـ جعل الجميع يفيقون من هول الصدمة التى أصابتهم ويلقون بأجسامهم أمام دبابات العدو ويرجع الفضل إليه فى هزيمة العدو إلى غير رجعة. دار البحث عنه بين دبابات العدو المحطمة والأجسام الراقدة وحولها دماؤها الذكية ـ لم يجدوه. وبعد طول عناء فى البحث وجدوا جثة البطل وجدوا جسد الشهيد بالقرب من دبابات العدو المحترقة. لقد داست إحدى الدبابات على جسمه. مبتسمًا مشرق الوجه تحيط به الدماء فى غزارة جسم مازال دافئا فى يده سلاحه تفوح منه رائحة ذكية وكأنها المسك. لقد استشهد البطل ـ استشهد وأضاف إلى سجله الخلود والمجد سوف تتحدث عنه الدنيا وعن زملائه ـ ستظل ذكراهم عطرة. وقف الجميع حوله فى وجوم شديد ومعهم قائد الموقع. أجهشوا جميعا بالبكاء وعلا النحيب وازداد. ولكن سرعان ما تملك القائد نفسه وتماسك بعض الشىء، ولكن الكلام وقف فى فمه ولم يخرج والدموع مازالت تسيل على خديه ويحاول أن يخفيها عن الجنود ـ وحاول السيطرة على نفسه وكان لابد له أن يفعل ذلك حتى يمكنه السيطرة على الموقع فالمعركة طويلة ومريرة. ولو أنه كان يحب عبده حبًا يزيد عن الحد إلا أن متطلبات الموقف تجعله لابد من السيطرة على الموقع. نادى بأعلى صوته صادرًا الأوامر بأن

يحتل كل فرد موقعه وقال العدو مازال أمامنا وسوف يعاود الهجوم وسوف يكون القتال ضاريًا ورهيبًا. وصاح مرة أخرى كل منكم فى مكان. كل منكم فى مكانه وموقعه ـ قال لقد استشهد بطل من الأبطال وهو يدافع عنكم وعنا جميعا ـ يدافع عن التراب الغالى. يدافع عن كل ذرة اختلطت بعرق الأبطال ودماء الشهداء. إنه ولد بطلاً وعاش واستشهد بطلاً وسوف تدوم ذكراه. وقال إنه طهر رمال سيناء من دنس العدو حتى تتطهر كل منكم واجبه نحو وطنه وبلده. أمسك القائد بحفنة من الرمال بإحدى يديه وأشار لهم بها وصاح.. ليعلم الجميع أننا ندافع عن هذا الموقع بشرف المجروح ـ إن الجرح لم يندمل بعد والجرح عميق ولن يشفى إلا بالانتقام لشهدائنا واسترداد أرضنا ـ أن العدو مازال جاثمًا على صدورنا ـ وحتى نحرر الأرض الغالية لابد أن نقتدى بالبطل ونهتف بأعلى أصواتنا تحيا مصر ـ الله أكبر وتحيا مصر ـ ردد الأبطال الهتاف وزاد وعلت أصواتهم وهم يعودون ويحتلون مواقعهم، وكان المنظر مهيبًا ورهيبًا يحتاج إلى مخرج بارع لتصويره واستعد الأبطال لجولات أخرى مع العدو.

عاد قائد الموقع إلى مكانه والمرارة فى حلقه وحزنه على البطل مكتوم فى نفسه ـ شريط الذكريات يمر أمام عينيه، وكأن الأحداث تلاحقه عن شجاعة البطل. أخذ يتذكر كيف كان الأداء وكيف ضحى بنفسه وألقى بها بين دبابات العدو ـ أرادت الدبابة أن تفلت وتوجه لزملائه نيران رشاشتها ولكنه كان الأقوى وكان الأشجع فدمرها. لقد دمر دبابتين بنفس الأسلوب وأخرج القائد سجله

وأضاف أمامه فى اليوم والتاريخ إلى سجل البطل دبابتين. ولكن القائد لم ينس أن يمر بنقل المصابين ودفن الشهداء وحصر الخسائر والإبلاغ عنها.

ولكنه لم ينس ما حدث وتذكر لقد كان جنديًا وفيًا مخلصًا خلال كل الأعمال التى يكلف بها تجده سباقا مع زملائه إلى إنجاز ما يطلب منه. كان يريد أن يكون مقاتلاً وكان يتمنى الشهادة واستجاب الله لطلبه. لقد ضم على الوحدة كأى زميل جديد الرهبة تملؤه والإحساس بالخوف يسيطر عليه كان أبيض البشرة إشراقة الأمل والمستقبل المضىء بادية على وجهه لم يكن متشائمًا أبدا خاصة بعد أن تعود على حياة الجندية. ولقد كان دائم السؤال عن اليوم الموعود لدرجة الضيق. وعندما كان يسمع عن المعركة دون أن يحدد لها متى يبدو عليه الضيق ولم تكن الإجابة عندما يسأل تشفى غليله. وكانت الإجابات لا تكفيه فيردد السؤال تلو السؤال أين المعركة؟ ومتى يحين موعدها؟ ـ استمر يتدرب ويتدرب بين الزملاء والأقران فى وحدته وفى إحدى السرايا بالوحدة والتى تعد لليوم الموعود ـ بعد فترة وجيزة كان راميًا بارعًا من رماة الصواريخ لقد برع فيها وتدرب عليها فى شغف وحب. ضربت عنه الأمثلة فى البذل والعطاء ـ أعطى المثل للجميع ـ أحب زملاءه ووحدته فى تفانى ـ بعد فترة التدريب الأولى كان من البارزين ـ ورغم أنه مرض فى يوم من الأيام وكانت هناك اختبارات بالوحدة وكانت مسابقة لكل الوحدات المماثلة ورغم أن المرض زاد واشتد عليه إلا أن عبده بروحه المعروفة وتصميمه الدائم أبى ألا أن يشارك فى هذه الاختبارات ـ كان مثار

إعجاب من الجميع وبين اللجنة التى كانت تؤدى وتقوم بالاختبار. حاول أعضاء اللجنة إفهامه بخطورة ذلك إلا أن إصراره وتصميمه لم يزحزحاه عن قراره رغم أن زملاءه يستطيعون ملأ الفراغ ولكنه لم يقبل وقال لابد من أن أشارك زملائى فى هذا ـ وفعلا أدى الاختبار وحصل على تقدير أذهل اللجنة التى أجرت الاختبار.

حصلت الوحدة على تقدير متقدم وكانت أول الوحدات. وأراد قائد الوحدة أن يقيم فعلا بهذه المناسبة بناء على رغبة الأفراد. وذلك حتى يمكن توزيع الهدايا على المتفوقين والحاصلين على تقديرات عالية وكانوا كثيرين. كلف قائد الكتيبة المسئول عن ذلك وكان المقاتل عبدالمنعم المشاط والذى كان مسئولا عن التوجيه المعنوى والخدمة الاجتماعية. قام بالتجهيز للحفل وكان بالوحدة فريق تمثيل كلف ذلك الفريق بعمل تمثيلية وطنية تماشيًا مع طبيعة الوقت والموقف والظروف التى تمر بها بلادنا قبل الحرب. وكان عبده ضمن فريق التمثيل أيضا ومعه زميله سامى أبو اليزيد الممثل أيضا ومخرج التمثيليتين. أقيمت بروفات الحفل واستعدت الكتيبة لذلك اليوم وازدادت الزينات بها ليوم الفرح لهذه الوحدة. دعى القادة من كل صوب. وبدأ الحفل غناء ـ موسيقى فكاهة. كانت المواهب التى تقدم كثيرة وكثيرة. الوحدة الواحدة تمثل المجتمع فيها كل شىء رغم أن الجميع يتدرب على سلاح واحد إلا أنه يوجد كل المهن الأخرى والهوايات العديدة موسيقى ـ تمثيل ـ مهن أخرى. ثم كانت فى النهاية التمثيليتان والذى قام بها وألفها وأخرجها الأبطال

وكان بينهم البطل (عبده). أبدع وأتقن دوره وكان رائعا فى الأداء والتمثيل إلى حد صفق له الحاضرون لبراعته - دوت الصالة بالتصفيق مرات ومرات له ولزميله المخرج والمؤلف سامى أبو اليزيد. ملخص التمثيلية عبارة عن أعمال فدائية يقوم أحد الأبطال فى سيناء وكان عبده هو أحد هؤلاء الفدائيين. حيث قام بعمل إزعاج للعدو واقلق راحته - فما كان من العدو إلا أن تصدى لهذا الفدائى وهو يقوم بإحدى أعماله البطولية فى سيناء - أحاط به الأعداء من كل جانب ولكنه يرفض الاستسلام والسكينة ويقاوم الأعداء بمفرده ويقتل منهم عدو من الجنود ولكن رصاص الغدر أصابه بعد أن يفتك بهم ويصاب البطل حيث أصيب فى بطنه بطلقات مدفع رشاش بعد أن رفض الاستسلام والهزيمة وتسليم نفسه للعدو. فضل الشهادة على الوقوع فى أيدى الأعداء وفضل الاستشهاد ضاربًا أروع الأمثلة فى الفداء، ولكن لم ينس خلال استشهاده وطنه الغالى، وهو ينادى بأعلى صوت تحيا مصر تحيا مصر قالها ثلاثًا ودوت الصالة بكل من فيها بهذا الهتاف الغالى ووقف الجميع لتحيته والتصفيق الحاد له حتى أغلقت الستارة وانتهى العرض بهذا الهتاف. سبحان الله مازال قائده يتذكر.. سبحان الله نفس الذى حدث مع فرق بسيط وهو أن البطل فى هذه المرة استشهد فعلا.

إنها تمثيلية من نوع آخر - فهى الحقيقة. إنه أمر يحير. لقد طلب البطل الشهادة فكسبها تماما كما مثل دوره فى الحياة. ورغم

أن هناك من أدوا كأحسن ما يكون الأوامر وأعطوا كما يكون أحسن العطاء وبذلوا الغالى والرخيص إلا أن هذا البطل أتى فى الجميع ـ ما أحلى ذلك وما أروعه.

وتوالت الذكريات وشريطها لم ينقطع عن ذهن القائد.

لقد أعجب القائد بهذا البطل الصغير ومن إحدى نوادره أنه فى يوم من الأيام وهم يحتلون مواقعهم غرب القناة وكثيرا ما كان يحدث ذلك للتعارف على المواقع وإعدادها حضر عبده إلى القائد فى مكان إقامته وجلس بعد أن أذن له حيث كان التلاحم واضحًا ويسود الجميع ـ ولقد صنع هذا التلاحم بين جميع الأفراد المعجزات التى تحدثنا عنها ونقوم بسردها الآن ـ وكما قلنا كان هذا القائد الشاب دائم الاتصال بجنده وأحوالهم فكان الكل يطرق بابه ويطلب مشورته.

كان هذا القائد كما تحدثنا عنه فى السابق هو (حسين السوسى) لأحدهم أو حتى توبيخ يصل إلى حد الإهانة ـ كان يعتز بكرامة أفراده ويحافظ عليهم لأنه سيأتى يوم يكون لهؤلاء الرجال فيه الكلمة المسموعة ـ وقد أحبه جنده لهذا وفتحوا له صدورهم وحكموا له أسرارهم بعد أن تأكدوا أنه خير أمين عليها.

كان هذا القائد كما تحدثنا عنه فى السابق هو (أحمد السوس) جلس عبده بعد أن أذن له مبتسم كعادته وبعد أن ألقى التحية ـ عرف القائد إن هناك أمرًا ما يريد عبده أن يتحدث عنه ـ هكذا كان حسه المتقد. فهو أعلم بجنده أكثر من أى أحد آخر ـ قال له

موجهًا كلامه إليه ـ ما بالك يبدو أن فى الأمر شىء. أجاب عبده بعد أن وجد أن هناك استعدادًا من جانب قائده ـ تحدث بكل أدب واحترام ـ قال إن هناك موضوعًا مهمًا أود التحدث فيه ـ وسرد الموضوع والمشكلة التى تقابله ـ كانت مشكلة عائلية تقلقه دوما وتنغص عليه حياته ولكن الظروف التى تمر بها الوحدة وتلك الاستعدادات الهائلة تجعله لا يريد الخوض فيها أو حتى ذكرها ـ طلب رأى القائد فى مشكلته ـ اقترح عليه القائد أحد الحلول وذلك بمنحه إجازة قصيرة ينهى فيها هذا الموضوع ـ رد فى خجل واستحياء أنه لم يحضر من أجل هذا القرض ولم يفكر فى ذلك أبدا. ورفض المنحة حيث المسئولية الملقاة على الوحدة. وقال إننى أرفض أن أضع سيادتكم فى هذا الموقف لندرة الإجازات فى هذه الظروف خصوصا المنح ـ وأعتذر وأبى وطلب تأجيل الموضوع ولكنه أزاحه عن صدره بعد أن أخرج المشكلة من بين أجنانه لقائده واستراح.

وكان عبده لاعب كرة قدم ـ وكان حارس مرمى فريقه فى الكتيبة هو وزميله فى سريته عطية العبد ـ وكانت بينهما منافسة شريفة. يشجعهم قائد كتيبتهم والذى كان يدرب الفريق ويعده لخوض المباريات ضد الوحدات الأخرى ـ ولقد كان القائد يؤمن تماما بأن الجسم السليم يوفر كثيرًا من الجهد فى التدريب والاستعداد لمعركة ـ ولذا فقد كانت الرياضة فى الكتيبة الزامية لأى نوع من الرياضة. ومن ليس لديه هواية فى الألعاب ذات الشهرة مثل الكرة ـ والسلة ـ

والطايرة... إلخ فلابد أن يجرى اختراق ضاحية أو شد حبل أو قذف الكرة الطبقة لاكتساب الجميع لياقة بدنية مطلوبة فى ذلك الوقت.

كان فريق الكرة يضم كل من حسين السوسى كابتن ومعه عبده عمر - عطية العبد - وطالما كان عبده يحرس المرمى رغم أنه لا يبدو عليه الخشونة أو القوة الجسمانية إلا أنه يزود عن مرماه فى بسالة تامة. ولقد كانت التنافس بينه وبين عطية العبد كما قلنا ولكنه كثيرا ما تفوق عبده على زميله - وفى المعركة كان عبده وحشًا قاسيًا دمر للعدو كثيرا من دباباته - ومازال حسين السوسى يتذكر.. عندما اقترب موعد المعركة واشتم الأفراد رياحها القريبة والتى تنذر بها وأثناء احتلالهم مواقعهم على ضفاف القناة. جلس القائد مع جنوده وهم يعدون العدة - تحدث الأبطال عن أمور كثيرة عن المعركة وغير المعركة - كان عبده ضمن الموجودين والذين اشتركوا فى الحديث - سأل القائد - ماذا ننتظر؟ ولماذا نقف هنا ونحن على أهبة الاستعداد؟- لقد تدربنا بما فيه الكفاية - وكل شىء أصبح الآن معد - إذن ما الداعى للتأخير؟- رد عليه القائد بهدوء شديد الأمر ليس بيدى أو بيدك أنت - نحن لا نملك القرار حيث هناك الذين يملكون - ويعلمون بموعده بدقة وهم الذين خططوا لتنفيذه متى وأين وحينما تحين الساعة - سوف يصدرون الأمر - بعدها سيصلك الأمر - تمهل ياعبده ولا داعى للعجلة - قال عبده إنها فرصة وتعد من أجمل الفرص - رد عليه القائد - كما قلت لك هذا الموضوع لا أملك الحديث فيه ولا يمكن أنت أيضا ولو بيدى الأمر ما سكت

لحظة فانى مشتاق للمعركة أكثر منك ـ ولكن المعلومات هنا لها قنوات وكل قناة لها طاقة المعلومات الخاصة بها ـ كل قائد تصل إليه المعلومات حسب المسموح وكل ما وصلت من معلومات واستطعت أن أضمنها بعد الاستعداد على ضفاف القناة بصفة مستمرة أن المعركة وشيكة بإذن الله ـ شعر عبده أنه قد تسبب فى أن يضايق قائده ـ فقال يا أفندم أنا أنقل لسيادتكم ما أقابله من رجل الشارع خلال الإجازة وكذا زملائى ـ الكل يسأل ويلح فى السؤال إلى متى تنتظرون ـ لابد لنا من محو عار الهزيمة ـ كل منهم له طريقة فى التعبير بها ـ فهذا يقولها بتهكم وآخر يرثى لحالنا وثالث يتوعدنا من قوة العدو المخيفة ـ لقد أصبحت الإجازة جحيمًا لنا بين ذوينا وأهلنا وبين الزملاء والأصدقاء. حتى أقرب المقربين لنا أخذوا يرثون لحالنا وقدم اعتذارك لأن ذلك سبب أسئلته الكثيرة ـ رد قائده قائلاً لقد تحملنا سنوات طويلة، وعلينا أن نتحلى بالصبر والإيمان والثقة حتى نتغلب نحن وهذا الشعب العظيم على هذه المحنة... سكت الجميع وانصرف كل إلى حاله.

هذا ما كان يميز عبده فى شأن المعركة بالذات مستعجلا بصفة مستمرة. هو كان يشعر أنه سوف يكون شهيد هذه المعركة؟ ـ هل كان الإحساس يملؤه ولذلك فهو فى شوق ولهفة؟ـ إن ما حدث منه يعد ضربًا من الخيال لدرجة أنَّ أقرب المقربين إليه من زملائه ضاق به ذرعًا ذلك شريط الذكريات التى دار أمام خيال القائد ودارت أحداثه قبل المعركة أو جزء منه ـ ولكن تذكر حال الأفراد

فأراد أن يطمئن على الموقع خرج وألقى نظرة على استعداد الأفراد واطمأن وكان يريد أن يشغل نفسه بالموقع ولكن خيال عبده لم يفارقه وهو يزود عن موقعه فى ذلك اليوم وخلال المعركة وتذكر.. يوم السادس من أكتوبر وكان يوم السبت ١٠ رمضان عندما عبر الأبطال شرق القناة بعد قصفة المدفعية والطيران احتل الأفراد مواقعهم لحماية قواتنا المترحلة وهى تعبر القناة. صدر أمرًا إلى عبده أن يستعد للاشتباك - استعد عبده - ثم تلاه أمرًا آخر من القائد استعد للاشتباك مع الدبابات التى فى قطاعك - دمر هذه الدبابات ثم أبلغ عن الموقف بعد ذلك. على الفور هجمت دبابتان فى قطاعه ودخلت فى مرمى صواريخه وفى الحال أطلق البطل الصواريخ ودمرها ثم اشتعلت فيها النار واحترقت وقتل كل من فيها - ولأول مرة يرى الجميع ما تفعله الصواريخ المضادة للدبابات. زادت التكبيرات وزاد التهليل بين الجميع. وزادت ثقة قواتنا المترحلة فى الرجال فاشتعلت حماسا الكل يريد أن يعبر قبل دوره - اندفع الأبطال فى موجات متلاحقة حتى انتهى اليوم الأول وزاد الأبطال عن كل شبر استولوا عليه فى جميع القطاعات والكل مستعد وجاهز للقتال. وكانت ملحمة رائعة من الجميع.

ثم توالت الأحداث والمعارك لاتنقطع. فى كل يوم يكتشف القائد المعادن الثمينة من رجاله. ويرى القائد البطولة أمامه أبطالها دافعين. يتألق عبده كما كان يتألق فى مباريات الكرة بالوحدة فأيضا هذه مباراة ولكن بيننا وبين العدو.

ثم جاء اليوم المشهود الذى لقى فيه البطل ربه. العدو يحاول ويحاول من أن يمر من هذا الموقع وتزداد محاولاته وفى كل مرة يجد العناد والإصرار من الأبطال - ويحدث الافتراق حيث استمرت المعركة طويلا وتحقق فى البداية الغرض الذى ضغط من أجله وتم اختراق الموقع بعد معارك ضارية ثم أراد أن يقضى على من فيه ويدمر القوات التى تحتله حتى يهدأ مما سبب له من خسائر فادحة - تصفه بالمدفعية فى بادىء الأمر بشدة ثم الطيران وتصدت لها قواتنا الجوية ودفاعنا الجوى - ردوا عليه بشراسة تماما كما كان هجومه بشراسة. لم تترك له الفرصة - أصدر القائد أوامره إلى الموقع بالحذر واليقظة والمراقبة المستمرة لقوات العدو خاصة دباباته. استمرت المعركة وقتًا طويلاً استمرت ساعات وساعات. ثم سمع الجميع صوت الدبابات القادمة مختبئة فى ستارة دخان لحرمان قواتنا من الاشتباك معها. تقدمت نحوهم أصدر الأمر بتدمير الأهداف المعادية بسرعة. وانتظر الأبطال الأهداف المقتربة بشغف ولهفة وكأنهم فى اشتياق طويل لها. اقتربت الدبابات أكثر وأكثر. تم تدمير العربات الأولى ثم تكررت الهجمات. كانت قوات العدو كثيرة أكثر من أية مرة سابقة وهى تحاول النيل من الموقع والأبطال صامدون ونالت قوات العدو علقة ساخنة - برز عبده بين زملائه ودمر أهدافه بكل ثبات. اشتركت كل الأسلحة فى هذه المعركة الكل يؤدى مهامه - ظلت المعركة طوال النهار وجزء من الليل - المعركة مازالت قاسية وشرسة استخدمت فيها الحيل والخداع بجميع صنوفها من قوات العدو وأبطالنا يقرأون الحيل ويردون

عليها بطريقتهم الفدائية ودمروا جزءًا كبيرًا من قوات العدو. أصبح الليل نهارًا بفعل الإضاءة من الجانبين ـ القائد مازال يبعث الحماس فى موقعه ويصدر الأوامر المتتالية ويخصص المهام للأفراد ـ ويغادر ببعض الأطقم فى جرأة وحذر ـ حتى الجزء الأخير من الليل بعد أن هدأت قليلا ولكن المعركة ازدادت شراسة وضراوة. وكان التركيز على الموقع زاد عدد الدبابات المخترقة فى القطاع وانضمت إليهم أخرى عندما وجدوها متوقفة حتى دخلت إلى الموقع فدافع الأبطال بكل الأسلحة غير الصواريخ. احتلت جزء منه. دفع العدو بجزء آخر من دبابتين فى أول ضوء كى يعزز المواقع التى احتلها ويحتفظ بها ـ وهناك انهكت القوى وحل بالأفراد التعب من طول وقت المعركة حيث الهجمات مستمرة ولم تتوقف ـ تطرق اليأس إلى النفوس فالصواريخ سكتت لقرب المسافة والعدو يزداد عدده بالموقع وهم صامدون ـ ماذا يفعل الأبطال؟. لم يفكروا طويلا عندما سمعوا صوتا يهدر ويغطى على كل الأصوات ـ ذوى الصوت الله أكبر وتحيا مصر. الله أكبر وتحيا مصر ـ اندفع البطل فى جنون وقد دمر دبابتين كما ذكرنا من قبل ـ صاحوا جميعا وهتفوا من قلوبهم الله أكبر وتحيا مصر الله أكبر وتحيا مصر. واندحر العدو وفر هاربا إلى غير رجعة ودافع الأبطال عن الموقع بكل مايملكون، كما وضحنا من قبل ـ خلف العدو خلفه معدات كثيرة وهائلة.

هكذا كان البطل وسوف تظل ذكراه الغالية أمد الدهر ـ تماما كما أدى دوره على المسرح أداه على مسرح العمليات ـ إنه فتى رائع من فتيان مصر البررة الأوفياء ـ كانت بطولته تماما كالخيال...

ويتركز القائد ما كان يهتف به وكانت آخر كلماته الله أكبر وتحيا مصر - الله أكبر وتحيا مصر. دمعت عينا القائد وبكى ولكن فى هذه المرة كان بمفرده وأوجس النظر خفية كى يتأكد أنه بمفرده فالمعركة مازالت طويلة وضارية وقاسية.

الصديقان

كانا صديقين حميمين فى الكتيبة ـ إحدى كتائب الصواريخ حيث ذكرنا من قبل المهمة التى تعد من أجلها ـ فى مركز التدريب جمعت بهما الأقدار فى مكان واحد يقيمان فيه ـ وأيضا تدربا على نوع واحد من السلاح ـ كل منهما أصبح موجهًا للصواريخ المضادة للدبابات ضمن آكلة الدبابات هذان الصديقان هما جعفر بيومى وصبحى يعقوب.

جعفر ذلك الفتى الأسمر ابن الجنوب ـ ابن الصعيد ذو الملامح الجادة والصارمة كان محبوبًا بين زملائه وكذا من رؤسائه الكل إذا التقى به يرحب به فى مودة وحب.

أما رفيق كفاحه صبحى يعقوب هو أيضا من إحدى قرى صعيد مصر، فكان وقورًا متزنًا تملؤه الرجولة الزائدة عن الحد ـ إذا عمل فإنه يتقن عمله وإذا تحدث فإنه الصدق كل الصدق ـ لا يحب

الجدال ويكره المجادلة مع الغير. كان يحب وحدته جدا - يعبدها إلى أبعد الحدود - يتفانى من أجلها فى العمل مهما كلفه ذلك من مشقة وتعب - كان ذلك وقت التدريب أو وقت المنافسات الرياضية لا فرق عنده بين هذا أو ذاك.

تلك هى بعض الصفات للصديقين والشقيقين حيث الكل كان يعرف هذه الصداقة بينهما التى تصل إلى حد الإخاء. لقد جمعت بينهما بعض الصفات المشتركة - وأيضا كانا فى مجموعة واحدة. وأيضا خلال المعركة عبرا فى وقت واحد متقاربين وأيضا فى قارب واحد وعندما وصلا إلى شرق القناة كان الموقعان متجاورين لا يفصل بينها إلا أمتار قلائل - وخلال المعركة وفى الوقت الذى لا يندفع فيه سوى الإخلاص والجدية فى العمل خلال التدريب والاستعداد الجيد للمعركة كانا مستعدين بكل حواسهما وجوارحهما للدفاع عن الموقع بكل الإخلاص والتضحية التى كانا يستعدان بها ليوم الفصل ويوم العبور العظيم - جمعت كل الصفات بين الحبيبين والكل تحدث عنهما خلال معارك أكتوبر/ رمضان والتى خاضاها سويا جنبا إلى جنب - وكانت لهما أيضا صولات وجولات خلال معارك الاستنزاف تحدث عن ذلك جميع قادتهم.

ولقد استشهدا فى وقت واحد وفى هجوم واحد متعانقين كل منهما يحتضن الآخر ويحاول أن يفديه - يحاول أن يهبه الحياة بدلا منه. سوف يحكى التاريخ ذلك وسوف تقص الأجيال هذا الحدث الجليل كشهادة حق لهذا الجيل الذى كان قد ظلم من قبل.

خلال الاستعداد للمعركة كان لهما دور أسياسى وفعال فى رفع كفاءة السرية التى يعملان بهما وضمت كلاهما - وأيضا كان دورهما بارزًا فى الجدية والإصرار خلال عمل الوحدة مجمعه.

جعفر يصر على التدخل فى بعض أمور زملائه لدى قائد كتيبة وكثيرا ما كان يعرض نفسه للعقاب فى سبيل ذلك لولا تدارك الموقف من قادته، كان يخاطر مخاطرة غير محسوبة فى أحوال كثيرة حيث يحضر إلى القائد وبطلب مقابلته يرجوه فى العفو أو إعادة النظر فى عقوبة وقعت أو حرمان وقع على أحد زملائه - محبا للخير فى كل أعماله إلى أبعد الحدود مهما كانت التبعات. كثيرا ما كان القائد يلبى رغبته ويعيد عرض الأمر مرة أخرى فيجده على حق حيث لم يكن الموضوع عرض عرضًا دقيقًا. وجوانب من الأمر خافية. كان صادقًا كل الصدق فى كل مايقول. عرف عن ذلك القائد وكل قادته المباشرين كان قريبا من الجميع خاصة زملاءه الجدد وقد مر هو بهذه التجربة القاسية. كان دائم تشيع الجنود على التحدث مع القائد بصراحة دون خوف فهى السبيل الوحيد إلى النجاة وعدم التعرض للعقاب. أيضا يبعث الحماس فى وحدته وكثيرا ما كان يطلب مكافأة المجدين.

وقائد الكتيبة رغم صرامته ومظهره الجاد لم يكن يرغب كثيرًا فى إلغاء أمر أصدره إلا إذا أحس أنه فيه ظلم على أحد - عدا ما يعرض جعفر كما قلنا فقد كان يعيد عرض الأمر مرة أخرى حتى يتأكد - كان القائد يحس فيه الرجولة والصدق حتى لو على نفسه -

كل ما يعرض كان للصالح العام ومصلحة الجميع. وما كان يعرض تكون الأمانة رائدة لا يخف شيئا ولا يخاف ـ التف حوله الجنود وهؤلاء الذين ترهبهم الحياة العسكرية من عرض حقائق الأمور على قادتهم ولكنه ضرب المثل الرائع لهم حتى أحس أصحاب المشكلات بالأمان والاطمئنان. فهناك من الأسرار العائلية التى لا تقال ويخشى أصحابها أن تتسرب إلى الغير وتسبب لهم المشكلات فى حياتهم العسكرية ـ حالات كثيرة بعد تعرضهم للعقاب ثم التحقيق صدقوا القول مع قائدهم بعد ذلك والفضل يرجع إلى جعفر المتفانى فى حب وخدمة زملائه.

فى أحد الأيام طلب مقابلة قائده لأمر مهم ـ ورغم أن القائد كان مريضًا ومقيمًا فى استراحته ولكنه أصر على ذلك ـ حضر واطمأن على القائد وبعد أن رحب به القائد طلب جعفر أن يتحدث معه فى أمر مهم رغم ظروف المرض. حث القائد مع مواصلة الحديث ورحب به كالعادة لإحساسه بأن المشكلات التى تقابل الأفراد تؤثر على أدائهم بالوحدة وحالة الاستعداد التى كانت مستمرة ـ قال لقد وقعت سيادتكم على أحد الزملاء عقوبة دون أن تتاح الفرصة للزميل كى يذكر السبب للخطأ الذى ارتكبه ـ ولقد كان الشخص نفسه قد كرر هذا الخطأ وتعهد بعدم تكراره مرة أخرى ـ لذا عندما ارتكب نفس الخطأ لم يذكر الحقيقة ـ خجلاً وكسوفًا لأن قائده عنا عنه فى المرة الأولى. قص على القائد قصة الزميل والذى تهدم منزله نتيجة لأمطار الشتاء وحتى يكون قد

اطمئن على أسرته متأخر حتى يجد لهم مأوى ومسكنًا لصعوبة الحالة وما تعانيه الأسرة فى هذه الظروف القاسية أضاف قائلاً إن فلان معه مستندات تثبت صدق قوله ـ تقدم جعفر للقائد بالمستندات وقال أنه علم ذلك بطريق الصدفة البحتة من أحد زملائه القريبين منه. اطلع القائد على مجموعة الذى معه ـ وعلى الفور استدعى القائد الجندى ومازال القائد فى الاستراحة مريض. دهش الجندى لذلك ذهب إلى القائد والذى فوجىء من القائد بسبب تأخيره عن الإجازة وغيابه الاضطرارى وقد رأى الجندى جعفر عند قائده. ارتسمت على الجندى علامات الارتياح حيث عرف الحقيقة ـ بعد أن شرح الظروف للقائد ولم يذكرها لأنها غير مجدية حيث تعهد أمام القائد بعدم الغياب مرة أخرى ـ ولكن قائده وبخه وأنبه على ذلك حيث أن الكل معرض لهذه الظروف القاسية التى لا يعلم بها أحد إلا عن طريق عرضها بواسطة الشخص نفسه ـ وكما قلنا كان قائد الكتيبة يشجع الجميع على عرض مشكلاهم دون خوف أو خجل وبقدر استطاعته كان يحل لهم المشكلات أو يوجههم إلى طريق الحل السليم عن طريق خطابات أو عن طريق ضابط الخدمة الاجتماعية بالوحدة المسئول عن ذلك.

يواصل جعفر العمل بهمة ونشاط ولم يكن مثل الآخرين كان صادقًا مع نفسه كل الصدق، فيقوم بالاستفسار عن كل شىء دون خجل أو كسوف. وفى أحد الأيام وقبل المعركة بأيام قلائل وذلك لاستعداد لها تقرر إجراء رماية الصواريخ الحية فى منطقة قريبة

من المعسكر على غير العادة حيث كان يتم ذلك فى الأماكن المحددة للرماية - طلب القائد من الأفراد أن يتقدم شخص لإطلاق الصاروخ مرتديًا كمامة الغاز وهى كمامة تقى الأفراد ضد الغازات السامة التى قد يلجأ إليها العدو - كان الأفراد أيضا مدربين على ذلك ضمن تدريباتهم - وصدرت التعليمات باستخدام بعض الأفراد لهذه الكمامات خلال إطلاق الصواريخ. عندما طلب القائد أحد الأفراد كان أول المتقدمين جعفر ولم يحدث أن أجريت رماية بالقناع من قبل حيث كان التدريب يتم من خلال التدريبات الداخلية - كان أول المتقدمين وصدر له الأمر بلبس القناع مدة ثم صدر له الأمر بالتقدم إلى نقطة الرمى لإصابة الهدف الذى أمامه وكان عبارة عن شكل من أشكال الخشب المملوءة بالخيش واستعد للإطلاق وأطلق الصاروخ صوب الهدف.. الكل يتابع ويدعو بالتوفيق.. فى هذه اللحظة وقبل وصول الصاروخ إلى هدفه هبت عاصفة شديدة اقتلعت الشكل وباقى الأشكال الأخرى - أحد الأشكال بقى جزء منه ظاهرًا فوق سطح الأرض خلف الهدف المحدد - أعاد توجيه صاروخه إليه وأصابه وسط ذهول الجميع زملاءه وقادة وضيوفًا... ثم أقبل على قائده فرحًا بهذا النصر لتحيته بعد أن أبلغ عن تدمير الهدف. عانقه القائد عناقًا حارًا وهنأ على هذا المستوى الرفيع، وكذا الجميع وقدمت له الهدايا والمنح من المسئولين ورقى إلى درجة الرقيب بعد أن كان عريفًا.

أما البطل الآخر والصديق له هو صبحى يعقوب فكان فى إجازة خلال الرمى بعد عودته إلى الوحدة سمع عما حدث. فرح فرحًا

شديدًا وكأنه هو - وبدت البشاشة على وجهه وأسرع إلى صديق كفاحه يعانقه ويهنئه وأخذ بين أحضانه وداعبه قائلا كنت أتمنى أن أكون موجودا بينكم فى ذلك اليوم حتى أنه نال الشرف الذى نلته - وقال له حلال عليك الترقية - ولأن المنافسة كانت شديدة وشريفة فأراد أن ينال الفرصة كما نالها جعفر - ألح على القائد ولكن لم تكن هناك فرصة فالوقت الضيق والظروف لا تسمح - وبذلك لم تتح الفرصة لإجراء الرمى مرة أخرى.

كانت بعض الأعمال المطلوب فيها سرعة ودقة فى التنفيذ تسند لأفراد معينة، وكان بين هؤلاء الأشخاص صبحى - أراد القائد فى يوم من الأيام بعد أن احتلوا مركزًا متقدما فى الاختبارات. أراد أن يكافىء الوحدة بعمل نادى صغير لهم أطلقوا عليه فيما بعد اسم (كافتريا) - كلف صبحى بالإشراف على عمل الكافتريا وتوجه القائد يومًا للاطمئنان على سير العمل فوجد صبحى أول الغارقين فى الجير والبوية والزيت - الكل يعمل بإتقان وأولهم صبحى - ومع ذلك أثناء التدريب لم يجد ذريعة للتغيب عنه ولم يجد الفرصة لذلك فكان أول الموجودين للتدريب أيضا كان يؤديه بجدية وإتقان شديد - كان يعلم تماما أن المعركة آتية لا ريب؛ لذا فقد كان أول المستعدين لها وحتى لا يفقد مكانته بين الموجهين لهذا الصاروخ الدقيق - ورغم ظروفه الاجتماعية القاسية والتى يعلمها الجميع إلا أنه كان يصر إصرارًا خالصًا على التدريب وقت وجوده بالوحدة - ولقد ابتعد صبحى عن التدريب فترات طويلة لهذه الظروف إلا أنه

سرعان ما كان يستعيد مستواه بسرعة وعكس كل التوقعات ـ لذا فقد احترمه وأحبه الجميع ـ بل أيضا كان مستواه متقدما فى كل الاختبارات التى كانت تجرى على فترات. والذى أخطر القائد بمشكلات صبحى أيضا كان صديقه جعفر بيومى حيث ذكر للقائد مشاكله الصعبة والتى تستوجب الإجازة الطويلة لذا كان دائم البقاء فى الوحدة وذلك حتى يمكن تجميع إجازته حتى يمكنه العمل فى بلدته ـ كان يستوجب أن يتواجد إذا قام بإجازة فترة طويلة حيث المشكلات المستديمة فى هذه الحياة القاسية. لذلك تصدق إليه بتجميع إجازاته وكل ما تصدق بها لأحد إلا نادرًا لظروف الوحدة.

دارت الأيام والاستعدادات جارية بجدية والكل ينتظر اليوم الموعود والمرتقب كل يعمل بتفانى وإخلاص ـ ثم صدرت الأوامر بالاستعداد للعبور لتحرير الأرض. استعد الصديقان وهما فى سرية واحدة وجماعة واحدة. الاستعداد كان بنفس الحماس لكل منهما وعبرا ضمن العربات الأولى ـ قاتلا فى اليوم الأول قتال العاشق الولهان ـ رغم الصداقة ولكن التنافس شديد. اشتد الصراع بين البطلين ودبابات العدو ـ لم يمكننا العدو من الاقتراب رغم المحاولات المتكررة وذلك لمنع تدفق القوات إلى سيناء. تمسكا بموقعهما وكان للعدو بالمرصاد. ارتد العدو لصعوبة الاقتران أو الاقتراب من هذا الموقع ـ تأكد العدو أن اقترابه من الموقع يعنى الانتحار ـ كان ذلك فى مساء اليوم الأول بسيناء ليلة الفرح والبهجة التى سادت الجميع ـ فى غمرة الفرح والانتصار على العدو

وأصوات الطلقات حول الأبطال ودانات المدافع تخطرهم بكل أنواع الأعيرة وفى خلسة وغدر التفت إحدى الدبابات فى غفلة عن قواتنا من الخلف - خلف الموقع الذى به البطلين ورغم أن الاشتباكات لم تنقطع عن العدو - ارتفع صوت أحد الأفراد يحذر جعفر بأن هناك دبابة فى الخلف تقترب من الموقع وكذا حذر صبحى نفس التحذير - أخذت الدبابة القريبة موجة نيران رشاشاتها الكثيفة نحو جعفر لم يسمع جعفر التحذير. سمعه صبحى - أسرع نحو صديقه ينبهه إلى الخطر حيث اقتربت هذه الدبابة منه. اندفع كالمجنون قفز فوق محاولة لإخفائه فى حفرته عن النيران ولكن نيران القدر كانت أسرع منه حيث وجهت الدبابة نيرانها إلى الصديقين الحبيبين وهما يحتضنان بعضهما كل منهما يحاول أن يحمى الآخر. افترقت الرصاصات أجسادهما - وكانت كثيفة وسريعة ورقدا والدماء الغزيرة تنزف منهما واختلطت دماؤهما على الرمل كما اختلطت أنفاسهما فى لحظة واحدة وأصبحا كجسد واحد لا فرق بين هذا أو ذاك ونالا الشهادة فى وقت واحد.

استشهدا بعد أن دمرا ست دبابات كل منهما دمر ثلاث دبابات حتى فى تدمير الدبابات تساويا.

هذه هى البطولة - هذه هى الشهامة - شهامة أبناء مصر - لقد ضربا أروع الأمثلة فى البذل والتضحية والفداء - هذه هى بطولتك وبطولة أبنائك يا مصر - يا أغلى شىء فى الوجود.

الضاحك الحزين:

أمسك الرقيب أنور عياد بسماعة التليفون الميدانى وطلب قائد كتيبته فرد عامل التليفون وطلب منه أن يكلم القائد كان مركز القيادة يبعد عن موقع أنور حوالى كيلو متران - قال لقائده.. وحشتنا يا افندم - ما الذى يشغلكم عنا وحشتنا السجائر.. وحشتنا القعدة تعجب قائد الوحدة من ذلك ولم يمض وقت طويل منذ تفقد أحوالهم وأحوال الآخرين.

كانت هذه المجموعة التى بها أنور تمثل احتياطى خفيف فى يد القائد بجوار مركز قيادة الفرقة لاستخدامها وقت الطلب وعند تعرض أى موقع للهجوم عندما تتطلب الحاجة - ولذا فهى قريبة منه قدر الإمكان - ولكن القائد رد عليه وطمأنه واستفسر عن حالة زملائه فرد أنور وقال الأمور هادئة وكل شىء جاهز ولكن الجميع متشوق إلى اللقاء.

بعد إنجاز بعض الأعمال، توجه القائد إلى الموقع الذى به أنور وعند وصوله رحبوا به وكان ترحيب أنور به أكثر بل وكان عناقه مع قائده وكأن مضى على فراقه دهرًا فى بشاشة ومرح - زاد تعجب القائد من ذلك ولكنه لم يعلق على ذلك حيث مكانة أنور عنده وحبه الشديد له وكثيرا ما كان القائد يرفع الكلفة بين أفراده ولكن فى الحدود المسموح رغم أداتهم فى المعركة وبطولاتهم التى أصبحت حديث الناس وزاع صيتهم وحيث وحدتهم فى ميدان القتال - جلس القائد وبجواره الأبطال، ولكن أنور كعادته مع قائده قام بإشعال

قرص من الوقود الجاف بداخل علبة صفيح أطلق عليه الجنود البوتاجاز الميدانى كانوا يستعملونه لتسخين الوجبات المعلبة فى وقت الفراغ - ووضع أنور عليه علبة الصفيح وبها الماء والشاى لإعداد كوب الشاى لقائده وأيضا كرر ذلك مع زملائه وكوب الشاى هو أيضا علبة صفيح أصغر من الفوارغ التى معهم - كان أنور مشهورا بإعداد الشاى لقائده الذى كان يعجب به - قدم كوب الشاى مداعبا... شاى من صنع أيدى بس خسارة ناقص حاجة مهمة جدا.. السجائر ابتسم الجميع وضحكوا لأنهم يعرفون ما يقصده لأن ذلك كان يتكرر مع قائده بصفة مستمرة. أخرج القائد علبة السجائر وأعطاها له مد يده بسرعة قبل أن تمتد إليها يد أحد آخر. فتح العلبة بسرعة قدم لزملائه منها واحتفظ بباقيها لنفسه - وبعد أن شربوا الشاى وهم جالسون خلف إحدى التباب أخذوا يتبادلون الأحاديث عن المعركة وعن ما حدث وما قاموا به من معارك فى سيناء وأخذوا يتباهون بمقدرتهم وتفوقهم على دبابات العدو وأيضا لم ينسوا أن يستفسروا عن زملائهم فى باقى المواقع الأخرى - لم ينس قائد الموقع الذى كان جالسًا أن يضع الخدمة اللازمة فى الموقع حتى لا تحدث أى مفاجأة من العدو - وقد لاحظ القائد أن أنور لم يشترك فى الحديث بعض الوقت رغم أنه هو الذى دعى القائد للزيارة وهو الذى بدأ الحديث وكان يداعب الجميع فى جو من المرح.

كان قائده يعرف عنه كل شيء، وأن كثيرًا ما تمر على أنور هذه الحالة من الصمت فإذا تحدث وضحك لا يسكت ولكن إذا صمت فهو لا يتكلم حالة كانت تنتابه بصفة مستمرة وتلازمه حتى خلال الإعداد للمعركة. ولكثرة هذه الحالة التى كانت تنتابه أطلق عليه القائد اسم «الضاحك الحزين». ولقد حاول القائد فى أوقات كثيرة أن يتعرف على هذه الحالة. وعلى الحزن الذى يرتسم على وجهه فجأة وحاول أيضا مع قادته المباشرين الذين حاولوا أن يخرجوه منها ولكن دون جدوى. كانوا يحاولون مداعبته بأمور كثيرة فمنهم من اتهمه بأنه يحب.. وآخر يقول له أن ولد نمس مقطع السمكة وديلها ولكن دون فائدة ـ أما قائده فكان يحس به ويشعر بوجدانه والآلام التى كانت تلازمه لقد كانت نظرة أنور إلى الدنيا وإلى مشكلاتها تختلف عن الآخرين. تحير القائد من ذلك خلال فترة الإعداد ولكن كل المحاولات باءت بالفشل.

ولظروف الحياة وقسوتها ترك أنور التعليم وتطوع بالجيش وخدم بهذه الوحدة التى كانت تعد لاصطياد دبابات العدو وأصبح موجهه من الموجهين المرموقين مثل باقى زملائه ـ وضع فى ذهنه أنه لابد أن يكون متفوقا على الجميع؛ ولذلك لم يتخاذل فى التدريب رغم حالته هذه وكيف يتخاذل وهذه حياته التى اختارها بمحض إرادته عندما تطوع، أما الباقية فيمكن أن يتركوها فى أى وقت عند نهاية المعركة أو عندما لا تقتضى الحاجة باستمرارهم فى القوات المسلحة.

خلال فترة الإعداد والتدريب الشاق كان القائد يتفقد أحوال الأفراد فى كل وقت ليلاً ونهارًا قبل بدأ الطابور الصباحى وأثناء نومهم وراحتهم كانت لأنور بعض الطقوس والتى سببت له كثيرًا من المشكلات مع قادته فرغم أنه حكمدار العنبر الذى ينام فيه إلا أنه كان يستيقظ آخرهم ولكنه كان يعد نفسه للطابور الصباحى بسرعة مذهلة ما يقومون به فى ساعة يقوم به هو فى فترة زمنية بسيطة. ولقد تصادف كثيرا مرور القائد على مكان إيوائه فيجده مازال نائما والذى سرعان ما يستيقظ بسرعة ويكمل لبسه واستعداده ونهره القائد كثيرا لذلك باعتباره نموذجًا لأفراده ولكن دون جدوى وما يغفر له أنه ما تخاذل يوما فى حضور الطابور أو قيامه بأداء مهام التدريب فى دقة تامة. من ضمن طقوسه عندما يستيقظ أن يشعل السيجارة بعدها يفتح دولابه الذى به كل شىء من حلو وحادق ثم يأخذ طريقه نحو الاستعداد للطابور الصباحى والذى كان يحرص عليه الجميع لأهميته بالوحدة ولأنه أول عمل يقدم به الأفراد فى صدره منضبطة فإذا تم بصورة لائقة انتظمت الوحدة بعد ذلك فى عملها دون معوقات، وكان القائد يحرص على أداء هذا الطابور فى دقة متناهية؛ ولذلك فإن أى أمور كان يحرص أن يتجنب التأخير لأنه يعلم مدى ما يمثل ذلك للقائد الذى يحرص على حبه وإقدامه. ولذلك فإنه كثيرا ما نال إعجاب قائده لمستواه المتميز فى التدريب أو أى أعمال تطلب منه. وكان لا يتهاون مع أى أحد يقصر فى عمله مزودًا كل أفراد بخبرته فى حياة الجندية. ومن صفاته الأمانة والنزاهة والإخلاص فى العمل كان ينتظره

مستقبلاً باهرًا فى القوات المسلحة. وقد كان القائد كثيرا ما يتغاضى عن بعض أخطائه غير المقصودة وغير المؤثرة.

فى أحد الأيام توجه أحد زملاء أنور إلى قائده يشكوه من التدخين بشراهة ومن تدهور صحته ولأنه قريبا منه فهو يشعر بذلك ولقد لاحظ القائد بالفعل هذه الحالة التى ظهرت عليه ـ ووصلت حالته الصحية إلى التدهور فطلبه القائد ودعاه للجلوس حتى يتعرف على ما يحيط به من مشكلات وأحزان فى هذه الحياة. أراد القائد أن يفوض فى نفسه كى يعرف السر فى أحزانه الفجائية بعد المرح والسرور ـ أصر القائد على ذلك بل وطلب منه الإفصاح عنه فى صيغة أمر له.. سادت فترة من الصمت ونظرات القائد ترجوه أن يتكلم لما فى ذلك من فائدة عليه وعلى صحته.. وبعد برهة تكلم وقال إن المشاكل العادية لا تؤثر فيه ولا تأخذ مساحة فى ذهنه من الوقت التى لديه ولكنه يحمل عبأ ثقيلاً يصعب على أى إنسان حمله ويخشى أن يقول ذلك لأن كل فرد فيه ما يكفيه وأن هذه مشكلته هو ولا يريد إشراك الآخرين لزيادة همومهم لأنها حياته الخاصة. ولأن أنور كان أيضا عزيز النفس كرامته فوق كل شىء وفوق كل اعتبار؛ ولذا فلم يرد أن يشرك أحدًا حتى لا يعتبر ذلك شفقة وعطفًا فهذه حياته التى خصها به الله، وهذا قدره ولابد أن يواجهه بمفرده دون مساعدة الآخرين. كان ذلك ما يؤمن به أنور؛ ولذا لم يتحدث فى مشاكله لأى أحد أعز أصدقائه أو أقربائه؛ ولكن تحت الإلحاح من قائده ولأنه يعرف ويدرك فيه الكتمان على أسرار الآخرين.. لذا فقد استرسل فى الحديث

والكلام لقد قال زادت أعباء الحياة مرة واحدة والمتاعب والمعاناة التى أعيشها وزيادة المسئولية دفعتنى إلى قطع الدراسة والتطوع فى القوات المسلحة ضمانًا لمصدر رزق ثابت أعول به أسرتى الكبيرة... والد عجوز غير قادر على الكسب أم وصلت من العمر إلى حد العجز أشقاء تركوا له أمرهم وفارقوا الدنيا بمن فيها بحلوها ومرها من مآسٍ ومشاكل. قال إنها مأساة لا يمكن وصفها. أذهلت القائد المفاجأةِ فأسقط فى يده لأنه لم يقابل مثل الحالة العنيفة طوال خدمته - كيف يعيش هذا الكم الهائل على مرتب ذلك المسكين دون عون من أحد. هذا المغلوب على أمره لن يلومه أحد إذا ما اكتفى ببعض المتطلبات لهم ويلتفت إلى نفسه وكثيرا من الناس فى هذه الأيام يفعل ذلك... ولكن أنور تحمل ذلك العبء الذى ينوء بحمله الكثيرون... سادت فترة الصمت ولم يتحدث القائد ولم يتحدث أنور ولكنه قال لقائده هل عرفت السر فى ذلك الصمت الرهيب الذى ينتابنى كثيرا.. إننى فى وسط الضحك والمرح يحضرنى هذا الخاطر، فأنسى كل ما حولى وأفكر فى المرارة التى أعيشها. وهل بعد ذلك أمر من الحالة التى أعيشها.

خرج أنور من مكتب القائد مودعًا وشاكرًا بعد ما أخرج حملاً ثقيلاً كان يكتم أنفاسه وكثيرا ما يحتاج الإنسان فى هذه اللحظات إلى شخص يثق فيه يشاركه خواطره ووجدانه... أحس أنور بالراحة النفسية رغم أن القائد لم يعلق على كل ما قاله ولكنه استراح إلى حد ما.

أسر القائد شيئًا فى نفسه ومن واجبه التصدى لهذه المشكلات قدر الإمكان ولذلك قرر أن يتبنى أنور ويعامله المعاملة التى تختلف عن الآخرين، ولذلك كثيرا ما كان يتجاوز عن بعض أخطائه غير المؤثرة كما قلنا من قبل. كان بالوحدة بعض الأعمال الذى يقوم بها الأفراد الذى تدر عليهم عائدًا نتيجة لجهدهم الإضافى. وكثيرا ما لجأت القيادات الكثيرة لحل مشكلات بعض الأفراد عن طريق هذه الأعمال، ولذا فقد قرر القائد مساعدة أنور بالقدر المسموح خصوصا بعد ما تأكد من صدق كل كلمة قالها. تدخل القائد فى أموره وتعرف على راتبه الذى يتقاضاه ولكن عن بعد لأنه يعلم مدى عزة نفس أنور. أخذ ينظم له طريقة الصرف عن طريق قائده المباشر فى أمر بأن توكل إليه بعض الأعمال الإضافية والتى تزيد من دخله فى بوفيه الوحدة ومرة أخرى الميس والكانتين فى كل شهر كان القائد يأمر بأن يكون ضمن العاملين فى هذه الأعمال ـ وكعادته استقبل ذلك فى ترحاب وحب شديدين وأخلص العمل فيها. كان أمينًا كما قلنا فى كل شىء. بدأت تسود حياته الانتظام إلى حد ما بمساعدة قادته الذين أحسوا بحالته وبدأت أموره تستقر مما كان له الأثر فى تقدم مستواه فى التدريب، ولم ينس هو ذلك أبدا. ولهذه المعاملة الحسنة زاد عطاؤه فى العمل وفى كل ما يكلف به لما لقيه من الجميع للخروج من المحنة القاسية التى يمر بها ـ ولذلك شعر بالاطمئنان والأمان وشجع باقى زملائه فى عرض مشكلته على قادته، وبعد أن كان يكتم كل مشاكله فى صدره عرف الجميع حكاية أنور بل وحاولوا مساعدته فى حلها كل قدر طاقته

بما لا يجرح مشاعره ـ ولم تقف مساعدة أنور عند هذا الحد بل أن أجهزة مختصة فى القوات المسلحة تقدم العون لمثل هذه المشاكل حيث تم عرضها على المختصين.

ومع كل هذا ولكن ظلت الحالة التى تصاحبه مازالت تسيطر عليه رغم أنها لم تكن بحدتها السابقة ولكنه لم يتخلص منها فورا. حتى جاء يوم العبور وصحب أنور رفاقه فى رحلة الحرية التى يتطلعون إلى نسمتها ويمحون العار الذى لحق بهم. وكان له شرف الاشتراك فى معارك ضارية واستبسل فيها مع زملائه لم يتهاون فى الأداء، وكان دائما يحس أفراده وزملاءه على بذل الجهد والعرق ولم يعرف أبدا للتخاذل طريقا. كان سباقا فى الاشتباك مع دبابات العدو، ولم يكن ينتظرها كغيره ولكنه دائما يقصر المسافة بينه وبينها حتى يفاجئها وبعد كل معركة يخوضها يبدو السرور والفرح والبشاشة على وجهه رغم الحزن العميق الذى مازال يصاحبه.

هذه الذكريات مرت أمام عينى القائد، وهو جالس معهم وأثناء موجة الصمت الذى بدت على أنور فجأة. وخلال اللقاء إذا بهجوم عنيف لطائرات العدو على الموقع ومازال قائدهم معهم. أصدر قائد الموقع أوامره باحتلال كل فرد مكانه لحمايتهم من قصف الطيران وتحسبا لأى هجوم لدبابات العدو بعد ذلك ـ ثم تبع غارات الطيران أيضا قصف مدفعى مركز. وقتها فطن الأفراد أن هجومًا قادمًا بدبابات العدو. لقد حفظوا تحركات العدو تماما. رغم أن الطائرات ألقت بحمولتها بعيدا عنهم، أن قصف المدفعية لم ينل منهم ولكن

الكل يتابع ويدقق النظر أمامه كل فى القطاع المحدد له. وأنور بين الأفراد يتابع ويصدر التعليمات لأفراده وعندما طاشت حمولة الطائرات وطاشت أيضا قصف المدفعية أخذ يضحك بصوت عال ويقول كله فشنك ولا حاجة... بعد ذلك اقتربت بعض دبابات العدو من الموقع أربع دبابات. ثم زادت سرعتها نحو الموقع محاولة الاختراق الأبطال متربصين لها وصدرت الأوامر بالاشتباك وتحددت المهمة بكل منهم ودمرت الأربع دبابتين لم تفلت منهم واحدة وكأن من حظ أنور تدمير دبابتين وانتهت المعركة والتى شاهدها وأشرف عليها قائد الوحدة مع قائد الموقع.

بعد المعركة حياهم القائد على هذا الأداء وسرعة التلبية واطمأن عليهم ثم غادر الموقع إلى مهام أخرى فى مركز قيادته. وبعد حوالى ساعتين اتصل قائد الموقع المباشر بقائد الوحدة تليفونيا، وكان صوته خافتا نبرة الحزن بادية عليه كان كلامه أقرب إلى البكاء وقال يا أفندم البقية فى حياتك... لقد استشهد أنور ومازالت المعركة مستمرة والدبابات من حولنا ـ درك القائد أن الموقف خطير قائد الموقع يكاد يبكى ومازال الأفراد مشتبكين وهو يبلغ عدد الشهداء قبل نهاية المعركة على عكس المفروض حيث يتم ذلك بعد نهاية المعركة يهزه القائد، وحثه على استجماع قواه والسيطرة على الموقف وحذره القائد من بعض الأخبار المعرضة وبعد نهاية المكالمة توجه القائد على الفور إلى ذلك الموقع حيث قاد عربيته بنفسه لكسب الوقت حتى وصل إلى هناك خلف التبة التى عليها الموقع والاشتباكات مازالت مستمرة تدخل القائد وأصدر

الأوامر بعدم ترك أية دبابة تفلت من أمامهم وأحس الأفراد بالاطمئنان لتواجد القائد معهم ارتفعت معنوياتهم زادوا من سرعة الاشتباك محذرين بعضهم البعض، وقام أحد الأطقم بمناورة لأحد الأجناب المعرضة لاقتراب الدبابات فيها كما طلب القائد من قائد الموقع وسرت موجة من الحماس بين أفراد الموقع وتصدوا لكل الدبابات المعادية ودمروها وفرت البقية الباقية من النيران والصواريخ الكثيفة التى حولهم حيث طلب القائد من المدفعية قصفة مركزة على هذا التجمع من الدبابات المغيرة.

انتهت المعركة ومازال القائد معهم فعزم الرجال لا يلين وتصرف قائد الموقع تصرفًا جديرًا بالاحترام ليقظته رغم حزنه ورغم تصرفه السابق وأقبل على قائده يعتذر واكتفى القائد بتوجيه النظر إليه واكتفى بالتأنيب الذى لقيه خلال المحادثة ـ ثم ذهب الاثنان إلى موقع الشهيد. المكان الذى به جسده وأمر بحفر حفرة لدفنه ـ ووضعت جثة الشهيد الغالى بها ووضعت فوق قبره خوذته وسلاحه الشخصى خيم الحزن على الجميع اتجهت الأنظار إلى القائد ترقبه وكيف سيتصرف والجميع يعلم مكانة الشهيد لديه ـ تماسك القائد وارتفع فوق الأحزان لابد من أن يتماسك، فالكل يرقبه ولقد علمته قسوة الحياة والمسئولية الملقاة على عاتقه أن يتمالك نفسه ولا يظهر أى شىء أمام أفراده. ورغم مرارة الألم لفراق هذا العزيز الغالى إلا أنه تغلب على كل ذلك، وقال بصوت عال حيث عم الحزن الجميع وحتى يعيد للموقع اتزانه قال لقد كان البطل شجاعًا صلبًا فى كل معاركه... هذه هى شجاعة أبناء مصر. لقد ضرب المثل فى الدفاع

عن وطنه. فى الدفاع عن الكرامة والشرف. شرف هذا الوطن الغالى، لقد كان أحب وأعز الناس لدى. دماؤه الذكية طهرت الأرض الغالية أرض سيناء الحبيبة من كل ما أصابها. لقد عاش بطلاً واستشهد بطلاً ولابد من أن نضحى فى سبيل بلدنا وهذه المعركة لها شهداء وهو فيهم ويجب أن نكون سباقين إلى ذلك ارتفعت الهامات مرة أخرى وضج الجميع بالترحم عليه والثأر من أجله.

لم يكن أنور الذى كان غارقا فى دمائه وهو ملقى على الأرض سوى أنور منذ ساعات قبل استشهاده تعلو وجهه الابتسامة العريضة المختلطة بمسحه من الحزن. هنا أدرك الجميع السر فى ذلك لأنه ينتظر اليوم الموعود - يوم الشهادة وهى أعلى منزلة ينالها مقاتل وأحب شىء إلى الله للمنزلة العظيمة الذى منحها للشهداء.

وبعيدا عن الأعين وبعد أن عرف القائد بقصة شهادته حيث أصابته طلقة غادرة من نيران الرشاشات لإحدى الدبابات التى حاولت اختراق الموقع وكانت قريبة منه فأصيب فى رأسه إصابة مباشرة بعد أن دمر إحداها. وبعد أن ذهب القائد إلى مكانه سالت الدموع من عينيه بعد أن حث الجميع على بذل الجهد فمازالت المعركة شرسة وطويلة. أخذ يحدث نفسه لقد فقدنا ابنًا غاليًا وأخًا عزيزًا كان بارًا بأهله ووطنه وفراقه غالى، ولكن ستظل روحه بيننا فى كل لحظة وسوف نثأر له. كل شىء يهون فى سبيل النصر والله أكبر والعزة لمصر.

الغـــريب الفـــريق

لم يكن مثل باقى زملائه فى السعى وراء الأضواء والشهرة فى كثير من تصرفاته بالوحدة. وكان هادئًا بصفة دائمة يحب الخير يسعى إلى السلم باستمرار، وذلك فى كل علاقاته مع الجميع زملاء وأقران. لم يكن حادًا الطبع ولم تكن له أى مطامع شخصية ولم يكن طموحا فى السعى إلى الكسب المادى والمعنوى من إجازات وجوائز بل يؤدى عمله بدقة وإتقان فى المقام الأول. ولكن كان مثل زملائه فى شىء واحد هو المستوى الرفيع المتميز فى تدريباته على إطلاق الصواريخ حتى يكون من أوائلهم. كان البطل هادئ الطبع لم يسع إلى التحلق كما كان يفعل البعض سواء لقادته المباشر أو قائد كتيبته ولكن كان يحب الجميع صادقًا وخالصًا حتى أصبح (الغريب) من المحبوبين للكل. أثنى عليه وعلى دماثة خلقه الجميع.

عندما أراد الغريب أن يتزوج لارتباطه المسبق لم يسع إلى طلب شىء كما كان يفعل البعض أيضًا فى مثل هذه الحالات. أتم كل

شىء فى هدوء ودون ضوضاء وحدد موعد زفافه بحيث يتفق مع موعد إجازته الميدانية التى سوف تمنح له وطلب من قائده ذلك فى إحدى اللقاءات حتى يحدد الموعد النهائى وتقوم الأسرة ببعض الأعمال المطلوب إنجازها فى هذه الظروف. وحدد له قادته الموعد. القائد أراد أن يعرف السر فى طلب تحديد إجازته وخاصة أنه لم يفصح عن السر لأحد. ومعروف عنه أنه إذا طلب شيئا فلابد أن يكون الأمر مهمًا وملحًا. لاحظ القائد بهمهمة وضجيج حوله فى المكان الذى يجلس فيه. رغم أن من حقه أن يتكلم وأن يطلب إلا أنه لم يقل شيئا ولم يستمع إلى إصرار زملائه حوله فى أن يقول السبب. ولكنه خجل لعزة نفسه ولما يعلمه من موقف الوحدة والعمل الدائم بها. استدعاه القائد بعد اللقاء حيث لاحظ شيئًا مهمًا ولأنه يعرف طبيعته. استفسر منه عن سبب تحديد الإجازة وما هو السر فى ذلك ولم يحدث منك ذلك إطلاقا. رد الغريب والخجل يعلو وجهه قائلا لقائده عقبال أولادك يا أفندم فسوف أتزوج فى هذه الإجازة وأردت تحديدها لإنجاز بعض الأعمال. تعجب القائد حيث إن مثل هذه المناسبات بالذات يمنح الأفراد إجازة وهذا معروف ومتداول فى الوحدة - قال له مداعبًا فيه الدعوة ثم قال ولا عاوز تفوت علينا الفرح، قال يشرفنى حضوركم ولكنى عارف المشغوليات وخشيت إذا قمت بالدعوة تكون مقدمة لإجازة إضافية وأنا أعلم حال الوحدة فى هذه الأيام. قال القائد فى نفسه إنه إحساس بالمسئولية وحساسية ليست لدى الكثيرين. فى الحال استدعى قائده المباشر وعرف القائد العنوان منح إجازة الزواج المعروفة

بالوحدة. ورغم أن الإجازات الطويلة كما قلنا تستدعى جرعة تدريب زائدة عند العودة ولكن هذه هى الحالة الوحيدة التى كانت تمنح فيها إجازة إضافية. قام الزملاء وقامت الوحدة بأداء الواجب معه فى حضور الفرح وبعض الهدايا.

أسرع الغريب فى القيام بإجازاته والمنحة الإضافية وأقيمت الأفراح وحضر بعض الزملاء زفافه وقضى وقتًا لا بأس به فى عش الزوجية، وعاد إلى وحدته أيضا وهو مسرع وذلك لتعويض ما فاته وحتى يؤدى عمله بإتقان شديد. لم ينس أن يحضر معه الحلوى والشربات لزملائه بالوحدة والذين احتفلوا به فى ميس الوحدة (الكافتريا) وكانت ليلة من الليالى الجميلة قضاها القائد مع جنوده احتفالاً وتكريمًا له.

ازداد إصرار الجميع على التفانى فى العمل تحسبًا لكل الظروف القادمة حتى حانت الساعة وحانت لحظة التحرير، والتى استعدت لها قواتنا المسلحة كأحسن استعداد. واستعد البطل مع باقى زملائه ولم يمر على زواجه أكثر من شهر. حيث خرج مع زملائه إلى ضفاف القناة استعدادًا ليوم الخلاص. أخذ الأفراد أماكنهم خلف المصاطب العالية التى أقيمت وانتظر الجميع الإشارة إشارة العبور. نظر القائد إلى وجه الغريب فوجده كحالة لم يتغير ورغم أن البعض أصابه شرود الذهن والتفكير فى المستقبل ولكنه لم يتغير وجه كما هو نفس الملامح وتقاطيع الوجه ولم يهتز. أخذ القائد فى إلقاء كلمات التشجيع أحيانا والتوجيهات أحيانا أخرى والنصائح للجميع.

وبعد هجوم الطيران وقصفات المدفعية وفى آخر القصفات انقلب الغريب إلى إنسان آخر بعد أن كان هادئًا وديعًا. انقلب إلى وحش كاسر..احمر وجهه وعلا صياحه معبرا عن الفرحة والسرور نادى بأعلى صوته يا أرض سيناء الغالية. ياأرض الآباء والأجداد. يا مهبط الأنبياء والرسل. جئنا إليك حتى نحررك ونطهرك من دنس العدو. استقبلى أبنائك بالأحضان.. ثم هتف الله أكبر.. الله أكبر.. نموت فداء لمصر. ردد الجميع خلفه الهتاف الغالى الذى ألهب مشاعر الجميع. صيحات عالية مدوية أذهلت قوات العدو وارتعدت فرائض من هذا الطوفان الهائج. ووجد العدو أمامه أمواجًا متلاطمة من البشر تتسابق للعبور. دمعت العيون من شدة الفرح مع دعاء الجميع وابتهالهم إلى الله أن يوفق هؤلاء الفتية من النيل من العدو المتغطرس.

اندفع الجميع إلى ركوب القوارب عندما صدرت الإشارة. اندفع البطل مع زملائه كالسهم. اندفع فى خفة ورشاقة ركب إحدى المعديات، ولكن كان فى دور غير دوره.. هكذا قدره وقد فعل ذلك الآخرون ـ أخطاء تحدث نتيجة للانفعال وما يريد أن يقوم به الجميع من سرعة العبور إلى الضفة الأخرى متشوقين لذلك. امتلأت المعدية بأكبر من طاقتها. سارت واستمرت فى سيرها وسط مياه القناة وسواعد الأفراد تجدف فى سرعة وقوة. ولأن حمولة المعدية كانت كبيرة وفوق الطاقة اهتزت ومالت على الجنب. لم يستطع الأفراد السيطرة عليها، واندفعت إلى الاتجاه العكسى الذى كانت تسير فيه فقد أحد الجنود اتزانه من فوق المعدية

وسقط فى مياه القناة. وكان الجندى يجيد السباحة ولكن كان حمله كبيرًا فلم يستطع المقاومة، طفا فوق الماء مرة واحدة واستنجد بزملائه الذين فوق المعدية. فى البصر وفى خفة قفز الغريب إلى زميله فى المياه ونسى شيئًا مهمًا جدا أنه لا يعرف العوم ونسى أيضًا إفراغ الحمولة التى فوق جسده من عتاد وذخيرة ومعدات. كانت نعم التضحية. لم يستطع إنقاذ زميله أو إنقاذ نفسه حيث أخذت الأمواج المعدية بعيدا.. بعيدا عنهم وفقدت توازنها وانقلبت بمن فيها. غاص الجنود فى الماء بعضهم أمكن إنقاذه والبعض الآخر احتضنته مياه القناة وكأنها فى شوق ولهفة إليهم - لم يتحقق أمل الغريب فى العبور وأن يطأ بقدم على أرض سيناء الغالية حيث كان من الغرقى. استشهد غريقًا ونال الشهادة ولكن فى مياه القناة واستحق بحق أن يكون أول شهيد بالوحدة هو وزميله.

نام الغريب غريقًا فى مياه القناة ولكن عيون زملائه لم تنم وظلت ساهرة فى أرض سيناء الغالية محققين أغلى نصر فى العصر الحديث، ولقد كانت هذه أمنية الغريب البطل الشهيد الذى حاول إنقاذ زميله فى شهامة ابن البلد صفة لا تتواجد فى الكثيرين فى عصرنا هذا.

إلى جنة الخلد أيها الغريق.. أما أسرتك الصغيرة فلها الله من بعدك، وهو القادر على كل شىء قدره فوق أى مشيئة وأى تمنيات.

العــــريس

طلب مقابلة قائده رسميا فى أحد الأيام وسمح له بذلك، وأدى التحية العسكرية كعادته بأسلوبه الجاد، والذى كان يتميز به فى مظهر من المظاهر العسكرية النشطة. وأدى التحية العسكرية. رد عليه القائد وهو يبتسم وسأله عن سبب المقابلة المفاجئة أمره القائد بالجلوس سادت فترة من الصمت لا يتحدث ولكن نظراته تتابع مكتب القائد. سكت القائد أيضا برهة من الوقت حتى يسمح له بتجميع قواه فى التحدث بحرية ثم أراد القائد أن يتحدث معه فى السر فى هبوط مستواه المفاجئ حتى يترك له الحرية أيضا فى الكلام حيث شكى القائد المباشر من مستواه حسب التقارير التى تعرض على قائد الكتيبة كل فترة زمنية محددة ولاحظ القائد أن متمناه فى التدريب قد بدأ فى النزول منذ فترة وأبلغ القائد بذلك بعد اطلاعه على سجل التدريب الخاص به. لم يرد فى بداية الأمر وأطرق بنظره إلى الأرض خجلا وفى حياء شديد. أراد القائد أن

ينتزع منه الكلام ولكن دون جدوى فى بادئ الأمر. وبعد فترة صمت أذن له القائد بالانصراف عندما وجد أنه لافائدة من الكلام فى هذه اللحظة حيث لم يرد القائد إحراجه أكثر من ذلك وهو من المعدودين فى الوحدة. ولكن القائد لم يسكت فبدأ رحلة البحث عن الحقيقة من المقربين له. استدعى أحد زملائه المقربين وفعلا اهتدى أحدهم. وسأله عن أحوال زميله (حامد). سرد زميله إلى القائد واقعة كان القائد قد نسيها تماما ولم تعلق بذهنه حيث حدث إنه فى أحد الأيام كان حامد يركب إحدى عربات اللورى بجوار السائق حيث كان مكلفا بأداء بعض الأعمال الإدارية بالوحدة. أثناء سير السيارة اللورى وهو بجوار السائق داخل المعسكر سمح لأحد الجنود بالركوب بجواره، وذلك يعد مخالفة جسيمة تحرص القيادات على عدم تكرارها لما لها من خطورة على الجميع لأنها تسبب خللا بالنسبة للسائق فى قيادة العربة حيث المكان مخصص لفرد واحد فقط. أيضا سمح لبعض الجنود بركوب العربة من الأجناب وهى سائرة ولسوء حظه تصادف وقتها مرور قائد الكتيبة. استدعى القائد أقدم الأفراد بالعربة بعد أن أمر بوقوفها. حضر على الفور أقدم راكبى العربة فكان حامد. الكسوف والخجل على وجهه لأنه يعلم أن ذلك مخالفة. ويعلم أن ذلك لمصلحة الذين يركبون العربة وأنه خالف التعليمات المتكررة التى تصدر إليه بصفة مستمرة. نهره القائد لهذا ورغم أن العربة داخل الوحدة إلا أن ذلك يستوى. فمن يقدم على عمل داخل الوحدة لا يتوانى فى ركوب الخطأ خارج الوحدة. أنبه القائد وذكره بالتعليمات

والأوامر وهو برتبة رقيب مجند ظل واقفا لا يتكلم طوال فترة تواجده أمام قائده. دمعت عيناه لهذا الموقف الذى حكمت به الظروف للوقوف أمام قائده وهو الإنسان الملتزم ـ ورغم أن تأنيب القائد لم يكن قاسيا إلى ذلك الحد إلا أن الحساسية المفرطة هى التى أدت إلى ذلك. تأسف لقائده ووعد بأن ذلك لن يتكرر مرة أخرى ـ تصادف وقتها وجود أحد الضباط بالقرب من الواقعة وأثنى على حامد أمام القائد ووصفه بأن يتفانى فى عمله وإخلاصه فى كل شىء على حامد أمام القائد ووصفه بأن يتفانى فى عمله وإخلاصه فى كل شىء وفى أى عمل يوكل إليه. ومن أجل ذلك أعطى له القائد الأمر باستكمال المهمة مع إصلاح الخطأ. نسى القائد ذلك ولم يعلق فى ذهنه ـ ومن أجل ذلك لم يجرؤ على عرض مشكلة خاصة به على قائده لإحساسه بمدى الجرم الذى ارتكبه. هكذا قال الزميل لقائد. أما المشكلة المتعلقة بزواجه حيث طالت مدة التجنيد استعدادًا للمعركة ولم يكن هناك إنهاء خدمة للمجندين؛ لذا فقد كانت هناك من المشكلات التى خلقتها هذه الظروف خاصة فيما يتعلق ببعض النواحى الاجتماعية للمجندين كالزواج ورعاية الأسرة إلى غير ذلك من المواضيع.

طلبه القائد مرة أخرى. دخل المكتب وحيا قائده أيضا بطريقته الملتزمة والجادة. وعلى الفور بادره القائد ببعض الدعابات حتى يزيل منه الرهبة والكسوف وقال له إن ما حدث من قبل منه لم يعد له أى أثر فى نفسه وأنه نسيه تماما وذلك وارد ويحدث ويتكرر مرات كثيرة وعلى القائد ألا ينسى ذلك. وقتها فقط اطمأن حامد

وأدرك أن قائده صادق فيما يقول وأنه نسى الموضوع تماما. وقال له القائد ولكن ذلك لا يستدعى هبوط المستوى. وقاله القائد وأظن أن هناك أمرا ما يشغل بالك وأنت لا ترغب فى عرضه على قادتك رغم أن ذلك من مسئولياتهم الرئيسية. رد حامد قائلا أنا مستواى لم يتأثر إطلاقا بسبب ما حدث من سيادتكم لأنه موضوع عادى وكنت أؤدى التدريبات يوميا وبانتظام ودون انقطاع. ولكن أنوى الزواج بإذن الله؛ ولأن هناك ظروفًا تتعلق بالإعداد للزواج وخلافه حيث لايوجد من يعد ويجهز ذلك حتى يتزوج خلال الإجازة ولأن مدة الإجازة غير كافية حتى بالمنحة التى سوف تضاف إلى الإجازة أيضا فإن ذلك لا يكفى للإعداد والزواج، لأنه لم يجهز شيئًا على الإطلاق وقال إن هناك بعض العقبات من أهل زوجتى.

سكت القائد حتى ينتهى من عوض مشكلته ثم قال له هذا أمر بسيط فيمكن أن تقوم بإجازة لتنهى كل المشاكل وحين أن تعد كل شىء تعود وعندما تعرف منك الوعد المحدد تمنح إجازة الزواج وينتهى كل شىء. ابتسم حامد لهذا الحل الذى لم يكن فى ذهنه على الإطلاق وابيضت الدنيا فى وجهه بعد أن كانت قاتمة وقال لقائده ذلك أكثر مما أطلب وشكر قائده على هذه الوقفة.

وغادر المعسكر فى إجازة قصيرة لنهو كل شىء. كان سعيدا مغتطبا والسرور بادٍ على وجهه والفرحة تحيط به من كل جانب. حضر بعد نهاية إجازته وبعد أن استكمل كل شىء وأعد الترتيبات الخاصة كلها ولم يتبق شىء. عاد ومعه الدعوات لقادته وزملائه

ووزعها عليهم راجيا حضورهم الفرح حيث إن ذلك سيكون مبعث سرور له.

وعندما حل الموعد. غادر المعسكر فى إجازة زواج بعد أن قام زملاؤه فى ليلة الإجازة بإعداد حفل بسيط له وقاموا بعمل زفة له - وقضى إجازته سعيدًا وعاد بعدها مباشرة ومن يومها عرف حامد باسم (العريس) بين قادته وزملائه. أول من أطلق عليه الاسم قائد كتيبته عندما كان يناديه إلا باسم العريس. أقبل حامد على التدريب بعد أن حلت المشكلة التى كانت تنغص عليه حياته وارتفع مستواه كسابق عهده بين زملائه وأصبح بينهم فردًا من الأفراد الذين يشار إليهم بالبنان. كان أسعد الناس به قادته وخاصة قائد وحدته الذى كسب شخصًا لامعًا بشىء من التعقل والتروى دون أن ينقص شىء. وأعد حامد كواحد من الذين سوف يقابلون دبابات العدو فى أول المعركة والأفراد دون درع واق لهم حيث المعابر والكبارى لن تنشأ ولن تقام إلا بعد فترة زمنية محددة. كما سبق أن أوضحنا.

استمرت الوحدة فى عملها العادى استعدادًا لمعركة التحرير المرتقبة والتى يتمناها كل فرد. زادت حدة الأوامر والتعليمات باستكمال النقص وإعداد العدة.

وعند عبور الموجات الأولى عبر بطلنا الذى نحن بصدد الحديث عنه مع باقى الزملاء يحمل سلاحه ومعداته على كتفه وقفز شرق القناة بهمة المناضلين وتسلق الساتر الترابى فى رشاقة وفى شوق ولهفة. وعندما وصل إلى أرض سيناء أقبل على ترابها يقبله كما

فعل الجميع ـ أخذ يحتضن التراب الغالى وكأنه فى شوق ولهفة إلى حبيب ـ اندفع بعدها نحو الشرق فى خطوات سريعة ولم يجد مقاومة من العدو فى بادئ الأمر ـ وأخذت القوات فى الاندفاع إلى الخط المحدد لها. غاصت أرجلهم فى تراب سيناء وفى فترة زمنية قصيرة كانوا على بعد مسافة من شاطئ القناة. وعندما وصلوا إلى أماكنهم التى تم تحديدها من قبل وأراد العدو أن يتدخل بعنف وشدة لمنع الأنوار من احتلال المواقع والتأثير على القوات التى تعبر حتى يوقف اندفاعها شرق القناة تحركت بعض الاحتياطات للعدو من الدبابات صوب القناة وفى اتجاه الأماكن التى تعبر منها القوات والأماكن التى يتم إنشاء الكبارى بها. أصدر قائد المجموعة التى بها حامد بعدم السماح للعدو بالتدخل فى عبور قواتنا بأية وسيلة ومهما كانت النتائج. وأصدر أوامره بعدم إفلات دبابات العدو وتمكينها من الاختراق التى كانت تحاول أن تحدثه خاصة وأن قواتنا فى الأمام مازالت تتدفق إلى الخط المحدد، ومازالت تعيد تنظيمها. كانت تلك المرحلة من المراحل الحاسمة والدقيقة والتى تتطلب جهدًا كبيرًا من الجميع. نفذ الكل الأوامر. أخذ يتعامل مع دبابات العدو هو ومجموعته، وكان القتال شرسًا واشتبك مع دبابات العدو فى صراع مرير وزادت حدة المعركة عنفًا والعدو مصرٌّ على الاختراق وحامد ورفاقه متشبثان بالأرض ولا يسمحون له بذلك. دمر حامد حوالى أربع دبابات من دبابات العدو وأيضا دمر زملاؤه أعدادا هائلة حتى انسحب العدو من ضراوة القتال وشراستهم. انسحب العدو مذعورا من التصميم الذى قوبل به من الأبطال.

وكعادته دائما عندما يفشل بطلب معاونة قواته الجوية والمدفعية وأراد بذلك أن يقضى على روح المقاومة للأبطال. ولكن عزيمة الرجال لم تلن بل زادت معنوية البطل وزملائه - كان حامد يحتل قمة عالية لأحد التبات والتى تشرف على منطقة واسعة أمامه ومن جميع الاتجاهات. بعد قصفه الطيران والمدفعية كالعادة ظن العدو أن قواتنا تركت المكان وانسحبت، وأن الطريق أصبح مفروشا أمامهم بالورود. اندفعت الدبابات فى سرعة جنونية كى تصل إلى القناة ولكن البطل أبى أن تمر دبابة واحدة من أمامه اشتبك مع الدبابات المعادية والمغيرة فى عنف فى قطاعه ودمر كل من طالتها صواريخه. تتوالى الهجمات وتتوالى تدميرها من البطل وزملائه وسكتت عدة دبابات عن الحركة أمامه من شدة تركيز صواريخه التى كانت تزغرد فى سماء المعركة. ثم عرف أن أحد زملائه بجواره أصيب وقد نجحت بعض دبابات العدو من اختراق موقعه حيث اندفعت صوب قواتنا على القناة - وفى شجاعة نادرة اندفع وناور بطاقمه فى اتجاهها، وكانت دبابتان للعدو ووصل إلى موقع آخر على قمة عالية يمكنه الاشتباك معها حتى لاتفلت. أصاب إحداها ثم التفت الثانية خلفه ووجهت قذائفها نحوه. أصيب إصابة مباشرة فى جسمه ورقد البطل يحتضن رمال سيناء ولكن سلاحه لم يفارقه أخذ يحتضنه. وفى تصميم رائع من بطل مصاب أطلق صاروخه نحو الدبابة وهو ينزف بغزارة فدمرها واشتعلت فيها النيران، وأخذ منه أحد زملائه أشياءه المهمة ورقد البطل وهو يحتضن رمال سيناء فى شوق وحب. اندفع زملاؤه نحوه محاولين إنقاذه بعد أن انتهت

المعركة وصمد البطل وأبى أن تمر دبابة واحدة إلى قواتنا فى الخلف تماما كما صدرت إليه الأوامر. ومنع العدو من تحقيق هدفه. وجده زملاؤه غارقًا فى دمائه ويداه مقبضتين على تراب سيناء الغالى. مد يده إلى أحد زملائه بحفنة من التراب وطلب منه أن يرسلها إلى أسرته إلى زوجته التى لم يمض معها سوى أيام قلائل وقال لزميله قل لها لا تحزن لقد فديتها. لقد دافعت عن أرضى وعن عرضى وعن وطنى وطلب من زملائه أن يضحوا بكل ما هو غال وثمين فى سبيل هذه الأرض وكرر الرجاء فى صوت خافت. أخذ الصوت يخفت رويدا رويدا محذرا زملاءه من غدر العدو. رد عليه زملاؤه الموجودون بأن يطمئن.

فارقت الروح جسد الشهيد. قال له أحدهم لقد استشهدت ياعريس سيناء واحتفلت بك الملائكة وزفتك إلى جنة الخلد حيا ولم تمت ولكن فراقك غال وسوف ننتقم لك أيها الشهيد.. أيها العريس. ثم تركوه بعد أن واروا جسم الحبيب بالتراب الذى كان يعشقه ولم ينس زميله أن يرسل هذه الحفنة من التراب إلى أسرته بعد المعركة. يرحم الله حامد العريس هو وزملاءه وأسكنهم فسيح جناته التى وعدوا بها. إنه سميع الدعاء.

المشــاغب

آكلة الدبابات

كما هو معتاد فإن أى قائد وحدة جديدة عندما يتسلم قيادته يبدأ فى التعرف على وحدته وعصب الوحدة أو أساسه هم الجنود وضباط الصف. ويعقد اللقاءات معهم المتتالية حتى يتعرف على أدق الأسرار بالوحدة - وبين الذين يلتقى بهم أفراد جعلتهم الظروف مشاغبين داخل السجن أو خارجه - أيضا يقوم القادة بالتعرف على هؤلاء وعلى مشاكلهم ربما تسمح الظروف بحلها وتقويمهم لخدمة الوحدة. البعض منهم يعانى من المشاكل وتحيط به الأسرار الغامضة التى تحتاج إلى جهد ووقت طويل لحلها. هذه الأسرار غالبا ما تخفى عن الجميع والقائد الناجح والذى يستطيع كسب ثقة أفراده هو الذى يعطى أصحاب المشكلات الأمان حتى يتعرف على ما بداخل صدورهم حتى يخترق هذه المشكلات ويغوص فى الأسرار لأن ذلك يجعلها سهلة ويسيرة أمامه. وقد عمدت القوات المسلحة فى ذلك الوقت وقبل المعركة أن تكون لدى القيادات كل حسب

مستواه الأجهزة التى تساعد على حل هذه المشاكل خاصة المستعصية منها لأن المعركة تتطلب تضافر الجهود جميعا من أجل هدف واحد هو التنكير فقط فى موعد المعركة وتوقيتها والاستعداد الجاد لها. وقد نجحت القيادات فى ذلك إلى أبعد الحدود حيث انحصر فكر الجميع فى شىء واحد من ترقب المعركة والعبور إلى الضفة الشرقية.

نعود إلى بطل هذه القصة التى أطلقنا عليها اسم (المشاغب) حيث كان بين المساجين فى الوحدة شخص يدعى (رضا). شخصية عادية بسيطة خلقت منه الظروف المحيطة به مشاغب من الطراز الأول. فهو كثير الغياب كثير الانفعال ثائر متمرد على كل من حوله لا يقبل النصيحة من أى شخص؛ ولذا فقد كانت العقوبات المتتالية تحل به وقد رضى لنفسه بذلك واعتاد على هذا السلوك. وفى الواقع إذا تحدثت إليه وجدته بسيطًا مثل كل أبناء الريف ابن القرية. ولكن لم يضع القائد يده على الأسباب الحقيقية التى أوصلته إلى ذلك لأن مثل هذه الحالات لابد وأن يكون وراءها أسباب ومع ذلك لم يذكر رضا لقائده أى شىء وما هى الدوافع والأسباب لكثرة تغيبه، ومن ثم يوضع فى الحبس وأصبح زبونا مستديمًا له. وبعد إصرار من القائد والتحدث معه فترة حيث أخذ الأمان صارح القائد بكل شىء ووضح له الأمور التى خلقت منه ذلك والحدث الأول الذى أثر فيه فى بداية حياته العسكرية، وكان ذلك من سوء حظه ففقد الثقة فى كل من حوله. وسرد هذه الدافعة بكل أمانة. لم يختلق الأعذار لنفسه بل قال ماله وما عليه. أحس القائد

بصدق ما يقول وأن الصراحة بادية على كل ما يقول ـ وفى النهاية تنهد وكأنه أزال الكابوس الجاثم من على صدره ـ وبدا على وجهه الارتياح، وبعد أن استمع إلى قائده رأيه فى ذلك قطع وعدا على نفسه أن لن يعود إلى الغياب مرة أخرى ولن يكون له مع أى أحد أى تعامل خارج عن حدود الانضباط واللياقة وأنه ارتاح عندما استمع من قائده إلى أن يعرض عليه مشاكله شخصيًا.

حصل رضا على مؤهل متوسط قبل أن ينضم للقوات المسلحة ومن مصلحته أن يسلك سلوكا حسنا داخل القوات المسلحة حتى لايتأثر بهذه العقوبات فى مستقبله خارج القوات المسلحة حينما يسرح من الخدمة فينال الشهادة مصحوبة بكلمة (ردىء). ولقد حق القائد على السلوك الحسن بعد اللقاء وبعث فيه الأمل وشكره على صراحته وقال له إن كل ذلك لا يستحق أن تسلك هذا السلوك ولا يستدعى كل ذلك. ووعده القائد بمساعدته فى جميع الأحوال وتحت كل الظروف وأن أى مشكلة تصادفه سوف يقوم القائد بحلها طالما أنه فى استطاعته ذلك ـ وأنه لن يبخل عليه بأى مساعدة ـ خرج رضا من مكتب قائده مسرورًا مبتسمًا وازدهرت الدنيا أمامه وضحكت بعد أن كان الظلام يخيم عليه.

وبعد نهاية العقوبة التى كانت موقعة عليه ـ ثم منح إجازة لطول المدة التى قضاها بالسجن بالإضافة إلى منحه من قائده لإثبات حسن النية ـ وقضى الإجازة وعاد إلى الوحدة فى موعده تماما وأوفى بعهده لأول مرة ـ كان لذلك صدى فى الوحدة كلها وبدأ

يشعر بالحب والاحترام نحو قادته وقائده الجديد وبدأوا هم يبادلونه الود والعطف عليه حيث كان قائده بصفة مستمرة دائم السؤال عنه وعن أحواله موصيًا عليه قادته المباشرين كل فترة حتى يداومون على العناية به - تغير كل شىء فى حياة رضا بالوحدة بين زملائه وبين كل قيادات فهم يدمون له المساعدة، وبدأ الجميع يعطف عليه ويساعده ولو بالنصح. وكانت الدهشة أن قائده وعده بالترقى إلى درجة العريف إذا ماسار على هذا الأسلوب ويسلك السلوك الحسن. أخلص رضا فى عمله وتفانى فيه وكان مصرًا على أن يعوض مافات.

وكما كانت لرضا بعض المميزات كانت له عيوب أيضًا وكثيرا ما كانت تسبب له بعض المضايقات، وقد اصطدم بقادته المباشرين كثيرا لهذا السبب - فكما قلنا كانت كلمات النصح والتوجيه أحيانا تسبب له حساسية مفرطة وكان لا يتقبلها بصدر رحب مثل كثير من الناس حيث كل له طبائعه الخاصة. وكان يؤلم رضا كثيرًا إذا ما وجه إليه النقد أمام زملائه والذى كان يعتبره إهانة وأيضا كثيرا ما كان يخونه الحديث للتعبير عما بداخله فيخطأ، وهنا تحدث المشاكل معه وتعترض العقوبات التى توقع عليه نتيجة لذلك - وتعرض للمشكلات كثيرا بسبب ذلك - ولما عرف قائده ذلك أصدر تعليماته أن يعرض عليه شخصيًا فى أى تصرف يصدر منه حتى ينظره هو شخصيًا - نفذ جميع قادته هذه التوجيهات فهى سياسة القائد ولابد أن ينفذها الجميع - وبالفعل نفذ الجميع هذه التعليمات عندما يصدر منه أى تصرف يستحق المساءلة - ولذلك

حاول رضا جاهدا أن يتجنب ذلك ويتحاشى أى صدام بينه وبين أحد على أى مستوى - استمر فى الاتصال بقائده دون وساطة وكان يحضر إلى مكتبه فى أى وقت يشاء دون عراقيل أو تسلسل كما هو متبع - كان القائد يرحب به ويشجعه ويحنو عليه.

وفى أحد الأيام حنث رضا بوعده وأخل به وتغيب عن الوحدة بعد أن قطع مشورا طويلاً نحو الاستقامة - وفى هذه المرة لم يجد قائده له عذرًا للعفو عنه وتعرض للعقوبة منه شخصيًا - ولكن القائد أصر على معرفة الحقيقة فى عدم الوفاء بعهد قطعه على نفسه وأصر القائد على متابعته خارج الوحدة كى يتعرف على مشاكله بين أسرته خصوصًا عندما وصل القائد خطابًا من والده يرد فيه المشكلات بينه وبين ابنه وأنه لا يقدم لى شيئا خلال الإجازة ولا يستفيد منه إطلاقا حكى الوالد بعض الأسرار الشخصية عن حياته، وعن بعض المشاكل التى تعرض لها فى حياته العامة - وكان قد شجع والد رضا على ذلك أحد زملاء رضا بالوحدة عندما أخطره بالمعاملة التى يلقاها نجله من قائده بل ومن كل قياداته - عرف القائد ذلك من خطاب والده يشكو منه - استدعاه إلى مكتبه وأعطاه الخطاب - واعترف بأن كل ما جاء بالخطاب صادقًا وأن عائلته تعانى منه ولم تستفد منه فى شىء - وأضاف أن أسرته بسيطة تحتاج إلى المساعدة بجانب ذلك فهو كثيرا ما يسبب لها المشاكل. ومن أجل ذلك كان القائد قاسيًا عليه فى هذه المرة لأن لا حيلة له ولا حجة ولا مبرر للغياب - وكان قائده يريد إصلاح ما أفسدته الأيام فى رضا لأنه لم يكن منحرفا ولم

يصل إلى حد الانحراف. والقسوة فى مثل هذه الحالات مطلوبة بحذر شديد حتى لا تؤدى إلى نتائج عكسية. ومع قسوته عليه قرر قائده أن يحيطه بالرعاية أكثر خصوصا بعد ما عرف ظروف عائلية وظروفه خارج الوحدة. فقرر أن ينضم إلى الجنود الذين يعملون فى بوفيه الجنود وكما هو معروف كانت هذه الأعمال الإضافية يقال عنها الفرد نسبة من الربح حسب اللوائح المعمول بها فى القوات المسلحة - انضم إلى هذا العمل إلى جانب عمله فى الوحدة فأخلص فى هذه المهنة الجديدة وأتقنها إلى جانب التدريب على المهنة التى يتدرب عليها فليس هناك مضيعة للوقت الكل يعمل ويعمل دون توان أو هوادة - وكان أيضًا جادًا فى التدريب ومنح المكافآت من خلال عمله فى البوفيه. وأيقن رضا أنه لا فائدة فى كل ما كان يفعله فقائده يلاحقه فى كل وقت، وكلما سنحت الفرصة - انصهر فى العمل وأصلح من حاله واستجاب للنصائح والتوجيهات دون ملل أو ضيق كما كان يحدث قبل ذلك وبعد فترة من العمل الجاد والشاق أحب حياة الجندية وأحب قادته وزملاءه وأصبحت العلاقة مع الجميع وطيدة، ومن هذا المنطلق قرر أن يتطوع فى القوات المسلحة بمعنى أن يوافق على تجديد خدمته فيها ولا يسرح حيث شجعت القوات المسلحة الأفراد الممتازين والذين يرغبون الانضمام إليها مادامت الرغبة ومادامت قيادته توافق على ذلك - شجعه قادته على ذلك عندما رأوا ما وصل إليه من كفاءة فى مهنته الأساسية بالقوات المسلحة وتفوق على أقرانه من نفس المهنة وازدادت صلاحيته وتعلقه وحبه لعمله مما لفت الأنظار إليه.

كان سعيدًا بما وصل إليه حيث تحسنت أحواله وقلل من حالة البذخ الذى هو فيها وأخذ علاقته مع والده وأسرته فأرسل لهم بناء على توجيهات قادته جزء مما يناله من مكافآت نتيجة للعمل بالبوفيه. وكان أسعد الناس به قادته وقائد وحدته خصوصا بعد ما وصل خطاب من والده يحكى فيه حالة التغيير التى أصابت ابنه وشمل الخطاب الثناء على قادته والدعاء لهم لأنهم السبب فى إصلاح ابنه الذى تمنى أن يكون وفيًا بأسرته ـ وشكر كل من قام أو أسهم فى إصلاح ابنه ووصوله إلى هذه الحالة ـ وهذا فقد أيقن القائد أن رضا أصبح الآن يعتمد على نفسه وعرف الطريق السليم خصوصا بعد حياته الجديدة فى القوات المسلحة. ومع اقتراب يوم الثأر. اليوم الموعود. يوم الخلاص من الذل والعار ازداد إصرار رضا فى العمل مع باقى زملائه وأخذ يستعد استعدادًا جادًا ـ بذل جهدًا خارقًا فى التدريب على مهنته وأيضا بذل جهدًا خارقًا فى التدريب على العبور فى المناطق التى أعدت لذلك ـ لفت الأنظار إليه وتحدث الجميع عنه وعن ما وصل إليه من قوة تحمل جسمانى فاقت الجميع ـ كانت الهمسات كثيرة نحو هذا التغيير فى سلوك ذلك المشاغب؟ـ كيف حدثت هذه الطفرة فى سلوكياته ـ أما رضا فقد كان دائم الثناء والشكر على قادته وقائد وحدته والذين دعوه ومدوا له يد العون والمساعدة فأخرجوه من دوامة العصيان والتمرد تلك الحالة التى كانت تلازمه فى كل تصرفاته وفى كل علاقاته مع زملائه ومع قادته ـ لقد أصبح الآن ناجحًا ومفيدًا لوحدته ووطنه.

وكانت مهنة رضا شاقة وصعبة فهو أحد الأفراد الذين سيحملون الذخيرة خلال المعركة ضمن أطقم تدمير الدبابات - مهمة تحتاج إلى لباقة بدنية عالية وإلى جهد ومهارة عالية فى تجهيز وإعداد الصواريخ للموجهين لا تقل عن الموجه نفسه. فهو الذى يجعل الصاروخ صالحًا ومعدًا للإطلاق نحو هدفه - مهمة من المهام التى تحتاج إلى فهم عميق ومتابعة المعركة ومتابعة الأهداف المعادية وأسلوب الموجه فى العمل والذى لا يستطيع الاشتباك إلا إذا أخطر الموجه بذلك.

وعبر رضا ضمن الوحدة بين زملائه وقادته يناضل ويكافح معهم فى تدمير أهداف العدد المعادية خصوصا فى الأيام الأولى للمعركة وهى الأيام التى حسمت المعركة. أشاد الجميع بما يقوم به رضا خلال الاشتباك - سرعة ودقة متناهية فى الإعداد والتجهيز والمتابعة المستمرة لأهداف العدو خلال الاشتباك معها.

زادت المعارك من حدتها واشتدت ظروفها والاشتباكات مع الأهداف المعادية مستمرة ورضا يتدرب فى كل وقت المعدن الأصيل للإنسان المصرى فى أثناء المحنة، وعندما يناديه وطنه حى على الجهاد، وأهم ما كان يميزه عن الباقى أقرانه الإتقان الشديد فى إعداد وتجهيز الصواريخ - ورغم ذلك فإنه كثيرا ما كان يحن لهوايته فى عمل الشاى لقادته وزملائه عندما كانت تهدأ الاشتباكات مع العدو فى قطاعه رغم قصف المدفعية أو غارات الطيران فى حفرته التى أعدها خصيصا لذلك. ورغم حذر الجميع خلال ورغم حذر

الجميع إلا أنه لم يعبأ ولم ترهبه دانات المدفعية أو غارات الطيران وحذره زملاؤه وقادته من ذلك كثيرا، وفى كل مرة كان يقول كل شىء بأمر الله. وقل لن يصيبنا إلا ما كتب علينا.

وفى أحد الأيام اشتدت المعارك وكانت من الأيام المشهودة خلال طوال فترة المعارك حيث شدد العدو هجومه على القطاع الذى يعمل فيه - ويحكى قائده المباشر عن هذه اللحظات - قامت دبابات العدو بقصف مركز للموقع بشدة بعد أن كبدها ذلك الموقع خسائر كبيرة ونال منها فى كل مرة تحاول الهجوم ودمر الأبطال عددًا كبيرًا منها - ظلت الدبابات بعيدا عن متناول الأبطال حيث لا تسمح المسافة بالاشتباك معها بالصواريخ - جميع أنواع الذخائر صبتها عليهم دبابات العدو تساعدها المدفعية طويلة المدى - دانات حارقة وشديدة الانفجار الأبطال فى أماكنهم يراقبون أية محاولة للتقدم وكانت بعض الطلقة مباشرة على الموقع فتقطعت بعض أسلاك وكوابل قواعد الإطلاق للصواريخ - وكانت الخطورة فى ذلك لأن العدو لو هجم فلن تنطلق الصواريخ - موقف صعب تعرض له الموقع وقائد الموقع الذى زادت حيرته - ماذا يفعل والقصف مستمر وأبلغ بعض الأبطال عن هذه الأعطال لأنهم جاهزون فى كل وقت - وما بقى معهم لا يكفى لسد الخسائر - ودبابات العدو يمكن أن تهاجم الموقع فى أية لحظة - عرف كل أفراد الموقع ذلك الموقف الخطير - وقبل أن يصدر قائد الموقع أوامره لأن يعمل أى شىء وخلال اتصاله بقيادته الأعلى فوجىء الجميع وخلال القصف المركز باندفاع رضا بأقصى سرعة خارج حفرته لم يعبأ بما حوله - لم يفكر فى نفسه

وما سوف يتعرض له من الأخطار ـ الطيران حوله ـ الشظايا فى كل اتجاه ولكنه أسرع الخطى فالدبابات بدأت فى الاستعداد للتحرك واتخذت تشكيل القتال المناسب لها وبعضها داخل المرمى والأبطال مستعدون بالأسلحة الشخصية بعض الأطقم القريبة لهم اشتبكت مع العدو ـ أما طاقمه هو فلم يشتبك حيث أصابه عطب مع بعض المواقع الأخرى. ودون أن يستأذن رضا أسرع رضا للخلف كى يحضر بعض الكوابل والأسلاك الاحتياطية ـ أحاطه الخطر من كل جانب ولكنه استمر بسرعة مذهلة، وكأنه فى سباق مع العدو وأحضر الأسلاك وأعد الكوابل وجهز الصواريخ والتى انطلقت صوب أهدافها والتى كانت قد اقتربت من الموقع وأصبحت مسافتها خطيرة وحرجة ـ لم يدر أحد أن رضا كان قد أصيب وأخفى اصابته على كل من حوله ـ إصابة مباشرة فى صدره لكنه صمد وتحامل على جرحه والنزيف خلال اندفاعه لم ينقطع. دمرت أهداف العدو هو فخور مبتسم وأخذ يشجع زملاءه ويحمسهم كل من يدمر دبابة يلقى عليه تحيته ويحييه بصوت أعلى برافو يا بطل ـ أهو كده الشغل واللا بلاش ـ الله أكبر الله أكبر والعزة لمصر ـ وتم صد الهجوم ودمرت الأهداف المعادية وتقبل الجميع التهانى من قائدهم وأخذوا يتبادلون التهانى. مازال القائد يحكى.. أثبت الأبطال أن أبناء مصر الأوفياء مستعدون للتضحية فى سبيل مصر الغالية بأى شىء. لأنهم أحبوا وطنهم وتفانوا فى التدريب بإخلاص وجدية ـ بعد أن هدأت الأمور وجد الأفراد رضا وهو مستلق على الأرض. ظنوه يستريح من عناء التعب وشدة المعركة والمشوار الذى

قطعه بسرعة عالية ـ اقتربوا منه وجدوه فوق بركة من الدماء التى سالت على الرمال وجهه منطلقا إلى السماء ـ ابتسامته على وجهه ـ التف حوله الزملاء بعد أن فاضت روحه واستشهد رضا ـ استشهد البطل الغالى بكى قائد الموقع وبكاه زملاؤه ـ إلى ملحمة رائعة ودور خطير لمقاتل عنيد دافع عن وطنه بكل جوارحه وحواسه ـ دمعت الأعين وبكاه الجميع ونال رضا الشهادة التى كان يتمناها الجميع فى هذه المعركة ويسعون إليها.

أما قائد وحدته عندما أبلغ بخبر شهادته وما فعله خلال المعركة فقد قال ماذا تنتظرون من أبناء مصر غير التضحية بهذه الصورة الفريدة حتى يثبتوا للعالم أنهم الأحسن والأكفأ مهما قال عنهم الأعداء ـ رحم الله.. رحم الله رضا هكذا ردد القائد وقال لقد استشهد المشاغب بعد أن أوفى بعهده الذى قطعه على نفسه وعوضنا الله عنه خيرا.

مبدأ عبد المولى

فى إحدى اللقاءات المتكررة والتى يعقدها القادة مع جنودهم جلس قائد الوحدة بين جنوده فى ميس الجنود، ولكن فى هذه المرة كانت عكس سابقتها حيث سمع الجنود أن قائد وحدتهم غاضب من بعض التصرفات لقلة من الجنود تصرفت وأتت من المخالفات التى كان غير مستحبة لدى قائدهم؛ ولذا انتظروا فى ذلك اليوم تأنيبا وتوبيخا شديدا لهم ولأمثالهم المخالفين - وكان قائدهم دوما يشجع فيهم الصرامة والصدق ويكره الوشاية والواشين - وأيضا عددهم على إخطاره بكل ما يحدث حتى لا تتعقد الأمور بعد ذلك - ولذا كان الجميع صادقًا فى عرض مشاكله وكل ما يدور حوله أمام الجميع وعلى مسمع من القادة بمختلف رتبهم - وأيضًا أتى بعض الجنود التصرفات غير الواعية حيث غاب بعضهم عن إجازته وقادتهم لم يبخلوا عليهم بأى شىء فى سبيل استقامة الأمور لأن

الوحدة فى حاجة إلى جهد الجميع والوقت لا يسمح بهذه الأفعال والأعمال والجميع يستعد للمعركة.

من بين الجنود الذين تخلفوا عن موعدهم هو (عبدالمولى) حيث نهره قائده ووجه له بعض التأنيب والتوبيخ الشديد أمام زملائه وقال له القائد إنه لن يتهاون مع كل من تخلف خصوصا أنه لم يبخل عليهم بشىء وأن موعد إجازاتهم منتظمة ومحددة والكل يعرف موعد إجازته نظرا للجهد الذى يبذلونه خلال تواجدهم بالوحدة؛ ولذا كان الإصرار على تدقيق موعد الإجازات إلا إذا كانت التعليمات التى تصدر من القيادة عكس ذلك لبعض أمور وواجبات تؤديها الوحدة. سكت عبدالمولى ولم يرد إلا ببعض كلمات الأسف رغم أنه اشتهر بين زملائه بخفة دمه ومرحه المستمر خصوصا فى لقاءات القائد كانت له كثيرا من المواقف الفكاهية التى يضحك من أجلها الجميع ـ وبعد أن توقف القائد عن تأنيب عبدالمولى وباقى المجموعة التى تخلفت والبعض الآخر التى أتى بعض التصرفات والأفعال المخالفة ـ وجد عبدالمولى أن اللقاء أصبح جادًا وأن الأمور احتدمت واشتد ضيق القائد وأن الأمر يحتاج إلى كسر حدة هذا الموقف الصعب ـ حيث ساد الوجوم بين الجميع وتكهرب الجو وكان وشيك الانفجار والكل يعرف قائدهم فى مثل هذه المواقف حيث يزداد غضبه وينفعل وقد يؤدى ذلك إلى تركه اللقاء قبل أن يستكمل ويستكمله القائد الذى يليه وهم لا يحبون ذلك لأن فيه خسارة لهم كبيرة لهم لما ينالونه من مكافآت من قائد وحدتهم خلال اللقاءات ـ

وأحس عبدالمولى أنه أحد الأسباب التى أدت إلى تكهرب الجو وغضب القائد؛ ولذا أراد أن يحول دفة اللقاء إلى العكس تماما وخصوصا عندما انتهى القائد من تأنيبه ووجه إليه القائد سؤالا مباشرا عن بعض تصرفات زملائه غير اللائقة ـ فرد عبدالمولى بطريقته الفكاهية قائلا أنا ماليش دعوه بحد وأنا لى نهج فى الحياة ولى مبدأ أسير عليه. عرف القائد أنه يريد كسر حدة التوتر خصوصا أن حركاته بدأت فى توجيه الأنظار إليه من زملائه ـ فقال له وما هو هذا المبدأ ياعبد المولى «امش جنب الحيط يحتار عدوك فيك» ـ ضحك الجميع بصوت عال وضحك القائد وكل من حوله. وعلى الفور ارتسمت على الجميع الابتسامة والبشاشة وأخذ زملاؤه يناوشونه ويداعبونه ببعض القفشات ـ قال القائد مداعبًا عبدالمولى هذا المبدأ هو مبدأ هدام ويجب أن يطلق عليك عبد المولى الهدام ـ ومن وقتها التصق الاسم به الكل يناديه به ـ انتهى اللقاء بعد أن اعتذر الجميع وأولهم عبدالمولى عما فعلوه ووعدوا بعدم تكرار ذلك فى المستقبل وقبل القائد التأسف.

ورغم أن هذا الاسم التصق باسم عبدالمولى إلا أنه لم يتضايق منه ولم يشعر فى يوم من الأيام بأنه يقل من قدره ولكن ظروف اللقاء حتمت ذلك. وكان الجميع يقدرون مواقف عبدالمولى مع قائده خلال هذه اللقاءات التى كثيرًا ما كان القائد يداعبه خلال هذه اللقاءات لكسر حدة الجمود وإتاحة الفرصة للجميع لعرض مشاكلهم خاصة عندما يكون هناك جنود جدد بالوحدة انضموا قريبا.

أحب الجميع عبدالمولى وأولهم قائد الوحدة وكان قريبًا من قلبه وأحبه لشجاعته وصراحته رغم مواقفه المرحة وخفة دمه والتى كانت مطلوبة خصوصا بعد العناء والتعب من الجهد الشاق فى التدريب والعمل والاستعداد للمعركة ـ ولم يكن هداما كما كان يطلق عليه الجميع لأن المقصود كان الداعبة والمزاح فقط. ويومها قال له القائد سوف نغير هذا الاسم عند العبور شرق القناة بإذن الله ونسترد أرض سيناء الغالية ـ لم يترك عبدالمولى الفرصة للرد على قائده ولكن فى هذه المرة فى جدية وصرامة حيث قال سوف يكون المثل يا أفندم «اضرب اضرب بشدة يحتار عدوك فيك» ـ خرجت هذه الكلمات أيضا فى تلقائية وحماس حيث ألهب حماس الحاضرين وصفقوا وهم ينددون بالعدو فى انتظار اللحظة الحاسمة والويل له وسيثبتون للعالم أن شباب وأبناء مصر بخير وأنهم سوف يلقنونه درسًا لن ينساه.

واستجاب الله لدعواهم فإنه لا يضيع أجر من أحسن عملا وأثبتوا للعدو المتغطرس صدق ما قالوا وأن العدو خسر الكثير والكثير من مدرعاته على أيدى هؤلاء الأبطال وزملائهم وتحدثت الدنيا عن بطولاتهم التى قاموا بها خلال المعارك بما يشبه المعجزة وساد الذعر قوات العدو المدرعة وكانوا يحذرون بعضهم البعض وقد حذرتهم قياداتهم من أولئك المترجلين، والذين يحملون على أكتافهم صاروخ مضاد للدبابات إنها فعلا من المعجزات عدو رابض فى مدرعة تشبه البيت المتحرك تخشى وتهاب أفرادًا يتحركون على أرجلهم ويصطادون دباباتهم فى منتهى الإتقان.

زادت جرعة التدريب وزاد إصرار الأفراد على تخطى المستحيل وابتدعوا من فنون القتال ضد الدبابات الكثيرة بفضل القيادات الواعية فى القوات المسلحة ورعايتهم لهذه الوحدات التى أعدت خصيصا لهذا الغرض. كان عبدالمولى من بين هؤلاء الذين سيلقون العدو ويتعاملون مع مدرعاته ـ ولما تميز به من جدية وعزيمة خلال التدريب وإصراره المستمر على مداومة التقدم فإنه اجتاز بعض الاختبارات الشاقة والقاسية والتى كانت تتم بصفة دورية عليهم اجتاز هذا الاختبار بإتقان وكفاءة؛ ولذا فقد عبد المولى قائد طاقم وذلك صعب حيث لا يخطر به إلا الأفراد ذو المستوى الرفيع والثابت وهم نخبة متميزة فى كل شىء وكثيرا ما كان يسعى كل الأفراد إلى نيل هذا الشرف، وكان التسابق إليه والوصول إليه يعنى نهاية المطاف.

وعند العبور كان عبدالمولى ضمن الموجات الأولى والتى عبرت القناة ومع ذلك فان خفة دمه لم تفارقه وقفشاته عن العدو لم تتقطع خلال المعارك الضارية التى تقابلوا فيها مع العدو ـ لم يرهبه الموقف رغم حداثة عهده بالوحدة وبالوظيفة ورغم صغر سنه ـ لم يلتفت إلى غارات الطيران أو إلى قصفات المدفعية. كان دائما يهلل ويكبر وينادى على زملائه بالحذر تارة وبالثبات تارة أخرى وأخذ يشعل فيهم الحماس المتوهج فى صدورهم للنيل من العدو ـ وكان لفظ الجلالة الله أكبر الله أكبر هو غذاؤهم الروحى فتغلبوا على كل العقبات إلى جانب أنهم مدربون تدريبات عالية ومتفوقة ـ قال كلمة الله أكبر كل من عبر وكانت كالوقود الذى يتزود به ـ هزت هذه

الهتافات قوات العدو وارتعدت فرائضه عندما وجدوا الأبطال يتسلقون الساتر الترابى فى صيحات مدوية هزت أركان مواقع العدو من الأعماق ـ ذلك المانع الذى حذر منه الكثيرون وقالوا وقتها إن المصريين سيلقون حتفهم فى مياه القناة لا محالة قال ذلك بعض الذين يدعون أنهم على علم ودراية بفنون الحرب وهم أبعد كثيرا عما يظنون ويعتقدون ـ وقالوا وقتها أن هناك عشرة موانع وليس مانعًا واحدًا سيقابل المصريين خلال القتال ـ ولذا فإن دهشة العدو كانت بالغة وهم ينظرون إلى المصريين متخطين كل الموانع ويضعون أرجلهم شرق القناة.

كان جسم عبدالمولى ضئيلاً نحيفًا، وعندما كان يتحدث بجوارك لاتكاد تسمعه إلا إذا تنبهت له ولم يكن من هؤلاء الجهوريين والعالية أصواتهم ولكن عندما عبر اختلف حال عبدالمولى وفوجىء بصوت جهورى أحسن سواء فى التكبير أو فى لقاء العدو. لقد غطى على كل المحيطين به ـ أصيب أثناء تسلقه الساتر الترابى بحالة من الهستريا. صعد بسرعة عالية وهو يحمل معداته وسلاحه ـ وعندما وصل إلى نهاية الساتر اندفع نحو الشرق بسرعة مذهلة رغم تحذيز قادته وزملائه ضاربًا بذلك عرض الحائط ـ لم ينتظر أحد حتى مجموعته وطاقمه خلفه يهرول أراد أن يفى بوعده الذى قطعه على نفسه أنه سيضرب بشدة وبقوة وسيجعل العدو يحتار ـ أصبح عبدالمولى كالمارد واشتبك مع إحدى دبابات العدو دون أمر ودمرها وكان أول موجه يدمر دبابة فى مجموعته ـ كان سباق مع زملائه غريبا إلى أبعد الحدود فهو يريد أن يثبت للعدو من هو

المقاتل المصرى وهو على رجيله دون أى تجهيز داخل سيناء ـ ثم أخذوا يعدون العدة لملاقاة العدو مع تحذير قائده المباشر له بالالتزام بالتعليمات والأوامر وكانت الطاعة العمياء لهذه التعليمات ـ ومع ذلك فكانت جرأته نادرة فهو يتحرك يمينًا ويسارًا مخادعًا دبابات العدو فى موقعه فى مناورة مسموح له بها حتى لا يكتشفه العدو وهم فى بداية عهدهم بسيناء الغالية ـ تحدث عنه الكثيرون وتعجبوا لما يفعله بذكاء جاد وشديد.

خلال المعركة كان يتقابل مع قائد الوحدة مرات كثيرة فى كل مرة يكون اللقاء حار وأخذ يطمئن على باقى الوحدة المنتشرة فى مواجهة التشكيل لملاقاة العدو وكانت سعادته شديدة عندما يستمع إلى أخبارهم وبطولاتهم فيزداد حماسًا وتشتعل النيران بداخله ـ فى إحدى المرات قال لقائده طبعا فاكر المبدأ بتاعى فى سيناء ابتسم القائد ورد على الفور فاكره ـ قال عبدالمولى إننى هنا أطبقه ولن أترك دبابة من دبابات العدو تفلت من أمامى ـ وخلال تواجد القائد فى مرة أخرى لتعديل أوضاعهم وتحسينها ظهر فى الأفق غبار كثيف ـ وبالقطع تصور الأبطال على ذلك وعرفوا أن ذلك يعنى دبابات للعدو ـ على الفور صدر الأمر بالاستعداد لملاقاة العدو وقائدهم بينهم يستعد معهم ويراقب ويحذر ويخصص المهام ـ وأعطى قائد الموقع الأمر بالاشتباك الفورى عند اقتراب الأهداف المعادية ـ أسرع عبدالمولى يعد نفسه ومن حوله طاقمه بعد ويجهز للمعركة واقتربت دبابات العدو إلى المدى المحدد من القائد ـ من قائد الموقع أطلق عبدالمولى الصاروخ صوب الهدف. وأيضا باقى

الموقع. زمجرت الصواريخ فى الجو بما يعنى النهاية للأهداف التى سوف تقابلها ـ دمروا للعدو عددًا كبيرًا من الدبابات وتقهقر الباقى للخلف هاربا من الجحيم مخلفا وراءه حطام دباباته التى أصيبت ـ لم يتركهم الأبطال تابعوهم حتى اختفوا تماما عن الأنظار وتقبلوا من قائدهم الثناء والشكر وطالبهم بالحذر واليقظة من الغدر بل وأوصاهم بمراقبة بعض الاتجاهات المحتمل هجوم العدو منها كى يفاجئهم. ظل عبدالمولى فى موقعه يضيف فى كل معركة بطولة إلى بطولاته ـ كل يوم يمر فى سيناء تضيف إلى رصيده فى سجل الفخار والمجد شيئًا جديدًا ـ كانت حماسته وجرأته خطرا عليه وعلى حياته حذره الكثيرون من حوله من ذلك ولم يلتفت إلى تحذيرهم.

وفى أحد الأيام وفى هجوم للعدو على ذلك الموقع حاول اقتحامه بأى شكل لأنه سبب مع المواقع الأخرى قلقا لهم ولقياداتهم وكلفهم خسائر كثيرة فادحة. بعد الهجوم ونظرا لصلابة الرجال انسحب العدو للخلف وتقهقر فى بأس لم يرض عبدالمولى أن يهجم عليهم فى كل مرة ويهرب من المعركة فقرر شيئًا فى نفسه فى مغادرة جريئة محفوفة بالمخاطر وبمبادرة منه شخصيا. اندفع إلى تبة عالية تسيطر على المنطقة ويستطيع من فوق هذه التبة النيل من دبابات العدو الهاربة ـ لم يدر البطل أن تلك هى النهاية ـ وأن الساعة قد حانت وأن الشهادة تطل عليه ـ اندفع وخلفه طاقمه يلهث للحاق به حيث يعملون المعدات والذخيرة ـ أثناء اندفاعه أصابته رصاصة غادرة ـ طلقة طائشة كانت الإصابة خطيرة ـ

سقط البطل ـ ارتمى بجسده على رمال سيناء يحتضنها فى حب وشوق ـ لقد وفى بوعده ـ ومع إصابته الخطيرة أصدر أمره لزميله التالى له كى يتسلم القيادة والاشتباك مع دبابات العدو. قال له لا تنسى لا تنسى اضرب اضرب بشدة يحتار عدوك فيك. نفذ بديله الأمر اشتبك مع دبابات العدو من على القبة وفاجأها ودمر دبابتين فى وقت قصير ـ كانت إحداها قد أصابت البطل.

واستشهد البطل ـ استشهد عبدالمولى ولكن المبدأ الذى أطلقه فى سيناء ظل لم يمت مع عزيمة الأبطال وجهد الرجال؟

خاتمة

هذه بعض نماذج متواضعة لأبطال خاضوا معارك وملاحم البطولة فى العاشر من رمضان السادس من أكتوبر ١٩٧٣ - بطولات رائعة سوف تظل وتبقى أمد الدهر وعلى مر السنين والأيام - وهى ليست معارك لوحدات ولكنها بطولات لأفراد ضمن وحدة واحدة وهناك غيرها الكثير من وحداتنا التى كانت لها صولات وجولات ضد العدو - هؤلاء الأبطال صنعوا المجد والفخار لقواتهم المسلحة فاستحقوا الثناء والتخليد بذكراهم الطيبة.

إن ماحققته قواتنا المسلحة فى هذه المعركة يُعد من أروع الانتصارات للجيش المصرى فى التاريخ الحديث. فإذا كانت قواتنا المسلحة قد قامت بذلك العمل البطولى الرائع فإن ما ذكر عنها فى جميع الكتب هو جزء من كل وذلك لم يأت اعتباطًا أو ضربة حظ ولكن كان ذلك بجهد وعرق الرجال سنوات طويلة تعدت الست سنوات ولا يرجع الفضل فى ذلك إلى التدريب الشاق الجاد والعرق

والجهد ولكن يرجع الفضل فيه إلى الإيمان العميق بالله سبحانه وتعالى وإلى جهد القيادات التى تحملت أقدارها ومصائرها وتحملت الكثير من الانتقادات وصبرت ولم ينفذ صبرها وأصدرت الإشارة بالعبور بعد القرار الرائع ببدء المعركة ـ وكان الإيمان بتلك القيادات أثره الكبير لدى أفراد القوات المسلحة ـ ومن منطلق ما قاله الرئيس الأعلى للقوات المسلحة محمد أنور السادات فى جميع لقاءاته بالقوات المسلحة هو يجب أن نعمل دون تشنج وعصبية وعملنا يجب أن يكون فى صمت وفى كتمان رغم تلك الدعاية المغرضة ضد القوات المسلحة من أبواق الدعاية العدو والتى أهانت كرامتنا ومست كبرياءنا فكان الرد العملى مع كل ذلك فى الميدان ـ ومن ذلك المنطلق كان الإيمان العميق فى كل خطوة وكان الحب والوفاء والتآخى بين الجميع فى قواتنا المسلحة. الكل يعمل ويجد. الكل يبذل ما فى وسعه لا فرق بين قائد وجندى الكل فى المعركة سواء. فهى معركة الجميع ورد الاعتبار بعد هزيمة عارضة هو هدف الجميع؛ لذا كانت القيادات حريصة على رعاية جنودها فى حب وود والذى ساد الجميع ـ أصبح الكل أخوه ـ كل يحرص على الآخر ـ وانعكست هذه الصورة على الأفراد خلال المعارك فكانت البطولات والملاحم التاريخية والخالدة والذى تحدث عنها العالم كله وأذهلت كل المراقبين من عسكريين وكتاب الاستراتيجية.

من أجل مصر وحضارتها وتاريخها العريق سالت الدماء على أرض سيناء الغالية. ومن أجل مصر استعد الجميع بأن يضحى بأعلى ما يملك ـ وكانت الروح العالية من الجميع سلاحًا فتاكًا

وخطرًا داهم قوات العدو ـ وكانت وقفة هذا الشعب العملاقة درعًا واقيا وحصنا لقواته المسلحة يحمى ظهرها ـ وكان الانتماء ظاهرة أصيلة بدت فى المحن والشدائد لهذا الشعب المعطاء وسلاحًا فعالاً تسلمت به القوات المسلحة. فبدون الانتماء وبدون الولاء يفقد الجميع هويته وكرامته وكبرياءه وتهتز صورة الجميع؛ لذا فقد حرصت القيادة فى قواتنا المسلحة على إدخال كل ما هو جديد بقدر المستطاع وبقدر ما أتاحته لها الظروف والإمكانات فخلفت القيادات الواعية التى عرفت طريقها إلى قلوب جنودها ـ فقاموا بتذليل كل ما هو صعب لتلك القاعدة العريضة المتمثلة فى الجندى ـ وتعايشوا ومعهم. وارتبط القيادات الصغرى بمجموعها الصغيرة فكانت العصب والرباط الذى جمع كل القلوب على قلب رجل واحد. كما أن القوات المسلحة أصدرت نشرات التوعية عن العدو وعن واجب كل فرد بدقة شديدة مع المحافظة على تراثنا الإسلامى والعربى؛ ولذا فقد انتصرت القوات المسلحة فى هذه المعركة بتوفيق من الله سبحانه وتعالى فى أول معركة حقيقية تخوضها القوات المسلحة بعد جهد وعناء وتعب شديد.

ومع ذلك فمازال المشوار طويلاً، وسوف تتحمل هذه القيادات الشابة مسئولياتها بعد أن تكبدت والجهد فى ضراوة المعارك التى خاضوها ـ سوف تتحمل مصيرها والمسئولية التاريخية أمام الوطن ـ وسوف تكون هذه القيادات هى الطلائع لبناء جيش قوى يحمى الوطن ضد كل من تسول له نفسه أن يعتدى عليه أو ينال منه فى ظل هذه الصراعات التى تملأ سماء المنطقة.

لذا يجب أن تتكاتف كل الأيدى وتتحد خلف قياداتنا وخلف قواتنا المسلحة، كما حدث فى هذه المعركة الشرسة. ولا أظن أن أحدا سيفكر فى الاقتراب من تراثنا ما ظلت روح هذا الشعب العظيم على هذا المنوال.

وحمى الله مصر من كل معتد أثيم

عبدالجابر

١٩٧٤

الفهرس